

الجماع اللطيف

في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

لابن ظهيرة

(ت ٩٨٦ هـ)

تحقيق

الدكتور علي عمر

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الجماع اللطيف

في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

الجمع اللطيف

في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

لابن ظهيرة

(ت ٩٨٦ هـ)

تحقيق
الدكتور **علاء عمر**

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة

المنيا والإمام بالرياض

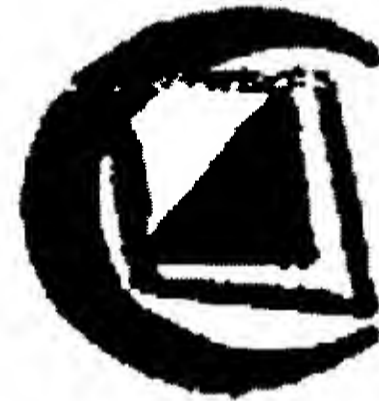
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

جميع الحقوق محفوظة للناسخ

الطبعة الأولى

٢٠٠٣م - ١٤٢٣هـ

٢٠٠٢ / ١٦٥٩١	رقم الايداع
977 - 341 - 085 - 4	I.S.B.N الترقيم الدولي



الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس: ٥٩٢٦٢٧٧

ص. ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

ابن ظهيرة^(١): محمد بن محمد بن أبي بكر بن ظهيرة القرشي المخزومي.

ولد بمكة، وذكر معاصرون أنه كان شيخ الفتيا والتدريس ومرجع العلماء وصفوة

الفقهاء بمكة المشرفة، كما كان مفرد زمانه في العلم والفضل والدين والتقوى.

من آثاره التاريخية: الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، وهو

هذا الذي نقدم له اليوم.

وقد عبر في مقدمته عن رغبته في وضع تأليف متوسط بين الإطالة والاختصار، ورتبه

على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة، وجعل المقدمة في فضل العلم، أما الأبواب فخصصها

بما يتعلق بالكعبة المشرفة وفضلها وعمارتها ووصف ما بداخلها وما ورد في فضل المقام

والحجر الأسود والملتمزم وماء زمزم وفضل المسجد الحرام وعمارته، وفضل مكة وذكر

أمرائها، والخاتمة في ذكر الأماكن والمشاهد بمكة المكرمة.

وقد اعتمد ابن ظهيرة على مصادر متنوعة من كتب التاريخ والسيرة والمناسك والتفسير

وغيرها^(٢).

هذا وقد استندت في تحقيق نص ابن ظهيرة إلى:

النسخة التي طبعت بمطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٣٨ م.

كما استعنت بمخطوطة دار الكتب المصرية برقم ٢٩٤٦ تاريخ. وقد رمزت إليها

بالحرف (د).

(١) كذا قيده صاحب ناج الثوروس بفتح الظاء وكسر الهاء.

(٢) التاريخ والمؤرخون بمكة لمحمد الحبيب الهيلة ص ٢٣٦، ٢٣٧.

وقد أشرت إليهما معاً في تعليقتي (بالأصلين).

وكان حرصى على سلامة النص أكثر من حرصى على التعريف بالأعلام والبلاد والإسراف فى الشرح والتعليق، إذ كان ذلك أهم ما يحتاج إليه العلماء والباحثون عند الرجوع إلى الكتب المحققة.

كما قمت فى آخر الكتاب بعمل الفهارس المتنوعة التى تقرب نفعه، وتُدنى جناه.

القاهرة فى ذى الحجة سنة ١٤٢٢هـ

مارس سنة ٢٠٠٢م

د/ على عمر

تاريخ
١٩٤٦

كتاب الحاج اللطيف ففضل مسكة واملها

وبناء البيت الشريف

تأليف الشيخ العلامة الفخامة مولانا جمال الدين

محمد جبار الله بن محمد نواز الدين بن محمد

ابن علي بن ظهير القنشي



المكتبة الوطنية المصرية

تقديراً لله

رحمة

في ذيل الكتاب في سنة

لعينه كتابته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الحمد لله الذي اصبح على اهل مكة بحياورة نبيه
 الامين مواد الفضل والنعمة: وجعلهم اهل خصائصه
 فخر الهم وتنويرها لئلا تفهم لما اقتضته الحكمة: وخصي
 في شفاء منهم بياض العز والجلال ودفع عنه كل بؤس
 ونقمة: وجاهه بمنزلة العناية والشرف وفارده جارا
 وچار الله جنديروا انزال انعام والحكمة: اجمعه على انظار
 في هذا المسلك رايشكوه على فضائل الجبه: وانشهد
 ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي اكرمنا بحبير
 بني كنانة خيرا منه: وانشهد ان سيدنا محمد احمدا
 وسكوك المنبعوث من هذه البقعة المطهرة لكشف
 مياحه الشوك والظلمة: بسم الله عليه وسلم وعلى اله
 واصحابه السادة الائمة: الذين تاصروه وظاهروه
 على عهده وقاسوا في صلته على همه: صلاة وسلاما
 وادعيت مقرونة بعظيم البركة والرحمة:

امر الجسد

ان ينظر في بعينه الرضا او الرضوان عما كان في لثمة كسلة
 ومن خطا اصلمه وان يصمغ عما يجرد في ترتيبه في ذل
 وما يظهره في حليل فان القلم قد يوغر او الجوار قد
 يكتبوا وقد سبق من اقتارى بالجزم والضعف ما يقتضه
 الصنف والعقد والانسباة غير معصوم من التلوا والنسب
 والمومن حوارة اخيه والله تبارك تعقد عن نظره او كتبه
 او اصل شيئا منه او فيه ولا تختم هذا الكتاب بما وردت
 حيا والبن على الله عليه السلام انما بقدر الشرف
 السموات السبع وما اظلمت وترت الارضين وما
 اظلمت ورب الشياطين وما اظلمت كن في حبار
 من شتر خلقه كلهم انما يفرط على احد منهم وان يبعث
 اعني عن جوارك وجبل ثناؤك ولا اله الا
 الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
 الله ونعم الوكيل ولا حول

ولا قوة الا بالله العلي

العلي

فكان الفراغ من نسخة على يد كاتبها في شهر ربيع
 من بعد سنة الف وستمائة في يوم الاربع عشر من شهر رمضان
 المبارك في العام الف وثمانين والالف والمائة والالف
 من لا ينسى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أسبغ على أهل مكة بمجاورة بيته الأمين مواد الفضل والنعمة .
 وجعلهم أهله وخاصته، نخرأ لهم وتنويعها بشأنهم لما اقتضته الحكمة . رخص من شاء منهم
 بياهر العز وانجلان ردفح عند كل بؤس ونقمة . وحباه بمزيد العناية والشرف فصار له جارا
 رجار الله جدير بوافر الإنعام والحرمة .

أحمده على انتظامي في هذا السلك، وأشكره على تفضلاته الجملة . وأشهد أن لا إله
 إلا الله وحده لا شريك له الذي أكرمنا بخير نبي كآ به خير أمة . وأشهد أن سيدنا محمدا
 عبده ورسوله المبعوث في هذه البقعة المطهرة لكشف غياهب الشك والظلمة، صلى الله
 عليه وعلى آله وأصحابه السادة الأئمة، الذين ناصروه وظاهروه على عدوه وقاموا في
 مصالحه على همة، صلاة وسلاماً دائمين مقرونين بعظيم البركة والرحمة .

أما بعد: فيقول الفقير إلى عفو الله ولطفه الخفي، محمد جبار الله بن ظهيرة القرشي
 المكي الحنفي: اعلم أنه لا يخفى على كل عاقل من ذوى الألباب السليمة، والأفكار
 الراقية الحسنة المستقيمة، أن الكعبة الشريفة هي أفضل مساجد الأرض وأنها بيت الله
 الحرام، وقبلة لجميع الأنام . وأن مكة المشرفة هي البلد الأمين، ومسقط رأس سيد
 المرسلين . وأهلها هم خاصة الله من البشر . الحائزون نهاية الشرف والفخر والظفر .
 والمسجد الحرام فضله لا ينكر . وما طوى من فضائله لم يزل ينشر . والأدلة على ذلك من
 الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى، وأعظم من أن تستقصى، وقد تصدى لتأليف فضائل
 مكة وأخبارها جمع كثير من فضلاء المتقدمين أجلهم الإمام المتقن أبو الوليد الأزرقى
 نعمه الله برحمته .

ومن المناخرين السيد العلامة المحرر القاضي تقي الدين الفاسي المكي بواه الله دار
 كرامته، وهو الدعول عليه، فإنه رحمه الله قد أغرب وأبدع، وأتى في مؤلفه شفاء الغرام،
 وخصصاته بما يشفى وينفع، وأظهر في ذلك جملا من المحاسن والمفاخر، وإن كان

لنمتقدم عليه فضل السبق والتأسيس فكم ترك الأول للآخر، غير أن الجميع رحمهم الله قد أطالوا الكلام وبالغوا في الإسهاب، ونشروا العبارة وبسطوها في جميع الكتاب، بحيث من أراد الإحاطة بذلك يحتاج إلى استيعاب جميع المؤلف مع كبر الحجم ليقف على ما هنالك. وربما قدم بعضهم ما يحسن تأخيرها، وآخر ما يحسن تقديمه وتقريره.

وممن جنح أيضًا إلى هذا الغرض وذكره ضمناً أرباب كتب المناسك في أوائل مناسكهم، فمنهم من أوسع العبارة وأطال بما يمكن أن يدرك بأدنى إشارة، ومنهم من مال إلى الإيجاز والاختصار، ومع ذلك فلم تسلم عبارته من التكرار، وبعضهم ضيق العبارة جداً، بحيث إنه ذكر ذلك في نحو ست ورقات عدا، فأخل حينئذ بما تعين أن يذكر، وأضرب صفحاً عن أمور وجب أن تثبت وتشهر.

فلما وجدتها على ما وصفت ولم أقف على مؤلف متوسط في ذلك يدل على المقصود، ولا ظنرت بتعلق مفرد يكون جامعاً لما هو في أسفار علماء هذا الفن موجود.

أحببت أن أجعل بعد الاستخارة تعليقاً لطيفاً غير مختصر مخل، ولا مطول ممل.

يكون عدة للقصاد، سالكا إن شاء الله تعالى سبيل التوسط والاقتصاد لقصور انهم في هذا الزمان عن مطالعة المطولات، ومراجعة المبسوطات.

أجمع فيه ما تفرق من مشور الكلام، وأضم كل لفظ إلى مناسبه ليحصل كمال الالتئام، ولما أن التأليف في هذا الوقت ليس هو إلا كما قال بعضهم: جمع ما تشتت، ورم ما تفتت مع زيادة فروع فقهية، وأحاديث نبوية. وآثار ضوية. وفوائد كثيرة. ولطائف غزيرة. مع تحرير عبارة وتقرير وإشارة.

مبشراً ذلك على قدر الفتوح. حسبما هو موجود في الأسفار مشروح، عازيا كل قول غالباً إلى قائله، ومبينه لطالعه وسائله، ليكون للواقف عليه عمدة، وأخرج بذلك من الدرك رالعهدة.

وما فتح الله به في كلامي على سبيل البحث «ببزة بقولي في أوله بما صورته أقول أو بحث، وفي آخره انتهى» أو والله الموفق بالقلم الأحمر^(١). وشرطت أن لا يخل الناسخ

(١) في هامش المطبوع: «اكتفينا بجعله بين فوسين» وقد أبقينا عليه كما ورد في المطبوع.

بذلك ليتميز عن كلام الغير، هذا مع اعترافى بكساد البضاعة وعدم التقدم فى هذه الصناعة، فشرعت مجتهدا فى ذلك، طالباً من الله تيسير تلك المسألة، وسميته:

«الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف»

ورتبته على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة.

المقدمة فى فضل العلم.

الباب الأول: فى مبدأ أمر الكعبة الشريفة وبيان فضلها وشرفها وما ورد فى ذلك من الآيات والأحاديث والآثار، وما سبب تسميتها الكعبة وتسميتها بالبيت العتيق.

الباب الثانى: فى زيادة تعظيم هذا البيت الشريف وما جاء فى فضله من الآيات الشريفة، والعجائب الباهرة المنيفة، وما ورد فى فضل المقام وما سبب تسميته بالمقام وفيه فصلان: (الأول) فى ذكر الحجر الأسود وما ورد فى فضله وشرفه (والثانى) فى فضل الملتزم والدعاء فيه وذكر الفيل وخبر تبع.

الباب الثالث: فيما يتعلق ببناء الكعبة الشريفة وعدد مرات بنائها وفيه أربعة فصول: (الأول) فى الكلام على البيت المعمور وذكر شىء من فضل جده على سبيل الاستطراد (والثانى) فى ذكر كنز الكعبة والكلام فيه (والثالث) فى الكلام على دخول الكعبة الشريفة وما ورد فى ذلك (والرابع) فى ثواب دخوله.

الباب الرابع: فى الكلام على كسوة الكعبة الشريفة وتطيبها وتحليتها ومعاليقها، وفيه فصل فى الكلام على سدانة البيت.

الباب الخامس: فى فضل الطواف بالبيت والطائفين به، وفيه ثلاثة فصول: (الأول) فى النظر إلى البيت (الثانى) فى بيان المواضع التى صلى فيها رسول الله ﷺ حول الكعبة (الثالث) فى بيان وجهة المصلين إلى القبلة من سائر الآفاق.

الباب السادس: فى فضل مكة شرفها الله تعالى وحكم المجاورة بها، وفيه ثلاثة فصول: (الأول) فى أفضليتها على المدينة (الثانى) فى أفضلية قبر النبى ﷺ على سائر البقاع (الثالث) فى ذكر أسماء مكة المشرفة.

الباب السابع: فى فضل الحرم وحرمة وفضل المسجد الحرام وخبر عمارته، وفيه خمسة فصول: (الأول) فى ذكر الآيات المختصة بالحرم (الثانى) فى الكلام على تعريف المسجد الحرام، وفيه ذكر شىء من خبر الإسراء على سبيل الاستطراد (الثالث) فى ذكر عمارة المسجد الحرام (الرابع) فى خبر عمارة الزيادتين اللتين به وذرعته وذكر المنابر (الخامس) فى كيفية المقامات التى بالمسجد الحرام وبيان مواضعها وحكم الصلاة فيها وما فى المسجد من القباب والأبنية وعدد أبواب المسجد الحرام.

الباب الثامن: فى فضل أهل مكة وشرفهم وما ورد فى ذلك، وفيه فصل واحد يتعلق بذكر نسب النبى ﷺ ونسب أصحابه العشرة، وذكر شىء من مناقب قريش.

الباب التاسع: فى ذكر مبدأ بئر زمزم وفضل مائها وأفضليته وخواصه، وفيه فصلان (الأول) فى ذكر أسمائها (الثانى) فى آداب الشرب منها.

الباب العاشر: فى عدد أمراء مكة من لدن عهد النبى ﷺ إلى يومنا هذا.

الخاتمة: فى ذكر الأماكن المباركة التى يستحب زيارتها بمكة وحرمتها وخارجها من المواليد والدور والمساجد والجبال والمقابر، سائلا من كرم الله ولطفه أن يهدينى إلى الطريق السواء ويجعلنى ممن أخلص النية فى العمل، وإنما لكل امرئ ما نوى، مستعينا به فيما أردت، مؤملا من فضله إتمامه حسبما قصدت، وهو الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب.

المقدمة

فى فضل العلم الشريف وأهله وطالبيه

وما ورد فيه من الآيات العظيمة

والأخبار الكريمة والآثار الجسيمة

اعلم أن العلم شرف الإنسان. وفخر له فى جميع الأزمان. وهو العز الذى لا يبلى
جديده. والكثر الذى لا يغبى مزیده. وقدره عظيم. وفضله جسيم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا
يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (سورة فاطر: ٢٨) برفع العلماء على الفاعلية. أى إنما يخاف الله
من عرفه حق معرفته وهم العلماء. وقرئ فى الشواذ برفع الاسم الشريف على الفاعلية
ونصب العلماء على المفعولية. وهذا مروى عن جماعة من العلماء منهم إمامنا أبو حنيفة
رضي الله عنه. كان الأستاذ الكمال ابن الهمام فى مجلس تدريسه فأورد عليه سائل قراءة أبى حنيفة
المذكورة فأجاب بقول الشاعر:

أهابك إجلالا وما بك قدرة

على ولكن ملء عين حبيبها

وحيث أن فالمراد بالخشية الإجلال. فيكون المعنى على هذا إنما يجلب الله من عباده
العلماء، وقال تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ (سورة آل عمران: ١٨)
الآية. فقرنهم بالملائكة ثم عطف شهادتهم على شهادته وميزهم من بين سائر الخلق
وفضلهم على جميع الناس لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا
الْعَالِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٣) ومن على سيد البشر بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُن تَعْلَمُونَ
وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ عَظِيمًا﴾ (سورة النساء: ١١٣) قال تعالى تنويرها بشأن العلماء: ﴿وَعَلَّمْتُم مَّا
لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ (سورة الانعام: ٩١) وقال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة
العلق: ٥) وقال تعالى فى جواب الكفار حين سألوا وما الرحمن: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ
۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾ (سورة الرحمن: ١ : ٤) وقال تعالى فى حق العلماء: ﴿قُلْ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر: ٩) وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ

آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴿١١﴾ (سورة المجادلة: ١١) قال بعض المفسرين: يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم. قال بعض العلماء: رفعتهم تشمل المعنوية في الدنيا بحسن الصيت وعلو المنزلة، والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (سورة طه: ١١٤) وجه الدلالة أن الله تعالى لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم. ومثل هذا كثير في كتاب الله، وفي بعض الكتب المنزلة (يقول الله: أنا الذي خلقت الخلق والقلم وعلمت الناس البيان).

وأما ما جاءت به بالسنة فأكثر من أن يحاط به. فمن ذلك ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وطالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر».

وروى عطية العوفى عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من غدا ليرتد العلم صلت عليه الملائكة وبورك له في معيشته».

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا من طرق الجنة».

وفي رواية: (سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم لرضاها بما يصنع). قال بعض العلماء المراد بوضع الأجنحة التواضع على جهة التشريف. وقيل على الحقيقة تضع أجنحتها لهم فيمشون عليها ولا يدركون ذلك للطافة أجسادهم.

وعنه ﷺ أنه قال: «العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر».

وعن أبي إسحاق المزني يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: «يقال للعابد يوم القيامة ادخل الجنة، ويقال للعالم: قف فاشفع لمن شئت».

وعنه ﷺ أنه قال: «العالم والمتعلم كهذه من هذه» وجمع بين المسبحة والتي تليها «شريكان في الأجر، ولا خير في سائر الناس بعد».

وعنه ﷺ أنه قال: «اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً لذلك، ولا تكن الخامس فتهلك».

وعن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مسألة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة وخير له من عتق رقبة من ولد إسماعيل».

لطيفة: تخصيص أولاد إسماعيل بالذكر دون غيرهم قيل: لكونهم أفضل أصناف الأمم، فإن العرب أفضل الأمم، ثم أفضلهم أولاد إسماعيل. وقيل: لأن أولاد إسماعيل لم يجر عليهم رق قبل الإسلام.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته» رواه مسلم.

وعنه ﷺ أنه قال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم».

وفي الترمذي: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».

وعنه ﷺ أنه قال: «يشفع الله يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» قال بعض الفضلاء: أكرم بمرتبة هي متوسطة بين النبوة والشهادة.

أقول: في العطف بـ «ثم» أدل دليل بعلى أفضلية العلماء على الشهداء كما لا يخفى على من عرف الحكم النحوي في ثم. انتهى.

وفي «الفائق» عنه ﷺ: «تعلموا العلم وعلموه الناس» وفيه أيضا: «تعلموا العلم واعملوا به» وفيه: «تعلموا العلم قبل أن يرفع» وفيه: «تعلموا العلم وكونوا من أهله» وفيه: «إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء في الجنة كما يحتاجون إليهم في الدنيا».

لطيفة: من الاحتياج إلى العلماء في الجنة أنه إذا دخل أهل الجنة إليها يعطيهم الله جميع ما يتمنونه ولا يزالون يتمنون بإذن ربهم حتى تعجز عقولهم وتديراتهم عن الأمانى، لأنهم نالوا كل ما أرادوا من النعيم، فيقول الله سبحانه بعد ذلك كله: تمنوا فلا يعرفون ما يتمنون، فيرجعون إلى العلماء فيسألونهم ما يتمنون فيستنبطون لهم أشياء من أسرار الله تبارك وتعالى فيتمنونها. كذا في «حاوي القلوب إلى لقاء المحبوب» لابن الميلى الشافعي رحمه الله.

والأحاديث في ذلك كثيرة جدا. وهذا بعض من كل، وقال بعض الفضلاء: العلم أمان من كيد الشيطان، وحرز من كيد الحسود ودليل العقل، ولقد أحسن من قال:

ما أحسن العقل والمحمود من عقلا
وأقبح الجهل والمذموم من جهلا
فليس يصلح نطق المسرء فى جدل
والجهل يفسده يوما إذا سئلا
والعلم أشرف شىء ناله رجل
من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا
تعلم العلم واعمل يا أخى به
فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا

وعن بعض الحكماء أنه قال: العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله،
والعمل قائده، والرفق والده، والبر أخوه، والصبر أمير جنوده.

وقال بعض الحكماء: لمثقال ذرة من العلم أفضل من جهاد الجاهل ألف عام، وقال
الإمام الشافعى رحمته الله وأعاد علينا من بركاته: الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة، وقال
ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم.

وقال بعض العلماء: العلم نور يهتدى به الحائر، وفى معناه أنشد:

بالعلم تحيا نفوس قط ما عرفت
من قبل ما الفرق بين الصدق والمين
العلم للنفس نور تستدل به
على الحقائق مثل النور للعين

وقال آخر:

كفى شرفا بالعلم دعواه جاهل
وينرح إن أمسى إلى العلم ينسب
ويكفى خمولا بالجهالة أنى
أراع متى أنسب إليها وأغضب

وقال ابن الزبير: إن أبا بكر كتب إلي وأنا بالعراق: يا بني عليك بالعلم فإنك إذا افتقرت إليه كان مالا، وإن استغنيت به كان جمالا، وأنشد في معناه:

العلم بلغ قوما ذروة الشرف
وصاحب العلم محفوظ من التلف
يا صاحب العلم مهلا لا تدنسه
بالموبقات فما للعلم من خلف
العلم يرفع بيتا لا عماد له
والجهل يهدم بيت العز والشرف

وقال بعض الفضلاء: ينبغي لكل عاقل أن يبالي في تعظيم العلماء ما أمكن ولا يعد غيرهم من الأحياء، وقد أجاد من قال:

ومن الجهالة أن تعظم جهلا
لصقال ملبسه وروتق نقشه
واعلم بأن التبسر في بطن الثرى
خاف إلى أن يستبين بنبشه
وفضيحة الدينار يظهر سرها
من حكة لا من ملاحه نقشه

وقال أبو طالب المكي في «قوت القلوب» جاء في الخبر أن الله تعالى لا يعذر عنى الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا يحل للعالم أن يسكت عن علمه، وقد قال سبحانه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٧).

وقال سيدى الشيخ سهل بن عبد الله التستري رحمته الله وأعاد علينا من بركاته: ما عصى الله بمعصية أعظم من الجهل، وما أطيع الله بمثل العلم.

وقال بعضهم رحمته الله: فسوة القلب بالجهل أشد من فسوته بالمعاصى. قال الشيخ محمد ابن على المنهاجى رحمه الله: قلت: والله أعلم ولهذا نجد الجاهل يسفخص كل من كان طالبا للعلم ويعد ذلك عيبا، وقيل فى معنى ذلك:

عاب التعلم قوم لا عقول لهم
وما عليه إذا عابوه من ضرر
ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة
أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه: العلم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال. والعلم حاكم والمال محكوم عليه. والعلم يزيد بالإتفاق والمال ينقص بالنفقة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: خير سليمان بن داود صلوات الله عليهما بين العلم والملك والمال فاختار العلم فأعطى الملك والمال معه. وقال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم نور يجعله الله في قلب من يشاء.
وقال بعض الحكماء: ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فات من أدرك العلم. وما أحسن ما قيل:

مع العلم فاسلك حيثما سلك العلم
وعنه فكاشف كل من عنده فهم
ففيه جلاء للقلوب من العمى
وعون على الدين الذي أمره حتم
فخالط رواة العلم واصحب خيارهم
فصحببتهم زين وخلطتهم غنم
ولا تعدون عيناك عنهم فإنهم
نجوم هدى إن غاب نجم بدا نجم
فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى
ولا لاح من غيب الأمور لنا رسم

وعن ابن المبارك أنه قال: لا يزال المرء عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.

وعن عثمان بن أبي شيبة قال: سمعت وكيعا يقول: لا يكون الرجل عالما حتى يسمع

ممن هو أسن منه وممن هو مثله وممن هو دونه . وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : منهومان لا يشبعان : طالب العلم وطالب الدنيا ، وهما لا يستويان ، أما طالب العلم فيزداد رضى الرحمن ، وأما طالب الدنيا فيزداد فى الطغيان ثم قرأ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴾ ﴿ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ﴾ ﴿ وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم

على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه

والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففرز بعلم تعش حيا به أبدا

فالناس موتى وأهل العلم أحياء

وقيل للحسين بن الفضل رضي الله عنه : هل تجد فى القرآن من جهل شيئا عاداه؟ فقال : نعم ، فى موضعين : قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ (سورة يونس : ٣٩) وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَارٌ قَدِيمٌ ﴾ (سورة الاحقاف : ١١) .

وقال يحيى بن معاذ الرازى رضي الله عنه : العلماء أراف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم وأرحم عليهم من آبائهم وأمهاتهم ، وذلك أن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وآفاتهما ، والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة وشدائدها .

وقال سفيان الثورى رضي الله عنه : العجائب عامة وفى آخر الزمان أعم ، والنوائب طامة وفى أمر الدين أطم . والمصائب عظيمة ، وموت العلماء أعظم ، وإن العالم حياته رحمة للأمة ، وموته فى الإسلام ثلثة .

وعن معاذ : تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وما أحسن قول الزمخشري :

وكل فضيلة فيها سناء

وجسدت العلم من هاتيك أسنى

فلا تعتد غير العلم ذخرا

فإن العلم كثر ليس يفنى

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوع.
وعن عمر رضي الله عنه: موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت العالم البصير
بحلال الله وحرامه.

والكلام في هذا يطول، ولنختتم هذا النوع بحديث نبوي ورد في الصحيحين عن عبد
الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله لا يقبض
العلم انتزاعاً ينزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى لم يبق عالم اتخذ
الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير بعلم فضلوا وأضلوا» وهذا التعليق لا يحتمل أكثر
من هذا. وفيما ذكرته مقنع

اللهم إني أسألك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أن ترزقني علماً نافعا وتختم لي بخير
وتحشرني في زمرة من ذكرتهم بقولك تبارك اسمك: ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (سورة النساء: 69) آمين يا رب
العالمين.

الباب الأول

فى مبدأ أمر الكعبة الشريفة وبيان فضلها وشرفها

وما يدل على ذلك من الآيات والاحاديث والآثار والحكايات والعجائب

[وما سبب تسميتها كعبة وتسميتها بالبيت العتيق^(١)

أما الآيات فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ (سورة آل عمران: ٩٦، ٩٧) الآيتين. قال الكواشى: سبب نزول هاتين الآيتين أن اليهود لما قالوا للمسلمين: قبلتنا قبل قبلكم أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾.

واختلف فى معنى كونه أول بيت وضع للناس، فقيل: أول بيت وضعه الله للطاعات وجعله متعبدا وقبلة للصلوات وموضعا للطواف، ويدل عليه ما روى عن علي رضي الله عنه، أنه سئل أهو أول بيت وضع؟ فقال: كان قبله بيوت ولكنه أول متعبد. وقيل: أول بيت بنته الملائكة فلما حججه آدم قالت له الملائكة: برححك فإننا قد حججنا قبلك بالفى عام. وقيل: أول بيت بناه آدم. وقيل: أول بيت بناه إبراهيم، وقيل: أول بيت حج بعد الطوفان. وقيل: أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض. فهذه ستة أقوال.

وبيان القول الأخير أن الله تعالى كان ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء وليس هو ماء البحر بل هو ماء تحت العرش بكيفية شاءها الله تعالى. فقيل: إنه خلق السماء دخانا قبل الأرض وفتقها سبعا بعد الأرض. ورده بعضهم بأن خلق الأرض كان أولا مستدلا بقوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (سورة فصلت: ٩) إلى قوله: ﴿طَائِعِينَ﴾. قال النسفى فى تفسيره المسمى «بالمدارك»: يفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض، وبه قال ابن عباس رضي الله عنه واختاره الشيخ جلال الدين السيوطى من المتأخرين، وأجاب بذلك عن سؤال رفع إليه صورته:

يا عالم العصر لا زالت أناملكم

تهمى وجودكم نام مدى الزمن

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوع.

لقد سمعت خصامًا بين طائفة
من الأفاضل أهل العلم واللسن
في الأرض هل خلقت قبل السماء وهل
بالعكس جا أثر يا نزهة الزمن
فمنهم قال إن الأرض منشأة
بالخلق قبل السما قد جاء في السنن
ومنهم من أتى بالعكس مستندا
إني كلام إمام ماهر فطن
أوضح لنا ما خفى من مشكل وأبن
نجاك ربك من زور ومن محن
ثم الصلاة على المختار من مضر
ماحي الضلالة هادي الخلق للسنن

فاجاب رضي الله عنه بما صورته:

الحمد لله ذي الإفضال والمنن
ثم الصلاة على المبعوث بالسنن
الأرض قد خلقت قبل السماء كما
قد نصه الله في حاميم فاستبين
ولا ينافيه ما في التارعات أتى
فدحوها غير ذاك الخلق للفظن
فالحبر أعنى ابن عباس أجا بذا
لما أتاه به قسوم ذور لسن
وابن السيوطى قد خط الجواب لكى
ينجو من النار والآثام والفتن

انتهى بنصه .

فإن قيل: هل قول السماء والأرض كان بلسان الحال أم المقال: قيل: إن ظهور الطاعة منهما قام مقام قولهما. وقيل: إن الله خلق فيهما كلاما فنطق من الأرض مروض الكعبة ونطق من السماء ما بحيالها.

مطلب: أصل طينة النبي ﷺ من مكة

قال الثعلبي: خلق الله تعالى جوهرة خضراء ثم نظر إليها بالهيبة فصارت ماء فخلق الله الأرض من زبده والسماء من بخاره فكان أول ظاهر على وجه الأرض مكة. زاد غيره ثم المدينة ثم بيت المقدس ثم دحا الأرض منها طبقًا واحدًا ثم فتقها بعد ذلك وكذلك السماء. وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أصل طينة النبي ﷺ من سرة الأرض بمكة. قال بعض العلماء: في هذا إيذان بأنها التي أجابت من الأرض، وعن كعب الأخبار رضي الله عنه قال: كانت الكعبة غشاء على الأرض. قبل خلق السموات والأرض بأربعين سنة، ومنها دحيت الأرض فهو ﷺ الأصل في التكوين والكائنات تبع له.

مطلب: مدفن الإنسان بترتبه

فإن قيل: مدفن الإنسان يكون بترتبه، أي مكان طينته التي خلق منها وهو ﷺ دفن بالمدينة الشريفة، أجاب بعض العلماء أن الماء لما تموج عند وقوع السطوفان ألقى تلك الطينة إلى ذلك الموضع من المدينة الشريفة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما كان العرش على الماء قبل أن تخلق السموات والأرض بعث الله ريحا هفافة - بفاءين - فصفقت الماء فأبرزت عن خشفة في موضع البيت كأنها قبة، فدحا الله الأرضين من تحتها فمادت ثم مادت فأوتدها بالجيال.

مطلب: أول جبل وضع في الأرض أبو قبيس

وكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس، فلذلك سميت مكة أم القرى أي أصلها. والخشفة بالخاء والشين المعجمتين والفاء واحدة الخشف، وهي حجارة تنبت في الأرض نباتا. وروى عمر بن شبة في أخبار مكة: خشعة بالعين المهملة عوضا عن الفاء وهي أكمة لاطية بالأرض. وقيل: هو ما غلب عليه السهولة وليس بحجر ولا طين. ويقال للجزيرة التي في البحر لا يعلوها الماء خشفة بالفاء وجمعها خشاف.

وقوله في الآية السابقة: ﴿لَلَّذِي بِكَّةً مُّبَارَكًا﴾ (سورة ال عمران: ٩٦) أى كثير الخير لما يحصل لمن حجه أو اعتمره أو عكف عنده أو طاف حوله من الثواب.

وانتصاب مباركاً على الحال. قال الزجاج وغيره: المعنى استقر بمكة في حال بركته وهو حال من وضع، وقوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ (سورة ال عمران: ٩٧) قال النسفى في «تفسيره»: أى علامات واضحة لا تلتبس على أحد.

ومقام إبراهيم: عطف بيان لقوله آيات بينات، وصحح بيان الجماعة بالواحد، لأنه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالة على قدرة الله تعالى ونبوة إبراهيم عليه السلام من تأثير قدمه فى صخر صلد، أو لاشتماله على آيات، لأن أثر القدم فى الصخرة الصماء آية، وغوصه فيها إلى الكعبين آية، وإلانة بعض الصخرة دون بعض آية، وإبقاءه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية لإبراهيم خاصة.

وقوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (سورة ل عمران: ٩٧) عطف بيان لآيات، فكانه قيل: فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن داخله. والآيتان فى معنى الجمع، ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهم دلالة على تكاثر الآيات، فكان المعنى مقام إبراهيم وأمن من دخله وكثير سواهما، ونحوه فى طى الذكر قوله ﷺ: «حُبُّ إِلَى مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ» وقيل إن لفظ ثلاث موضوعة لا أصل لها فى الحديث، كما صرح به بعض أئمة الحديث «الطيب والنساء وقرة عيني فى الصلاة» فقرة عيني ليس من الثلاث، بل هو ابتداء كلام لأنها ليست من الدنيا، والثالث مطوى. انتهى باختصار.

مطلب: أول مسجد وضع بالأرض المسجد الحرام

وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أى مسجد وضع فى الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون عاماً.

وفى ذلك إشكال أشار إليه جدى - أى جد المؤلف قاضى القضاة شيخ الاسلام خطيب المسجد الحرام فخر الدين أبو بكر بن على بن ظهيرة الشافعى تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوح جنته - فى منسكه المسمى «بشفاء الغليل فى حج بيت الله الجليل» وهو أن

مسجد مكة بناه إبراهيم عليه السلام بنص القرآن ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (سورة البقرة: ١٢٧) الآية. والمسجد الأقصى بناه سليمان كما جاء في حديث ابن عمر، أخرجه النسائي بإسناد صحيح. وبين إبراهيم وسليمان زمان طويل يزيد على ألف سنة كما قاله أهل التواريخ، فكيف قال في الحديث: بينهم أربعون سنة؟ والجواب عن ذلك بأنه يحتمل أن إبراهيم وسليمان إنما جددا ما بناه غيرهما كما سيأتي آنفا من أن أول من بنى البيت آدم، فيجوز أن يكون غيره من ولده وضع بيت المقدس بعده بأربعين عاما. ويجوز أن تكون الملائكة أيضا بنته بعد بنائها البيت بإذن من الله تبارك وتعالى، فعلى هذه الأقاويل يكون قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ وضع على ظاهره، وهو الذي عليه جمهور العلماء وصححه النووي. انتهى بمعناه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (سورة البقرة: ١٢٥) المراد بالبيت الكعبة، لأنه غالب عليها كالنجم للثريا. ومثابة: قال النسفي: مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه.

وأما موضع أمن، فإن الجاني يأوى إليه فلا يتعرض له حتى يخرج، وهو دليل لنا في انملتنجى إلى الحرم. انتهى.

وأصل الثوب لغة: الرجوع، ومن ذلك قوله تعالى عقب هذه الآية: ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٢٥) الآية، المعنى: طهرا من الأوثان والأنجاس والخبائث كلها. والمراد بالطائفين: الدائرون حوله. وبالعاكفين: قيل: المجاورون الذين عكفوا عنده أى أقاموا لا يرحلون.

وقيل: المعتكفون، وقيل: الطائفون النزاع إليه من البلاد. والعاكفون: المقيمون عنده من أهل مكة.

مطلب: قبلته ﷺ

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ (سورة البقرة: ١٤٣) ثم قوله: ﴿فَلَنُؤَيِّدَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ (سورة البقرة: ١٤٤) الآيات.

وروى أن رسول الله ﷺ كان يصلى بمكة إلى الكعبة ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول إلى الكعبة .

قال النسفى: أى وما جعلنا القبلة التى تحب أن تستقبلها الجهة التى كنت عليها أولا بمكة الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الإسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد، فقد ارتد عن الإسلام عند تحويل القبلة جماعة . انتهى .

والمراد بقوله: ﴿ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ بمعنى المحرم هو الكعبة . قال الكواشى: وذكر النسفى أن المراد جهته وسمته أى جعل تولية الوجه تلقاء المسجد وشطره نصب على الظرف أى نحوه، لأن استقبال عين القبلة متعسر على النائى .

وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين . انتهى ، وقوله: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (سورة البقرة: ١٤٤) قال الزمخشري أى إن التحويل إلى الكعبة هو الحق لأنه كان فى بشارة أنبيائهم برسول الله ﷺ أنه يصلى إلى القبلتين .

مطلب: تحويل القبلة

فائدة: قال العلامة شهاب الدين أبو الفضل بن العماد الأقفهسى فى الدررة الضوية فى هجرة خير البرية: كان تحويل القبلة فى السنة الثانية من الهجرة . ثم قال: قال النووى ناقلا عن محمد بن حبيب الهاشمى: حولت القبلة فى ظهر يوم الثلاثاء نصف شعبان، كان النبى ﷺ فى أصحابه فحانت صلاة الظهر فى منازل بنى سلمة - بكسر اللام - فصلى بهم ركعتين من الظهر فى مسجد القبلتين إلى بيت المقدس، ثم أمر وهو فى الصلاة باستقبال الكعبة وهو راعى فى ثالثة فاستدار واستدارت الصفوف خلفه ﷺ ، فأتى الصلاة، فسمى مسجد القبلتين .

وكان ﷺ مأمورا بالصلاة إلى بيت المقدس مدة مقامه بمكة وبعد الهجرة بستة عشر شهرا أو سبعة عشر، ثم قال - أعنى ابن العماد: قول النووى أنه ﷺ كان مأمورا باستقبال بيت المقدس مدة إقامته بمكة قد جزم البغوى بخلافه فقال فى تفسير قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ ﴾ (سورة البقرة: ١٤٤) الآية، كان رسول الله ﷺ وأصحابه يصلون

بمكة إلى الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة أمره الله تعالى أن يصلى نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم بما يجدون من نعمة في التوراة، فصلى إليها ستة عشر شهراً أو سبعة عشر، وكان يحب أن يتوجه إلى الكعبة لأنها كانت قبله إبراهيم.

وقال مجاهد: كان يحب ذلك من أجل أن اليهود كانوا يقولون: يخالفنا ويصلى إلى قبلتنا، فقال ﷺ لجبريل: وددت لو حولنى الله إلى الكعبة، فقال له سل ربك. فجعل ﷺ يديم النظر إلى السماء فأنزل الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ (سورة البقرة: ١٤٤) الآيات. انتهى بنصه.

وما جزم به البغوى من أنه ﷺ كان يصلى بمكة إلى الكعبة هو المعتمد وعليه أكثر المفسرين وأصحاب السير.

مطلب: المختار أنه ﷺ لم يكن متعبداً

بشرع من قبله بعد البعثة

واختلف العلماء هل كان ذلك باجتهاد أو بأمر من ربه؟ وهذا تفريع على الأصح من أنه ﷺ لم يتعبد بشرع غيره بعد البعثة. ومن ذلك قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ﴾ (سورة المائدة: ٢) أى لا تحلوا من قصده من الحجاج والعمار، وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها، قاله النسفى.

أقول: وتوجيهه أن المتنسكين إنما أرادوا تعظيم هذا البيت المشرف وجزيل الثواب، وفى الإحالة إبطال ذلك، والله الموفق.

وفى «تفسير الكواشى»: ﴿ وَلَا آمِينَ ﴾ أى ولا قتال قاصدين البيت، فإن قيل: هذا عام فى المؤمنين والمشركين أم انتسخ الحكم فى حق المشركين؟ فالجواب أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ (سورة التوبة: ٥) ويقول: ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ (سورة التوبة: ٢٨) وهو المشهور.

مطلب : عن الحسن وغيره ليس في المائدة منسوخ

وعن الحسن وغيره ليس في المائدة منسوخ . ومن ذلك قوله تعالى في السورة المذكورة ﴿ هَدْيًا بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ ﴾ (سورة المائدة: ٩٥) فبالغ الكعبة صفة لهدياً وجرار الوصف بذلك لأن إضافته غير حقيقية كما صرح به النحاة . ومعنى بلوغ الكعبة أن يذبح بالحرم وهو فناء المسجد الذي هو فناء للبيت ، كل ذلك تعظيماً لهذا البيت أن لا تقام هذه القرية إلا في حرمة ، ولا يجزئ الذبح في غيره .

فروع: الأول: الهدى المذكور في الآية هو جزاء الصيد، ويجب على المحرم عندنا بقتله الصيد سواء كان ناسياً أو عامداً أو مبتدئاً وهو الذي قتل الصيد مرة أو عائداً وهو الذي قتل مرة بعد أخرى، بل العائد عندنا أشد جنائياً خلاقاً لمن يقول لا جزاء على العائد لأن الله تعالى قال: ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴾ (سورة المائدة: ٩٥) جعل كل جزاء العائد الانتقام في الآخرة فلا تجب الكفارة .

والجواب عنه بأن وجوب الكفارة في العائد مستفاد من الآية بدلالة النص، والمراد من قوله: ومن عاد، العود مستحلاً .

الثاني: يجب الجزاء على المحرم عندنا بالدلالة أيضاً خلاقاً للشافعي لأنه يقول: الجزاء متعلق بالقتل في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ﴾ (سورة المائدة: ٩٥) ليست بقتل ولنا قوله ﷺ: هل أشرتكم هل دلتكم . . . الحديث . مع أن في الدلالة عليه تفويهاً لأمته وهو قتل معنى .

الثالث: يجوز التصدق بلحوم الهدايا عندنا على مساكين الحرم وغيرهم سواء كان التصدق بالحرم أو حيث شاء بعد أن حصلت الإراقة في الحرم، وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز التصدق إلا بالحرم على مساكينه فقط نص عليه ابن خليل في «منسكه» ومن ذلك قوله عقيب الآية المتقدمه أنفاً ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾ (سورة المائدة: ٩٧) أي قواماً لهم في أمر دينهم ودنياهم فلا يزال في الأرض دين ما حجت وعندها المعاش والمكاسب كذا في «منسك» ابن جماعة . قال الجد تغشاه الله برحمته بعد ذكر هذه الآية: أي ركز في قلوبهم تعظيمها بحيث لا يقع فيها أذى على أحد وصارت وازعاً لهم من الأذى

وهم في الجاهلية الجهلاء لا يرجون جنة ولا يخافون ناراً إذ لم يكن لهم ملك يمنعهم من أذى بعضهم بعضاً، فقامت لهم حرمة الكعبة مقام حرمة الملك. هذا مع تنافسهم وتحاسدهم ومعاداتهم وأخذهم بالشار، وبالجملة فهو سبب لقيام مصالح الناس في أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم: أما في أمر الدين فإن به يقوم الحج وتم المناسك، وأما في أمر الدنيا فإنه تجبى إليه ثمرات كل شيء ويأمنون فيه، وأما في الآخرة فلأن المناسك لا تقام إلا عنده، وهي سبب لعلو الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات. انتهى بحروفه.

وروى عن الحسن البصرى أنه تلا هذه الآية ثم قال: لا يزال الناس على دين ما حجوا البيت واستقبلوا القبلة.

مطلب: وجه تسمية البيت الحرام كعبة

وفي تسمية البيت كعبة أقوال، فقيل: لتكعبه أي تبرعه، يقال برد مكعب إذا طوى مربعاً، وقيل لعلوه وثنوته، ومنه سمى الكعب كعباً لثنوته وخروجه من جانب القدم، يقال تكعبت الجارية إذا خرج نهداها، وقيل لانفرادها عن البيوت وارتفاعها. وذكر الأزرقى ر نمه الله في «تاريخه» أن الناس كانوا يبنون بيوتهم مدورة تعظيماً للكعبة^(١).

مطلب: أول من بنى بيتاً مربعاً بمكة حميد بن زهير

وأول من بنى بيتاً مربعاً حميد بن زهير، فقالت قريش: ربع حميد بيتاً، إما حياة وإما موتاً^(٢).

وذكر أيضاً أن شيبه بن عثمان كان يشرف فلا يرى بيتاً مشرفاً على الكعبة إلا أمر بهدمه.

ونقل عن جده عن يوسف بن ماهك قال: كنت جالساً مع عبد الله بن عمرو بن العاص في ناحية المسجد الحرام إذ نظر إلى بيت على أبي قبيس مشرف على الكعبة فقال: أبيت ذلك؟ قلت: نعم، فقال: إذا رأيت بيوت مكة قد علت أخشبيها كذا وفجرت بطونها أنهاراً فقد أذف الأمر. أي: قرب^(٣).

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٨٠.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٨٠.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٨٠.

وذكر أن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لما بنى داره التي بمكة على الصيارفة حيال المسجد الحرام أمر القوام أن لا يرفعوا بناءها فيشرفوا به على الكعبة إعظاماً لها، وأن الدور التي كانت تشرف على الكعبة هدمت وخربت إلا دار العباس هذه فإنها على حالها إلى اليوم. انتهى بمعناه^(١).

وأخرج ابن شبة البصرى في مؤلفه «أخبار مكة» أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قدم مكة رأى حول الكعبة بناء قد أشرف عليها فأمر بهدمه وقال: ليس لكم أن تبنوا حولها ما يشرف عليها. انتهى.

أقول: إذا كانت العلة في عدم العلو والإشراف هي الإعظام، فارتفاع البيوت الموجودة الآن المحيطة بالمسجد تؤذن بتركه، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وبالجملة التطاول في البيان من علامات الساعة على حد قوله عليه السلام: «وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البيان» لأن المراد من الحديث الإخبار بتغير الأحوال وتبديلها كما قال الإشبيلي. وفيه دليل على كراهة ما لا تدعو الحاجة إليه من تطويل البناء وتشيدده. ومات عليه السلام ولم يشيد بناء ولا طوله. انتهى.

وما تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنفاً مشعر بذلك حيث قال: فقد أرف الأمر.

وأما تسميته بالبيت الحرام فلأن الله تعالى حرمه وعظمه وحرم أن يصاد صيده وأن يختلى خلاه وأن يعضد شجره وأن يتعرض له بسوء. ثم المراد بتحريم البيت سائر الحرم على حد قوله تعالى ﴿ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ (سورة المائدة: ٩٥) فإن المراد بها الحرم كما تقدم أنفاً. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ ﴾ (سورة الحج: ٢٦) أي المقيمين بمكة، وناهيك بهذه الإضافة المنوّهة بذكره المعظمة لشأنه الرافعة لقدره. وكفى ذلك شرفاً وفخراً، وبه علا على سائر البقاع عظمة وقدر، وما أحسن ما قيل في ذلك المعنى:

وكفى شرفاً أنى مضاف إليكم

وانى بكم أدعى وأدعى وأعرف

وهى من السرفى إقبال قلوب العالمين عليه وعكوفهم لديه، وأنشد في المعنى:

(١) أخبار مكة للأرقم ج ١ ص ٢٨٠.

لا يرجع الطرف منه حين يبصره

حتى يعود إليه الطرف مشتاقا

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (سورة الحج: ٢٩) والمراد به طواف الزيارة الذي هو ركن في الحج باتفاق الأئمة الأربعة، ولا يحصل تمام التحلل إلا به، وهو آخر فرائض الحج الثلاثة، ثم قال قال النسفي: وهو: مطاف أهل الغبراء كما أن العرش مطاف أهل السماء.

مطلب: تسمية الكعبة البيت العتيق

واختلف في تسميته بالعتيق، فقيل: لأن الله أعتقه من الجبابة فلم يظهر عليه جبار. وقيل: لقدمه لأنه أول بيت وضع كما تقدم، والعتيق القديم، قاله الحسن. وقيل: لأنه كريم على الله لأنه لم يجر عليه ملك لأحد من خلق الله فلا يقال بيت فلان وإنما بيت الله. وقيل: لأنه أعتق من الغرق لما أنه رفع زمن الطوفان. وقيل: لشرفه سمي عتيقا. وقيل: لأن الله تعالى يعتق فيه رقاب المؤمنين من العذاب. وقيل: لأنه يعتق زائر من النار وهو قريب مما قبله. وقيل غير ذلك. والقول الأول هو المعتمد وفي هذا من التنويه بشأنه ما لا يخفى.

استطراد: قوله بعد هذه الآية: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ﴾ (سورة الحج: ٣٠) الآية، قال النسفي: الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها، فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج.

وقيل: حرمة الله خمس: البيت الحرام، والمشعر الحرام، والشهر الحرام، والبلد الحرام، والمسجد الحرام.

أقول: فعلى هذا القول يكون التعظيم خاصا بهذه الخمس والله الموفق. وذكر الزمخشري بدل المشعر المحرم حتى يحل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (سورة الحج: ٣٣) أي عنده، والمراد الحرم الذي هو حريم البيت كقوله: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكُعبَةِ﴾ (سورة المائدة: ٩٥) كما تقدم، والمعنى واحد فلا نطول.

مكثفة: ثم: للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الأحوال آنفاً، والمعنى إن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دينكم ودنياكم وأعظها وأبعدها شوطاً في النفع محلها إلى البيت العتيق. كذا في «الكشاف» وهذا بعض ما ورد من الآيات بنصها على فضل هذا البيت وشرفه. وأما ذكره الله ضمن الآيات على سبيل الكناية فكثير كما ذكره المفسرون.

وأما الأحاديث والآثار فأكثر من أن تحصى، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «إن هذا البيت دعامة الإسلام ومن خرج يوم هذا البيت من حاج أو معتمر زائراً كان مضموناً على الله إن رده رده بأجر وغنيمة، وإن قبضه أن يدخله الجنة» وقال صلى الله عليه وسلم: «من خرج في هذا الوجه لحج أو عمرة فسمات لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة» وعنه صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حتى تعظيمها» يعني الكعبة والحرم «فإذا ضيعوا ذلك هلكوا» أخرجه ابن ماجه وسنده حسن. . إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار كما ستأتى مفرقة في الأبواب الآتية في مظانها إن شاء الله تعالى مع مزيد بيان وإيضاح. والله أعلم.

الباب الثاني

فيما ورد من الآيات الشريفة والعجائب الباهرة المنيفة
في زيادة تعظيم هذا البيت الشريف وما جاء في فضله
وما ورد في فضل المقام وما السبب في تسميته بالمقام

وفيه فصلان:

الأول: في ذكر الحجر الأسود وما ورد في فضله وشرفه وما سبب تسميته بالأسود.
والفصل الثاني في فضل الملتزم.

اعلم أن لهذا البيت المعظم زاده الله تشريفا وتعظيما آيات كثيرة وعجائب غزيرة تدل
على شرفه وفضله، منها: مقام إبراهيم صلوات الله عليه، وهو لغة موضع قدم القائم،
ومقام إبراهيم هو الحجر الذي وقف عليه الخليل، وفي سبب وقوفه عليه أقوال:

الأول: أنه وقف عليه لبناء البيت، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أنه جاء يطلب ابنه إسماعيل عليهما السلام فلم يجده، فقالت زوجته انزل،
فأبى، فقالت: دعني أغسل رأسك فأنته بحجر فوضع رجله عليه وهو راكب فغسلت شقه
ثم رفعتة وقد غابت رجله فيه فوضعتة تحت الشق الآخر وغسلته فغابت رجله الثانية فيه
فجعله الله من الشعائر. وهذا القول منسوب إلى ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما.

الثالث: أنه وقف عليه للأذان للحج. وذكر الأزرقى في «تاريخه» أنه لما فرغ من
التأذين جعل المقام قبله فكان يصلى إليه مستقبلا الباب. وذكر أيضا أن ذراع المقام ذراع
وأن القدمين داخلان فيه سبعة أصابع.

وذكر القاضي عز الدين بن جماعة في «منسكه» أنه حرر مقدار ارتفاعه من الأرض
فكان نصف ذراع وربع وثمان بذراع القماش المستعمل بمصر في زمنه.

وذكر أن أعلى المقام مربع من كل جهة نصف ذراع وربع وموضع غوص القدمين في
المقام ملبس بفضة وعمقه من فوق الفضة سبع قراريط ونصف قيراط بالذراع المتقدم.

أقول: لا مناقضة بين ما ذكره الأزرقى والقاضى عز الدين فى ذرع المقام، ويمكن الجمع بأن ذرع الأزرقى كان باليد وذرع القاضى عز الدين بالذراع الحديد حسبما تقدم، وبين ذراع اليد والحديد فرق نحو ثمن أو قريب منه بحسب الأشخاص فتأمل. انتهى.

وأخرج الأزرقى أيضاً أن السيول كانت تدخل المسجد الحرام فربما رفعت المقام عن موضعه حتى جاء سيل أم نهشل الذى ماتت فيه فاحتل المقام فذهب به فوجد بأسفل مكة فأتى به فربط إلى أستار الكعبة فى وجهها، وكتب بذلك إلى عمر فأقبل فرعاً فدخل معتمراً فى رمضان وقد عفا السيل موضع المقام فدعا الناس وسألهم عن موضعه، فقال المطلب ابن أبى وداعة: عندى علم ذلك، كنت أخشى عليه هذا فأخذت قدره من موضعه إلى الركن وإلى باب الحجر وإلى ززم بميقاط وهو عندى فى البيت، فقال له عمر: اجلس عندى وأرسل إليها فأرسل المطلب فأتى بها فوجدها عمر كما قال، فشاور الناس عمر واستثبت فقالوا: هذا موضعه فأمر بإحكام ربطه تحته ثم حوله فهو فى مكانه إلى هذا اليوم^(١) انتهى بمعناه.

ومكانه هذا هو مكانه فى زمن الخليل عليه السلام كما نقله الإمام مالك فى «المدونة» ثم قال: وكانت قريش فى الجاهلية ألصقته بالبيت خوفاً عليه من السيول، واستمر كذلك فى عهد صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر رضي الله عنه، فأتى عمر رضي الله عنه رده إلى موضعه الآن كما سمعت. انتهى.

وأخرج الأزرقى عن ابن أبى مليكة أنه قال: موضع المقام هذا الذى هو فيه اليوم هو موضعه فى الجاهلية وفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضي الله عنه إلا أن السيل ذهب به فى خلافة عمر ثم رد وجعل فى وجهة الكعبة حتى قدم عمر فرده^(٢). وفى هذا مناقضة لما قاله مالك رضي الله عنه فى «المدونة» والله أعلم بالحقائق.

وصحح ابن جماعة ما قاله مالك. ويرى أن رجلاً يهودياً أو نصرانياً كان بمكة يقال له جريج فأسلم، ففقد المقام ذات ليلة فوجد عنده، أراد أن يخرج به إلى ملك الروم، فأخذ منه ثم قتل^(٣).

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٣٥.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٣٣.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٢٨.

ونقل العلامة ابن خليل في «منسكه الكبير» أن الحجرين الكبيرين السمفروشين خلف المقام اللذين يقف المصلي عليهما قد صلى عليهما بعض الصحابة.

مطلب : تقبيل المقام واستلامه ليس بسنة

وقال أيضاً إن مسح المقام ومسحه وتقبيله ليس سنة، إنما أمرنا بالصلاة عنده، وروى أن ابن الزبير رأى قوماً يمسخون المقام، فقال: لم تؤمروا بالمسح، إنما أمرتم بالصلاة عنده. انتهى.

مطلب مهم

بحوث: كون المسح والتقبيل ليس سنة لا يمنع من الإتيان بهما على وجه التبرك، فمن فعل ذلك تبركاً فالظاهر أنه لا بأس به فتأمل. والله الموفق.

وروى أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فقال عليه السلام: لم أومر بذلك. فلم تغب الشمس حتى نزل قوله: ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾ (سورة البقرة: ١٢٥) الآية. وهذا أحد المواطن التي وافق فيها عمر ربه.

مطلب : فيما يتعلق بالحجر الاسود

(ومنها) الحجر الاسود وحفظه وهو يمين الله في الأرض، يشهد لمن استلمه بحق وأنه من الجنة. وسيأتي معنى كونه يمين الله.

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال «استقبل النبي عليه السلام الحجر ثم وضع شفتيه عليه بيكى طويلاً ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب بيكى فقال: يا عمر ها هنا تسكب العبرات» رواه ابن ماجه والحاكم^(١).

وعنه عليه السلام «ما من أحد يدعو عند هذا الركن الأسود إلا استجاب الله له» أخرجه القاضي عياض في «الشفاء»^(٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک برقم ١٦٧٠.

(٢) الشفاء للقاضي عياض ج ٢ ص ٥٩.

مطلب الحجر الأسود والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمة. ومعنى فاوض: لابس، كذا ذكره العلامة ابن جماعة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو مسند ظهره إلى الكعبة «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة، ولولا أن الله طمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب»^(١).

وقد فضل الله بعض الأحجار على بعض كما فضل بعض البقاع والأيام والبلدان على بعض. وفي رواية: «ولولا ما مسهما من خطايا بني آدم لأضاء ما بين المشرق والمغرب». وفي رواية لابن أبي شيبة: «ما بين السماء والأرض، وما مسهما من ذى عاهة ولا سقيم إلا شفى». وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم «أنزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم» حديث حسن صحيح، وفي رواية خطايا أهل الشرك» وفي رواية لابن أبي شيبة «من الثلج» وفي رواية «كأنه لؤلؤة بيضاء» وفي رواية: «كأنه ياقوتة بيضاء» وفي رواية للأزرقي: «وانه لأشد بياضا من الفضة».

وقال القاضي عز الدين بن جماعة: وقد رأيت أول حجاتي سنة ثمان وسبعمائة وبه نقطة بيضاء ظاهرة لكل أحد، ثم رأيت البياض بعد ذلك قد نقص نقصاً بيئاً. انتهى.

وقال العلامة ابن خليل في «منسكه الكبير»: وقد أدركت في الحجر الأسود ثلاثة مواضع بيضاء نقية، في الناحية التي إلى باب الكعبة المعظمة: إحداها وهي أكبرهن قدر حبة الذرة الكبيرة، والآخرى إلى جنبها وهي أصغر منها، والثالثة إلى جنب الثانية وهي أصغر من الثانية تأتي قدر حبة الدخن. ثم إنى أتلمح تلك النقط فإذا هي كل وقت في نقص. انتهى بنصه.

لطيفة: أحسن ما ذكر في تسويده بالخطايا أنه للاعتبار، ليعلم أن الخطايا إذا أثرت في الحجر فتأثيرها في القلوب أعظم وأوقع، فوجب لذلك أن تجتنب، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٨.

قال: «الحجر الأسود يمين الله في أرضه. فمن لم يدرك بيعة النبي ﷺ فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله»^(١) ومعنى كونه يمين الله في أرضه أن من صافحه كان له عند الله عهد، وجرت العادة بأن العهد الذي يعقده الملك لمن يريد موالاته والاختصاص به إنما هو بالمصافحة فخاطبهم بما يعهدونه. قاله الخطابي.

ونقل عن المحب الطبري أن كل ملك إذا قدم عليه الوافد قبل يمينه، فنزل الحجر منزلة يمين الملك، والله المثل الأعلى^(٢).

وروى الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قبل الحجر ثم إنه قال: والله لقد علمت أنك حجر لا تضر ولا تنفع، قال بعض الفضلاء: إلا بإذن، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك، وقرا ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (سورة الاحزاب: ٢١) وروى أنه لما قال ذلك قال له أبي بن كعب: إنه يضر وينفع، إنه يأتي يوم القيامة وله لسان ذلق يشهد لمن قبله واستلمه فهذه منقبة. وفي رواية أيضاً أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال لعمر: بلى يا أمير المؤمنين، إنه يضر وينفع، وإن الله لما أخذ الميثاق على آدم كتب ذلك في رق والنقمة الحجر. وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى بالحجر الأسود يوم القيامة وله لسان يشهد لمن قبله بالتوحيد، فقال عمر رضي الله عنه: لا خير في عيش قوم لست فيهم يا أبا الحسن. وفي رواية: لا أحياني الله لمعضلة لا يكون فيها ابن أبي طالب حياً. وفي أخرى للأرقم: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن.

فوائد:

الأولى: إنما قال عمر رضي الله عنه ذلك لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشى أن يظن الجاهل أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعله في الجاهلية، فأراد عمر رضي الله عنه أن يعرف الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله ﷺ لا أن الحجر يضر وينفع بذاته كما اعتقدته الجاهلية في الأوثان، كذا نقله الجعد عن المحب الطبري.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٧٨.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٧٨.

الثانية: أن قول عمر هذا فيه التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها وهي قاعدة عظيمة في اتباعه عليه السلام فيما فعله ولو لم تعلم الحكمة فيه، قال الشيخ زين الدين العراقي في «شرح الترمذي» وفي قول عمر رضي الله عنه دليل على كراهة تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله، وأما قول الشافعي وأيما قبل من البيت فحسن فلم يرد به الاستحباب، لأن المباح من جملة الحسن عند الأصوليين. انتهى.

وأجيب عن الشافعي بأن معنى قوله: فحسن، أن ذلك غير مكرره ولا مستحب. كذا قاله الجذ رحمه الله.

الثالثة: قال السهيلي: الحكمة في كون خطايا بني آدم سودته دون غيره من حجارة الكعبة، أن العهد الذي فيه هي الفطرة التي فطر الناس عليها في توحيد الله، فكل مولود يولد على الفطرة، وعلى ذلك فلولا أن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه حتى يسود قلبه بالشرك لما حال من العهد، فقد صار قلب ابن آدم محلا لذلك العهد والميثاق، وصار الحجر محلا لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق فتناسبا، فأسود من الخطايا قلب ابن آدم بعد ما كان أبيض لما ولد عليه من ذلك العهد، وأسود الحجر بعد بياضه. وكانت الخطايا سبباً في ذلك حكمة من الله تعالى. انتهى.

الرابعة: قد اعترض بعض الملحدين على الحديث المتقدم آنفاً فقال: إذا سوده الخطايا ينبغي أن تبيضه الطاعات، أجاب ابن قتيبة عن ذلك بأنه لو شاء الله لكان، ثم قال: أما علمت أيها المعترض أن السواد يصبغ به ولا ينصبغ، والبياض ينصبغ ولا يصبغ به.

مطلب: الحكمة في تغيير الحجر الأسود إلى السواد

الخامسة: روى عن ابن عباس أنه قال: إنما غير بالسواد لثلاث ينظر أهل الدنيا إلى زينة الجنة. قال المحب الطبري: إن ثبت هذا فهو الجواب، قال ابن حجر: أخرج الجندی في «فضائل مكة» بإسناد ضعيف، وقيل: إن شدة سواده أن الحريق أصابه مرتين في الجاهلية والإسلام، وسيأتي الكلام في سبب الحريق فيما بعد إن شاء الله تعالى.

مطلب : هل كان الحجر يسمى أسود قبل اسوداده

حال كونه ابيض من اللبن أم لا ؟

السادسة: قال الجد رحمه الله: فإن قلت: هل كان الحجر يسمى بالأسود قبل اسوداده حال كونه أشد بياضاً من اللبن أو لا؟ وإنما تجدد له هذا الاسم بعد اسوداده. قلت: لم أر في ذلك لأحد نقلاً، ويحتمل أنه كان يسمى بذلك لما فيه من السوود، فيكون المراد بقولهم أسود أى ذو سوود، ويحتمل أنه لم يسم بذلك، إلا بعد اسوداده، والله أعلم. انتهى.

مطلب: خواص الحجر

السابعة: من خواص الحجر الأسود أنه إذا جعل في الماء لا يفرق بل يطفو ويرتفع، وإذا جعل في النار لا يحترق ولا تعمل فيه النار بل يبقى بارداً على حاله. كذا نقله الطرسوسى.

ومن آيات الحجر: أنه أزيل عن مكانه غير مرة ثم أعاده الله إليه. ووقع ذلك من جرهم وإياد والعمالقة وخزاعة والقرامطة.

وآخر من أزاله منهم أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطى وذلك أنه في موسم سنة سبع عشرة وثلاثمائة حصل منه في يوم التروية أذى عام، وذلك أنه نهب الحاج وسفك الدماء حتى سال بها الوادى ثم رمى ببعض القتلى في بئر زمزم حتى امتلأت، وأصعد رجلاً على أعلى البيت ليقلع الميزاب فتردى على رأسه ومات، ثم انصرف ومعه الحجر الأسود فعلقه على الأسطوانة السابعة من جامع الكوفة لاعتقاده الفاسد وزعم أن الحج ينتقل إليها، فاستمر عنده إلى أن اشتراه منه المطيع لله أبو القاسم وقيل أبو العباس الفضل بن المقتدر بثلاثين ألف دينار، ثم أعيد إلى مكانه سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، وكانت مدة مكثه عندهم اثنتان وعشرون سنة إلا شهراً، ولما ذهب به هلك تحته أربعون رجلاً ولما أعيد إلى مكة حمل على قعود أعرج فسمن تحته.

وعن مجاهد أنه قال: يأتي الحجر والمقام يوم القيامة مثل أبي قبيس كل واحد منهما له عينان وشفتان يناديان بأعلى أصواتهما يشهدان لمن وافهما بالوفاء.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله يعيد الحجر إلى ما خلقه أول مرة» أخرجه الأرقمى.

وأخرج ابن شيبه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يرفع الحجر الأسود يوم الاثنين. وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحط الخطايا حطاً» وروى أن الحجر الأسود كان يسلم على النبي ﷺ قبل أن يبعث.

فروع:

الأول: السنة في تقبيل الحجر الأسود أن يكون بلا تصويت ولا تطمين ولا لحس باللسان، ثم إن أمكنه أن يسجد عليه فعل لأنه جائر عندنا وعند الشافعي وأحمد لأن فيه تقيلاً وريادة سجود لله تعالى، وقال مالك: إن السجود عليه بدعة، ثم ذلك مشروط بعدم الإيذاء والزحام والمدافعة، لأن التقبيل سنة وترك الأذى عن الناس فريضة، فلا يجوز الإتيان بالسنة مع ترك الفريضة، ولأن له خلقاً وهو الإشارة.

الثاني: إذا كان الحجر مطيباً فقبله المحرم فلزق الطيب بفمه أو بيده أو بأكثرهما لزمه الدم وإلا فصدقة، وهذا عندنا، وعند الشافعي لا يشرع له التقبيل ولا المس.

الثالث: يستحب لمن أكل بصلاً أو ثوماً أو ما له رائحة كريهة وأراد تقبيل الحجر أن ينظف فاه بسواك ونحوه مما يذهب الرائحة، فإن كان به بخر لا يمكن ذواله فهو معذور.

الرابع: لو أزيل الحجر من موضعه - والعياذ بالله تعالى - استلم ركنه وقبّله وسجد عليه. كذا نقله القاضي عز الدين بن جماعة الدارمي من الشافعية، واستشكله بعض علمائهم. ووجهه الجدل رحمه الله وقال: إن الخصوصية التي تثبت للحجر من كونه يمين الله في الأرض ويشهد لمن استلمه بحق وتقبيله ﷺ له غير موجودة في الركن الذي هو فيه. انتهى.

أقول: لم أقف على نقل لأصحابنا ذلك، وما ذكره الجدل من التوجيه في غاية القبول، وربما يوافق أصولنا لأنه حيث ثبت هذا الحكم للحجر اقتصر عليه واختص به

دون الركن فلا ينتقل الحكم إلى الركن ولا يقوم بدلا عن الحجر، لأن من أصلنا أن نصب البدل بالرأى لا يجوز. أما من أراد الطواف ووقف مستقبل الركن ورفع يديه لأجل النية فينبغي الجواز لأنه محل البداءة. فتأمل. انتهى.

فائدتان:

الأولى: قد تقدم في الفرع الأول أن الزحام المفضى إلى الإيذاء عند استلام الحجر ممنوع، وقد ثبت عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه كان يزاحم على الحجر حتى يدمى أنفه ولا يترك تقبيله، فالجواب أنه كان مجتهدا وأن مذهبه أفضلية المزاحمة على الحجر وإن أفضت إلى الأذى.

مطلب: أول من استلم الركن من الأئمة

قبل الصلاة وبعدها ابن الزبير

الثانية: أول من استلم الركن الأسود من الأئمة قبل الصلاة وبعدها ابن الزبير فاستحسنه، ذلك الولاية بعده فاتبعته، أخرجه الأزرقى.

فصل: في فضل الركن اليماني وذكر شيء مما ورد فيه:

روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما مرت بالركن اليماني إلا وعنده ملك ينادى آمين آمين فإذا مررتم به فقولوا اللهم ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: «على الركن اليماني ملكان يؤمنان على دعاء من مر بهما وإن على الحجر الأسود ما لا يحصى» أخرجه الأزرقى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وكل بالركن اليماني سبعون ملكا من قال اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، قالوا: آمين» قال العلامة عز الدين بن جماعة رحمه الله: ولا تضاد بين الأحاديث على تقدير الصحة إذ يحتمل أن السبعين موكلون به ولم يكلفوا التأمين، وإنما يؤمّنون عند سماع الدعاء، والملكان كُلفا قول آمين. ورواية ملك محمولة على الجنس. انتهى بمعناه.

وروى الأزرقي عن عطاء قال قيل: يا رسول الله، إنك تكثر من استلام الركن اليماني، قال: ما أتيت عنده قط إلا وجبريل عليه السلام قائم عنده يستغفر لمن يستلمه^(١).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «عند الركن اليماني باب من أبواب الجنة، والركن الأسود من أبواب الجنة».

وأخرج الأزرقي عن مجاهد أنه قال: ما من إنسان يضع يده على الركن اليماني ويدعو إلا استجيب له، وإن بين اليماني والركن الأسود سبعين ألف ملك لا يفارقونه، هم هنالك منذ خلق الله البيت^(٢).

وفي «رسالة الحسن البصري» عن النبي ﷺ «ما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود قبور سبعين نبيا».

وفي «منسك» ابن جماعة «ما بين الركن والمقام وزمزم قبور نحو من ألف نبى».

ونقل عن الشعبي أنه قال: رأيت عجبا: كنا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن الزبير وأخوه مصعب وعبد الملك بن مروان، فقالوا بعد أن فرغوا من حديثهم: ليقيم رجل رجل فليأخذ بالركن اليماني وليسأل الله تعالى حاجته فإنه يعطى من سعة، ثم قالوا لعبد الله بن الزبير: قم أولا، فلأنك أول مولود في الهجرة، فقام فأخذ بالركن اليماني ثم قال: اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك ﷺ أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني الحجاز ويُسلم عليَّ بالخلافة، وجاء وجلس.

ثم قام أخوه مصعب فأخذ بالركن اليماني فقال: اللهم إنك رب كل شيء وإليك كل شيء، أسألك بقدرتك على كل شيء أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سكينه بنت الحسين. وجاء وجلس.

ثم قام عبد الملك بن مروان فأخذ بالركن وقال: اللهم رب السموات السبع والأرض ذات النبات بعد القفر، أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك، وأسألك بحرمة وجهك،

(١) أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ٣٣٨.

(٢) أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ٣٣٩.

واسألك بحقك على جميع خلقك وبحق الطائفين حول بيتك أن لا تميتنى حتى تولينى شرق الأرض وغربها، ولا ينار عنى أحد إلا أتيت برأسه، ثم جاء فجلس.

ثم قام عبد الله بن عمر حتى أخذ بالركن ثم قال: اللهم يا رحمن يا رحيم، أسألك برحمتك التى سبقت غضبك، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك أن لا تميتنى من الدنيا حتى توجب لى الجنة.

قال الشعبي فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيت كل واحد وقد أعطى ما سأل، وبُشر عبد الله بن عمر بالجنة^(١).

أقول: لقائل أن يقول: ما الدليل على وجه البشرى؟ ولم أر أحدا من المؤلفين فى هذا المعنى ذكر شيئا مما يستدل به على ذلك ولا تعرض له فيما وقفت عليه. ويحتمل أن يكون أن يكون فى ذلك وجهان:

الأول: أن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان قد كُف بصره بعد ذلك وقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم من ابتلى بذلك بالجنة كما فى «صحيح البخارى».

الثانى: أن الثلاثة لما أعطوا ما سألوه كان ذلك أدل دليل على إجابة دعاء الجميع، إذ هو اللائق بكرم الله وسعة عطائه، وكان سيدنا عبد الله رضي الله عنه من الورع والزهد والصلاح بالمكانة التى لا تجهل كما فى مناقبه.

وفى «منهاج التائبين»: من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الركن اليمانى ليستلمه خاض فى الرحمة، فإذا استلمه غمرته الرحمة. وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما بين الركن اليمانى والحجر الاسود روضة من رياض الجنة».

فروع: استلام الركن اليمانى عندنا حسن وتركه لا يضر. لأنه صلى الله عليه وسلم كان يستلمه مرة ويتركه أخرى وهو الصحيح. كذا نقله الكرمانى من أصحابنا. وعن محمد أنه يستلمه ويقبل يده. وفى رواية عنه أنه يقبله. وعند الشافعى رحمه الله يستلم الركن اليمانى قولا واحداً.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣١٨.

مطلب : فى كيفية استلام الركن اليمانى هل يقبل يده ثم ينقلها

إليه أو يضع يده عليه ثم يقبلها ؟

لكن اختلف أصحابه فى كيفية استلامه . قال بعضهم : يقبل يده أولاً ثم يضعها على الركن لينقل القبلة إليه . وقال بعضهم : يضع اليد على الركن أولاً ثم يقبلها ليكون ناقلاً بركته إلى يده ونفسه ، وهو الأصح عندهم . وعند مالك رحمه الله يستلم الركن اليمانى ولا يقبل يده ، وإنما يضعه على فيه . وعند أحمد رحمه الله أنه يستلمه بيده ولا يقبله . وفى تقبيل يده خلاف عند أصحابه ، كذا نقله الشيخ عز الدين بن جماعة . ونقل الكرمانى من أصحابنا رواية عن أحمد أنه يقبله . وفى الكل ورد النقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم .

(وأما الركنان الآخران) اللذان يليان الحجر : فمذهب أهل العلم لا يستلمان ، كذا نقل عن كثير من الصحابة منهم عمر وابنه ومعاوية .

فصل : فى فضل الملتزم والدعاء فيه :

إنما سمي بذلك لأن الناس يلتزمون به ويدعون عنده وهو من المواطن التى يستجاب فيها الدعاء . روى القاضى عياض فى «الشفاء» بقراءته على القاضى الحافظ أبى على رحمه الله ، عن أبى العباس الأندلسى عن (أبى) أسامة محمد الهرورى ، عن الحسن بن رشيق ، عن أبى الحسن محمد بن الحسن بن راشد ، عن أبى بكر محمد بن إدريس ، عن الحميدى ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «ما دعا أحد بشيء فى هذا الملتزم إلا استجيب له» قال ابن عباس : وأنا فما دعوت الله بشيء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا استجيب لى . وقال عمرو بن دينار : وأنا فما دعوت الله بشيء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لى . وقال سفيان : وأنا فما دعوت الله بشيء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو بن دينار إلا استجيب لى . وقال الحميدى : وأنا فما دعوت الله بشيء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان إلا استجيب لى . وقال محمد بن إدريس : وأنا فما

دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى الا استجيب لى . وقال أبو الحسن محمد بن الحسن : وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن إدريس إلا استجيب لى . قال أبو أسامة : وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئاً . وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق إلا استجيب لى في أمر الدنيا ، وأنا أرجو أنت يستجاب لى في أمر الآخرة . قال العذرى : وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبى أسامة إلا استجيب لى . قال أبو على : وأنا فقد دعوت الله فيه بأشياء كثيرة فاستجيب لى بعضها وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لى بقيتها . انتهى (١) .

يقول الحقيير مؤلف هذه الفضائل وجامعها : قد دعوت الله فيه بأشياء فاستجيب لى بفضل الله وأنا مستمر على الدعاء فى أمور آخر ، منها حسن الخاتمة ، وأرجو الله إجابة الدعاء بحصولها .

وذكر القاضى عز الدين فى «منسكه» عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : من التزم الكعبة ردعا استجيب له ، ثم قال : فيجوز أن يكون على عمومه ويجوز أن يكون محمولا على الملتزم (٢) . انتهى .

ذكر معرفة الملتزم والمستجار (٣) والمتعوذ والمدعى والحطيم

أما الملتزم فهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة (٤) كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما .
وأما المستجار فهو ما بين الركن اليمانى والباب المسدود فى دبر الكعبة (٥) والدعاء عنده مستجاب كما رواه ابن أبى الدنيا .

وأما الحطيم فهو ما بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم ورمزم وحجر إسماعيل .
وسمى بذلك لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالآيمان ويستجاب فيها الدعاء للمظلوم على

(١) الحديث والأخبار التالية له لدى القاضى عياض فى الشفاء ج ٢ ص ٦٠ .

(٢) إخبار الكرام للأسدى ص ٨٠ .

(٣) تحرف فى المطبوع إلى «المستجاب» وصوابه لدى الاسدى ص ٨٠ وهو ينقل عن ابن ظهيرة .

(٤) الاسدى ص ٨٠ .

(٥) الاسدى ص ٨٠ .

الظالم، فقل من حلف هنالك كاذبا إلا عَجَلت له العقوبة وكان ذلك يحجز الناس عن المظالم^(١).

وقيل: لأن الشاذروان هو الحطيم، لأن البيت رُفِع بناؤه وتُرك هو بالأرض محطوما^(٢).

والحطيم عندنا: هو الحجر - بكسر الحاء وسكون الجيم - وهو الموضع الذي نصب فيه ميزاب البيت، وإنما سمي بالحطيم لأنه حطم من البيت أي كسر، كذا في كتبنا.

وأما المتعوذ والمدعى فروى عن ابن عباس أن الملتزم والمتعوذ والمدعى ما بين الحجر الأسود والباب. وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن ما بين الركن الأسود والباب، هو الملتزم، وما بين الركن اليماني والباب المسدود هو المتعوذ. كأنه جعل الأول موضع رغبة، والثاني موضع استعاذة.

وعن عمرو بن العاص أنه طاف بالبيت ثم استلم الحجر وقام بين الركن والباب، فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه وبسطهما بسطا، ثم قال: كذا رأيت رسول الله صلوات الله عليه يفعلها^(٣).

مطلب: دعاء آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام

وأخرج الأزرقى في «تاريخه» أن آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعا حين نزل، ثم صلى تجاه الكعبة ركعتين، ثم أتى الملتزم فقال: اللهم إنك تعلم سريرتى وعلانيتى فأقبل معذرتى. وتعلم ما فى نفسى وما عندى فاغفر لى ذنوبى. وتعلم حاجتى فأعطنى مؤلى. اللهم إنى أسالك إيمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبت لى، والرضا بما قضيت علىّ، فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم قد دعوتنى بدعوات واستجبت لك، ولن يدعونى بها أحد من ولدك إلا كشفت همومه وغمومه، وكففت عليه ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه، وتجرت له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريدھا، ثم قال: فمنذ طاف آدم كانت سنة الطواف انتهى^(٤).

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣١٨.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣١٨.

(٣) الأسدى ص ٨١ والخير لديه بالنص كما هنا.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٤٤، أخبار الكرام ص ٨١.

قال العلامة عز الدين بن جماعة: ولعله يريد سنة الطواف في العدد، وإلا فقد ورد أن الملائكة طافت به قبل آدم عليه السلام، فلعله كان بغير عدد أو بغير ذلك العدد أو أراد لبنيه من بعده، والله أعلم. انتهى.

وروى الأزرقي أن ابن الزبير مر بعبد الله بن العباس وهو بين الباب والركن الأسود فقال له ليس هاهنا الملتزم، إنما هو دبر البيت، فقال ابن عباس هنالك ملتزم عجائز قريش. وذكر أيضاً أن عائشة رضي الله عنها أرسلت إلى أصحاب المصاييح فأطفئوها ثم طافت من وراء ستر وحجاب ثلاثة أسابيع، تقف بعد كل أسبوع بين الباب والحجر تدعو.

مطلب: الأولى عند الحنفية لمن أراد الملتزم أن يقدمه

على ركعتي الطواف ثم يأتي بهما

فروع: الأولى عندنا لمن انتهى طوافه وأحب أن يلتزم أن يقدمه على ركعتي الطواف ثم يأتي بهما بعد ذلك، كذا في منسك الكرماني من أصحابنا: وذكر غيره تقديم الصلاة على الالتزام وهذا فيما عدا طواف الوداع. وأما بعده فإنه عقب الصلاة والشرب من ماء زمزم يأتي الملتزم ثم يدعو فيه بما أراد ثم ينصرف القهقري فيكون آخر عهده الالتزام. والله أعلم.

عدنا إلى المقصود:

ومنها: بقاء بنائه الموجود الآن وثباته ولا يبقى غيره من الأبنية هذه المدة الطويلة كما ذكره المهندسون، وذلك لأن الأرياح والأمطار قلما تواترت على بناء إلا خرب، وهذا البيت الشريف لم تزل الأرياح العاصفة والأمطار العظيمة تتوالى عليه منذ بنى وإلى تاريخه، ولم يقع بحمد الله تغير في بنائه ولا خلل.

مطلب: ما وقع في الكعبة من الترميم

قال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله: ولم أقف في شيء من التواريخ على أن أحدا من الخلفاء ولا من دونهم غير من الكعبة شيئاً مما صنعه الحجاج إلى الآن إلا في الميزاب والباب وعتبته. وكذا وقع الترميم في جدارها غير مرة وفي سقفها وسلم سطحها. ووقع أيضاً في جدارها الشامي ترميم في شهور سنة سبعين ومائتين، ثم في شهور سنة

اثنتين وأربعين وخمسمائة ثم فى شهر سنة تسع عشرة وستمائة ثم فى سنة ثمانين وستمائة
ثم فى سنة أربع عشرة وثمانمائة^(١).

ثم قال: وقد ترادفت الأخبار الآن فى وقتنا هذا فى سنة اثنتين وعشرين أن جهة
الميزاب فيها ما يحتاج إلى ترميم، فاهتم لذلك سلطان الإسلام الملك المؤيد. ثم حججت
سنة أربع وعشرين وتأمّلت المكان الذى قيل عنه فلم أجده بتلك الشناعة. وقد نقض
سقفها فى سنة سبع وعشرين على يدى بعض الجند فجدد لها سقفًا ورخم السطح. فلما
كان فى سنة ثلاث وأربعين صار المطر إذا نزل ينزل إلى داخل الكعبة أشد مما كان أولاً
فأداه رايه الفاسد إلى أن نقض السقف مرة أخرى، وسدّ ما كان فى السطح من الطاقات
التي كان يدخل منها الضوء إلى الكعبة^(٢).

ولزم من ذلك امتهان الكعبة، بل صار العمال يصعدون فيها بغير أدب، فغار بعض
المجاورين، فكتب إلى القاهرة يشكو ذلك، فبلغ السلطان الظاهر فانكر أن يكون أمر
بذلك. وجهز بعض الجند لكشف ذلك^(٣). فتعصب للأول من جاور واجتمع الباقون رغبة
ورغبة فكتبوا محضراً بأنه ما فعل شيئاً إلا عن ملأ منهم وأن كل ما فعله مصلحة فسكن
غيط السلطان وغطى عليه الأمر.

وقال أيضاً: ومما يتعجب منه أنه لم يبق الاحتياج فى الكعبة إلى الإصلاح إلا فيما
صنعه الحجاج، إما من الجدار الذى بناه فى الجهة الشمالية وإما فى السلم الذى جده
للسطح والعتبة، وما عدا ذلك مما وقع وإنما هو لزيادة محضنة كالرخام أو التحسين كالباب
والميزاب^(٤).

قال الجند نور الله ضريحه: وما ذكره من نقض سقفها سنة سبع وعشرين على يد
بعض الجند وأنه جدد لها سقفًا سبق قلم، وصوابه سنة ثمان وثلاثين والله أعلم.
انتهى^(٥).

(٢) إخبار الكرام ص ٩٠.

(٤) إخبار الكرام ص ٩٢.

(١) إخبار الكرام ص ٩٠.

(٣) إخبار الكرام ص ٩١.

(٥) إخبار الكرام ص ٩٢.

مطلب : عقوبة من أخذ شيئا من مال الكعبة ويسمى بالابرق

(ومنها) أن فتى من الحجبة حضرته الوفاة واشتد عليه النزاع جدا حتى مكث أياما يتزعزع شديدا فقال له أبوه: لعلك أصبت من الأبرق شيئا، يعنى مال الكعبة، فقال: أربعمائة دينار، فأشهد أبوه أن عليه للكعبة أربعمائة دينار، فسرى عن الفتى ثم لم يلبث أن مات^(١).

مطلب : إذا وضع مفتاح البيت فى فم الصغير تكلم سريعا

(ومنها) أن مفتاح بابها إذا وضع فى فم الصغير الذى ثقل لسانه عن الكلام تكلم سريعا. ذكره الفاكهى، وقال: إن ذلك مجرب^(٢).

مطلب : دخان البيت يصعد مستويا

(ومنها) ما ذكره ابن الحاج أن دخان البيت لا يذهب يمينا ولا شمالا ولا أمام ولا خلف، بل يصعد مستويا إلى السماء. قال الفاسى: ولعل المراد بالدخان دخان ما تجمر به الكعبة^(٣) والله أعلم

مطلب : هيئته وتعظيمه فى القلوب

(ومنها) هيئته وتعظيمه فى قلوب الناس وكف الجبايرة عنه على مر الدهور والأعصار وإذعان نفوس العرب لتوفير هذه البقعة بدون ناه ولا زاجر. روى أن الحجاج بن يوسف لما نصب المنجنيق على أبى قبيس بالحجارة والنيران واشتعلت النار فى أستار الكعبة، جاءت سحابة من نحو جدة يسمع فيها الرعد ويرى البرق فمطرت فلم يجاوز مطرها الكعبة والمطاف، فأطفت النار وأرسل الله عليهم صاعقة فأحرقت منجنيقهم فتداركوه.

قال عكرمة: وأحسب أنها احترقت تحته أربعة رجال فقال الحجاج: لا يهولنكم هذا فإنها أرض صواعق، فأرسل الله صاعقة أخرى فأحرقت المنجنيق وأحرقت معه أربعين رجلا، وذلك فى سنة ثلاث وسبعين فى أيام عبد الملك بن مروان.

(١) إخبار الكرام ص ٩٣.

(٢) نقله انفاسى فى شفاء الغرام ج ١ ص ٣٠١.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٠٢.

قال الجدي: هذا والحجاج ما قصد التسلط على البيت، وإنما تحصن به ابن الزبير ففعل ذلك لإخراجه كما أشير إليه قريبا إن شاء الله تعالى.

أقول: وتوجيهه أن فعل الحجاج وإن لم يقصد التسلط على البيت فهو مؤذن بجبروته وعدوانه وانتهاكه لحرمة البيت والمسجد والبلد واستباحته للقتال في هذه البقعة الشريفة، فهو جدير بإرسال الصواعق على منجنيقه ورجاله، بل وعليه، فسبحان من لا يعجل بالعقوبة على من عصاه. انتهى.

(ومنها) أمن الخائف الثابت ذلك من قديم الدهر وكانت العرب يغير بعضها على بعض ويتخطفون الناس بالقتل وأخذ الأموال وأنواع المظالم إلا في الحرم، وينبئ على هذا أمن الحيوان فيه وسلامة الشجر، وذلك للبركة والهيبة والعظمة التي جعلها الله في هذا البيت وما جاوره وبركة دعوة الخليل صلوات الله عليه في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ (سورة البقرة: ١٢٦) الآية، والعرب تقول في ضرب المثل: آمن من حمام مكة، لأنها لا تهاج ولا تصاد^(١).

حكى عن بعض العباد أنه قال: كنت أطوف بالبيت ليلا، فقلت: يا رب، إنك قلت ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (سورة آل عمران: ٩٧) فمن ماذا هو آمن؟ فسمعت من يكلمني ويقول: من النار، فنظرت وتأملت فما كان في المكان أحد^(٢).

مطلب: لا يرى البيت أحد لم يكن رآه قبل إلا ضحك أو بكى

(ومنها) ما روى عن الجاحظ أنه قال: لا يرى البيت الحرام أحد ممن لم يكن رآه قبل ذلك إلا ضحك أو بكى.

مطلب: تعجيل العقوبة لمن قصد البيت بسوء

(ومنها) تعجيل العقوبة لمن قصده بسوء كقصة تبع وأصحاب الفيل^(٣). حين قصدوا تخريبه، وعند ذكرهما رأيت أن أسوق خبرهما باختصار:

(أما قصة تبع^(٤)) فذكر القطبي^(٥) في «الإعلام» أنه كان من الخمسة الذين دانت لهم

(١) إخبار الكرام ص ٩٤ - ٩٥. (٢) إخبار الكرام ص ٩٥. (٣) إخبار الكرام ص ٩٥.

(٤) انظر قصة تبع: منائح الكرم ج ١ ص ٣٧٤.

(٥) تحرف في المطبوع إلى: «القرطبي» وصوابه لدى السنجاري في منائح الكرم ج ١ ص ٣٧٤.

الدنيا بأسرها، وكان كثير الوزراء فاختر منهم واحدا وأخرجه لينظر في ملكه، وكان إذا أتى بلدة يختار من حكمائها عشرة رجال، وكان معه من العلماء والحكماء مائة ألف رجل هم الذين اختارهم من البلدان ولم يكونوا محسوبين من الجيش. ثم إنه قصد مكة، فلما انتهى إليها لم يخضع له أهلها كخضوع غيرهم ولم يعظموه، فغضب لذلك ودعا وزيره وشكى إليه فعلهم، فقال: إنهم عرب لا يعرفون شيئا ولهم بيت يقال له الكعبة وهم معجبون به، فنزل الملك بعسكره ببطحاء مكة وعزم على هدم البيت وقتل الرجال ونهب النساء وسبيهم، فأخذ الصداق وتفجر من عينيه وأذنيه ومنخريه وفمه ماء متن فلم يصبر عنده أحد طرفة عين من شدة التن.

(فقال لوزيره) اجمع العلماء والحكماء والأطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده، وعجزوا عن مداواته وقالوا: نحن نقدر على مداواة ما يعرض من أمور الأرض، وهذا من السماء لا نستطيع له ردا، ثم اشتد أمره وتفرق الناس عنه، فلما أقبل الليل جاء أحد العلماء لوزيره فقال: إن بيني وبينك سرا، فإن كان الملك يصدقني في حديثه عالجت، فاستبشر الوزير بذلك وجمع بينه وبين الملك، فلما خلا به قال له العالم: أيها الملك أنت نويت لهذا البيت سوءا، قال: نعم، فقال له العالم: أيها الملك نيتك أحدث لك هذا الداء، ورب هذا البيت عالم بالأسرار، بادر وارجع عما نويت، فقال الملك: قد أخرجت ذلك من قلبي ونويت لهذا البيت وأهله كل خير، فلم يخرج العالم من عنده الا وقد عافاه الله تعالى من علته فأمن بالله من ساعته وخلع على الكعبة سبعة أثواب، وهو أول من كسا الكعبة، كما سأذكره بعد إن شاء الله تعالى.

(ثم خرج) إلى يثرب وليس بها يومئذ بيت وإنما فيها عين ماء فنزل عند العين ثم إن العلماء والحكماء أخرجوا من بينهم أربعمائة وهم أعلمهم وتبايعوا أن لا يخرجوا من يثرب وإن قتلهم الملك فلما علم الملك بذلك سألهم عن الحكمة التي اقتضت إقامتهم في هذه البلدة؟ فقالوا: أيها الملك إن ذلك البيت وهذه البقعة يشرفان برجل يبعث في آخر الزمان اسمه محمد، ووصفوه ثم قالوا: طوبى لمن أدركه وآمن به، ونحب أن ندركه أو يدركه أولادنا، فلما سمع الملك بذلك هم بالمقام معهم فلم يقدر على ذلك فأمر بعمارة أربعمائة دار على عدة العلماء، وأعطى كل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجه بها، وأعطاهم مالا جزيلا.

ثم كتب كتابا وختمه بخاتم من ذهب ودفعه إلى عالمهم الكبير، الذي أبراه من علة وأمره أن يدفعه إلى محمد ﷺ إن أدركه، وإلا يوصى بذلك أولاده ثم أولادهم.

وكان الكتاب أما بعد: فإني آمنت بك وبكتابك الذي ينزل عليك، وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك وبكل ما جاء من ربك من شرائع الإيمان والإسلام، فإن أدركتك فيها ونعمت، وإلا فاشفع لى ولا تنسى يوم القيامة فإني من أمتك الأولين، وقد بايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة إبراهيم أبك عليه السلام.

ثم نقش عليه لله الأمر من قبل ومن بعد، وكتب عنوانه: إلى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب نبي الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين ﷺ من تبع الأول حمير ابن وردع، ثم سار من يثرب إلى بلاد الهند فمات بها، وكان من يوم موته إلى اليوم الذي بعث فيه النبي ﷺ ألف سنة لا تزيد ولا تنقص.

مطلب: آباء الأنصار أولئك الأربعمائة حكيم

وكان الأنصار من أولاد أولئك العلماء والحكماء (فلما ظهر خبره) ﷺ بمكة أرسلوا إليه كتاب تبع مع رجل منهم يقال له: أبو ليلى إلى مكة فوجد النبي ﷺ فى قبيلة بنى سليم، فعرفه رسول الله ﷺ، فقال له: أنت أبو ليلى؟ فقال: نعم، قال: معك كتاب تبع الأول، قال: نعم، وبقي أبو ليلى متفكرا، ثم دفع الكتاب إلى رسول الله ﷺ فدفعه رسول الله ﷺ إلى على بن أبى طالب فقرأه عليه، فلما سمع رسول الله ﷺ كلام تبع قال: مرحبًا بالأخ الصالح ثلاث مرات، ثم أمر أبى ليلى بالرجوع إلى المدينة يشرهم بقدمه ﷺ.

مطلب: أبو أيوب الذى نزل عنده ﷺ

من ولد العالم الذى شفى به تبع

(فلما هاجر) النبي ﷺ إلى المدينة سأل أهله القبائل أن ينزل عليهم وصاروا يتعلقون بزمام ناقته وهو يقول: خلوها فإنها مأمورة، حتى جاءت إلى دار أبى أيوب الأنصارى، وكان من أولاد العالم الذى شفى به تبع برأيه. انتهى بمعناه.

مطلب : على وجه تسمية قعيقعان وأجباد بذلك

وقيل : بل سبب عزمه على هدم البيت أن جماعة من هذيل ممن يحسد قريشًا حسنوا لتبع هدم الكعبة ، وأن يبنى بيتا عنده ويصرف حجاب العرب إليه ، فلما سار لهذا القصد حصل له ما حصل ، فأقلع عن ذلك كما تقدم ، وأمر بقتل الهذليين ، ثم لما قدم مكة كان سلاحه بالموضع المعروف بقعيقعان فلذلك سمى به ، وقيل لغير ذلك ، وكانت خيله بالمكان المعروف بأجباد ، فقال : سمى بذلك لهذا ، وقيل : لغيره ، وكانت سطابخه في الشعب المعروف بعبد الله بن عامر بن كريز ، فلذلك سمى الشعب بالمطابخ ، وأقام بمكة أيامًا ينحر كل يوم مدة إقامته مائة بدنة لا يرزأ هو ولا أحد ممن في عسكره منها شيئًا ، بل يردها الناس ثم الطير ثم السباع .

(وأما قصة أصحاب الفيل) إذ قصدوا تخريب البيت فأهلكهم الله تعالى ، فروى أن الحبشة لما ملكت اليمن وعليهم أبرهة الأشرم ، بنوا كنيسة بصنعاء كالكعبة وصرفوا حجاج الكعبة إليها فسمع بذلك رجال من قريش فتوجهوا إليها ودخلوها ولطخوها بالعدرة وهربوا . فبلغ ذلك أبرهة وعزم على هدم الكعبة وتجهز في جيش عظيم ، فلما شارف مكة اغار على سرحها فاستاق أموال قريش وأصاب إبلًا لعبد المطلب ونزل بعرفة ، فخرج إليه عبد المطلب فلما رآه أبرهة نزل عن سريره ملكه إجلالا له وقال لترجمانه : سله عن حاجته ، فسأله ، فقال : حاجتي أن يرد عليّ ما تني بعير أصابها قومه . فقال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبتي حين رأيتك ، ولقد زهدت الآن فيك حيث جئت إلى بيت هو دينك ودين آباءك لأهدمه فلم تكلمني فيه وكلمتني في إبل أصبتها ، فقال عبد المطلب : أنا رب الإبل ، وللبيت رب سيمنعه ، وفي رواية يحميه ، فعظم كلامه عنده ، ورد عليه إبله .

ثم خرج عبد المطلب وأمر قريشًا أن يتفرقوا في الشعاب وراءوس الجبال خوفًا عليهم من معرة الجيش إذا دخل ففعلوا ، وأتى عبد المطلب إلى الكعبة وأخذ بحلقته^(١) . وجعل يقول^(٢) :

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥١ .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٤٩ .

لا هم إن الممـرر يمـ
 نـع رحله فـامنع حـلاك
 لا يغلبـن صـلبـبـهم
 ومـحـانـهم غـدوا مـحـالك
 جـروا جـمـوع بـلادهم
 والفــيل كـى يـسبـوا عـيـانك
 عـمـدوا حـمـاك بـكـيدهم
 جـهـلا وما رـقـبـوا جـلالك
 إن كـنت تـاركـهم وكـمـ
 جـمـنا فـأمر سـا بـدا لك
 ومعنى محالك أن مكرا، ومنه: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ وقال أيضاً:
 يا رب لا أرجو لهم سـراكـا
 يا رب فـامنع منهم حـمـاكـا
 إن عـدو البـيت قـد عـادا كـا
 فـامنعهم أن يـخـربوا قـرا كـا

ثم إن أبرهة أصبح متهيئاً لدخول مكة ووجهوا القبيل إليها فنكص على عقبه راجعاً وبرك، فأدخلوا الحديدية في أنفه حتى خرموه فلم يساعدهم على التوجه إلى مكة فوجهوه إلى اليمن وإلى غيره من الجهات فهول فوجهوه إلى مكة فأبى.

فبينما هم كذلك إذ أرسل عليهم طيراً من جهة البحر أبابيل، أى: جماعات، تجيء شيئاً بعد شيء، يحمل كل طير منهم ثلاثة أحجار صغار حجرتين فى رجليه وحجراً فى منقاره إذا وقع الحجر على رأس أحدهم خرج من دبره فأهلكهم الله جميعاً.

ويروى أن كل حجر كان مكتوباً عليه اسم الذى يقع عليه، وبعث الله على أبرهة داء فى جسده فتساقطت أنامله وانصدع صدره قطعتين فهلك.

واختلف فى مقدار الحجارة، فقيل: كانت كأمثال الحمص، وقيل غير ذلك، ورأى

أهل مكة الطير لما أقبلت من ناحية البحر فقال عبد المطلب: إن هذا الطير لغريب، ثم بعث ابنه عبد الله أبا النبي ﷺ على فرس ينظر فرجع وهو يركض، ويقول: هلك القوم جميعاً ثم خرج عبد المطلب وقريش وغنموا أموالهم.

وروى أنه لم ينج منهم إلا أبو يكسوم فسار واجماً وطائر يطير فوقه ولا يشعر به حتى دخل على النجاشي وأخبره بمصاب القوم فما استتم كلامه حتى رماه الطير فمات. ومن يومئذ احترمت الناس قريشاً وقالوا هم جيران الله يدافع عنهم.

وذكر العلامة ابن بحر القحطاني رحمه الله في سيرته النبوية أنه ﷺ كان يومئذ حملاً وولد بعد الفيل بخمسين ليلة، والله أعلم.

(ومنها) تعجيل الانتقام لمن تعاطى عنده ما لا يليق، فمن ذلك ما حكى أن رجلاً كان في الطواف فبرق له ساعد امرأة فوضع ساعده عليه متلذذاً به فلصق ساعدهما، فقال له بعض الصالحين: ارجع إلى المكان الذي فعلت فيه فعاهد رب البيت أن لا تعرد باسئلاص وصدق نية ففعل، فخلى عنه وانفصل ساعده.

(ومنها) قضية إدياف لما فجر بنائلة في البيت مسخاً حجرتين، وهما الصنمان اللذان دنا علي زمزم تنحر لهما قريش في الجاهلية وتعبدتهما وقالوا لولا أن الله رضى بهما أن يعبدنا منه ما نكسهما. فأنزل الله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ٧٥) ولم يزالا يُعبدان حتى كان يوم فتح مكة فخرجت من نائلة عجور شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور فيروى أنه ﷺ قال: «تلك أيسر أن تعبد ببلادكم» وكان إساف ونائلة من جرهم^(١).

(ومنها) قصة المرأة التي جاءت إلى البيت تعوذ به من ظالم، فجاء فمد يده إليها فصار أشل^(٢).

(ومنها) قصة الرجل الذي سألت عيناه على خده من نظرة نظرها إلى شخص في الطواف استحسنته.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٠٧.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٠٧.

ومنها: أن البيت الشريف يفتح فيدخله الجرم الغفير من الناس متزاحمين فيسمعهم بقدره الله تعالى، ولم يعلم أن أحدا مات فيه من الزحام إلا ما وقع في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة كما نقله المؤرخون، فإنه مات فيه أربعة وثمانون نفرا.

قال العلامة ابن النقاش: والكعبة تسع ألف إنسان وإذا فتحت أيام الموسم دخلها آلاف كثير. قال الجد بواه الله دار كرامته: فعلى هذا إنها تتسع كما ورد أن منى تتسع كاتساع الرحم.

(ومنها) ما أخرجه الفاكهي في «تاريخ مكة» بسنده إلى عبد الله بن بكر السهمي عن أبيه أنه قال: جاورت بمكة فعابت أسطوانة من أساطين البيت، فأخرجت وأتى بأخرى ليدخلوها مكانها فطالت عن الموضع وأدركهم الليل، والكعبة لا تفتح ليلا، فتركوها ليعودوا من غد فيصلحوها، فجاءوا في الغد فأصابوها أقوم من قَدَح^(١).

قال العلامة ابن حجر: وهذا إسناد قوي رجاله ثقات، وبكر هو ابن حبيب من كبار التابعين. وكانت هذه القصة في أوائل دولة بني العباس، والأسطوانة من خشب والله أعلم. وعابت فيما رواه الفاكهي بالعين المهملة والموحدة - وقَدَح - بكسر القاف وبالحاء المهملة هو السهم.

(ومنها) كما نقل عن الجاحظ أن الفرقة من الطير من حمام وغيره تقبل حتى إذا كادت أن تبلغ الكعبة انفردت فرقتين فلم يعل ظهره شيء منها^(٢).

ونقل عن جمع من العلماء منهم العز بن جماعة ومكي رحمهما الله، أن ما عوين من ارتفاع الطير على البيت فللاستشفاء. وأنشدوا في معنى ذلك:

والطير لا يعلو على أركانها

إلا إذا أضحي بها متألما

قال ابن عطية رحمه الله: والقول بأن الطير لا يعلو ضعيف، فإنه يعاين يعلوه، وقد علت العقاب التي أخذت الحية المشرفة على جداره، وتلك كانت من آياته. انتهى^(٣).

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٣ ص ١٩٣.

(١) إخبار الكرام ص ٩٧.

(٣) إخبار الكرام ص ٩٨.

قال الزركشى: وليس فى هذا ما ينافى كلام مكى، انتهى، قال الجدر رحمه الله: قلت: وتوجيه عدم منافاته أن ما عوين من ذلك قد يكون للاستشفاء، وأما العقاب فلاخذ الحية المذكورة، ثم قال أيضًا: والمعروف عند أهل مكة المشرفة قبل وقتنا هذا ما قاله مكى وابن جماعة وغيرهما. وأما فى وقتنا هذا فما قاله ابن عطية فإن الطيور الآن تعلقه كثيرا ويتكرر منها ذلك فى الساعة الواحدة، وهذا مشاهد لا ينكر، ولعل حدوث ذلك بسبب ما وقع من نقض السقف والتغيرات الواقعة والله أعلم. انتهى بنصه^(١).

أقول: وتوجيه قول الجدر رحمه الله ظاهر، إذ يحتمل أنه كان فى السقف المنقوض وفيما غير منه شيء من الإرصاء يمنع من ذلك، فزال عند النقض والتغيير، والله الموفق. انتهى^(٢).

(ومنها) ما وقع عن التوربشتى فى «شرح المصابيح» أنه قال: ولقد شاهدت من كرامة البيت أيام مجاورتى بمسكة أن الطير كان لا يمر فوقه، وكنت كثيرا أتدبر تحليق الطيور فى ذلك الجو فأجدها مجتنبه عن محاذاة البيت، وربما انقضت من الجو حتى تدانت فطافت به مراراً ثم ارتفعت.

ثم قال أيضاً: ومن آيات الله البينة فى كرامة البيت أن حمامات الحرم إذا نهضت للطيران طافت حوله مراراً من غير أن تعلقه فإذا وقفت عن الطيران وقعت على شرفات المسجد أو على بعض الأسطحة التى حول الكعبة من المسجد ولا تقع على ظهر البيت مع خلوها عما ينفره، وقد كنا نرى الحمامة إذا مرضت وتساقط ريشها وتناثر ترتفع من الأرض حتى إذا دنت من ظهر البيت ألقت بنفسها على الميزاب أو على طرف ركن من الأركان فتبقى به زماناً طويلاً كهيئة المتخشع لا حراك فيها ثم تنصرف بعد حين من غير أن تعلق شيئاً من سقف البيت.

(ومنها) أن المطر إذا عمه من جميع جوانبه دل ذلك على حصول الخصب فى جميع جهات الأرض، فإن كان المطر من جانب، أخصب من الأرض ما بإزائه من الجهة^(٣).

(١) إخبار الكرام ص ٩٩.

(٢) إخبار الكرام ص ٩٩.

(٣) إخبار الكرام ص ١٠٠.

(ومنها) أن الله تعالى يلحظه في كل عام لحظة في ليلة النصف من شعبان .

(ومنها) أن خمسة من جرهم تواعدوا أن يسرقوا ما في خزانة الكعبة من الحلوى ، فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم ، واقتحم الخامس ، فجعل الله تعالى أعلاه أسفله وسقط منكسما فهلك وفر الأربعة^(١) .

وبعث الله تعالى حية سوداء الرأس والذنب ، وباقبها أبيض . فحرس البيت خمسمائة سنة ، وهى التى اختطفها العقاب ، كما تقدم . ويروى أن هذه الحية هى الدابة التى تخرج عند قيام الساعة تكلم الناس . كذا نقله ابن جماعة^(٢) .

(ومنها) ما روى عن ابن عباس أن رجلا قرشيا قتل هاشميا فى الجاهلية وأنكر قتله . فقال له أبو طالب : اختر إحدى ثلاث : إما أن تؤدى مائة من الابل ، وإما أن يحلف خمسون رجلا من عشيرتك أنك لم تقتله ، وإلا قتلناك . فاختر عشيرته الحلف . فقبل أبو طالب عن واحد منهم الفداء ، وأطلق آخر بشفاعة أمه فيه ، وحلف ثمانية وأربعون عند البيت . قال ابن عباس : فوالذى نفسى بيده ما جاء الحول ومنهم عين تطرف . وقال إن ذلك أول قسامة فى الجاهلية^(٣) .

(ومنها) أيضا أن خمسين رجلا من بنى عامر بن لؤى حلفوا فى الجاهلية عند البيت على قسامة باطلا . ثم خرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق نزلوا تحت صخرة ، فبينما هم قائلون إذ أقبلت الصخرة عليهم . فخرجوا من تحتها يسعون ، فانفلقت خمسين فلقة فأدركت كل فلقة رجلا فقتلته^(٤) .

(ومنها) ما روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل رجلا من بنى سليم عن ذهاب بصره فقال : يا أمير المؤمنين ، كنا بنى الضبعاء عشرة ، وكان لنا ابن عم فظلمناه ، فكان يُذَكِّرُنَا بالله والرحم أن نكف عنه ، وكنا أهل جاهلية نرتكب كل الأمور ، فلما رأنا لا نرد ظلامته أمهل^(٥) حتى إذا دخلت الأشهر الحرم انتهى إلى الحرم فجعل يرفع يديه ويقول :

(١) إخبار الكرام ص ١٠٠ .

(٢) إخبار الكرام ص ١٠١ .

(٣) إخبار الكرام ص ١٠١ .

(٤) إخبار الكرام ص ١٠٢ .

(٥) تحرف فى المطبوع إلى : «انسهل» والمثبت رواية الاسدى وهو ينقل عن المصنف .

لاهم أدعوك دعساء جاهدا
 اقتل بنى الضبعاء إلا واحداً
 ثم اضرب الرجل فذره قاعدا
 أعمى إذا ما قيدَ عني^(١) القائداً

فمات إخوة لى تسعة فى تسعة أشهر فى كل شهر واحد وبقيت أنا فعميت وليس يلائمنى قائد^(٢).

(ومنها) ما روى عن حويطب بن عبد العزى أنه قال: كان فى الكعبة حلق يدخل الخائف يده فيها فلا يريه أحد، فجاء خائف فأدخل يده فى حلقة منها فاجتذبه^(٣) رجل فسلت يده، فلقد رأيت فى الإسلام وإنه لأشلى^(٤).

فائدة: روى ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ذكر ما كان يعاقب به من حلف على ظلم ثم قال: إن الناس اليوم ليركبون ما هو أعظم من هذا ولا تعجل لهم العقوبة مثل ما كانت تعجل لأولئك فما ترون ذلك؟ فقالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين. قال إن الله عز وجل جعل فى الجاهلية إذ لا دين حرمة حرمتها وعظمتها وشرفها وعجل العقوبة لمن استحل شيئاً منها لينتهوا عن الظلم مخافة تعجيل العقوبة، فلما بعث الله محمداً عليه السلام توعدهم، فلما انتهكوا ما حرم الله وعدهم بالساعة، فقال: ﴿وَالسَّاعَةُ أَذْهَىٰ وَأَمْرٌ﴾ فأخر العقاب إلى القيامة.

(ومنها) ما يروى أن عبد الله بن عمر بن العاص كان جالساً فى جماعة من قريش بالمسجد الحرام بعد ما ارتفع النهار وقلصت الأفياء وإذا هم ببريق آيم داخل من جهة باب بنى شيبه، فاشرأبت أعينهم إليه وابتدروه بأبصارهم فجاء حتى استلم الركن وطاف بالبيت سبعا وهم يحصونه ثم ذهب إلى دبر المقام فركع ركعتين وهم ينظرون إليه، فقال عبد الله ابن عمرو لبعض الجماعة: اذهب إلى هذا فحذره فإنى أخاف عليه أن يقتل أو يعذب به

(١) فى المطبوع: «يعنى» والمثبت رواية الأزرقى.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٦.

(٣) فى المطبوع: «فاجتذبه» والمثبت رواية الأزرقى.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٤.

فذهب إليه حتى وقف على رأسه وحذره فأصغى إليه برأسه حتى استنفذ كلامه ثم ذهب في السماء حتى غاب فما يرى. والآيم: هي الحية الذكر، وبريقه: لمعانه^(١).

(ومنها) ما روى أن طيرين أقبلتا في الجاهلية كأنهما نعامتان يسيران كل يوم ميلاً أو بريداً حتى أتيا مكة فوقعا على الكعبة وكانت قريش تطعمهما وتسقيهما فإذا خف الطواف من الناس نزلتا فدفا حول الكعبة حتى إذا اجتمع الناس طارا فوقعا على الكعبة فمكشا كذلك شهراً أو نحوه ثم ذهبا. ومعنى دفا: سارا. وسيأتى في فضائل الكعبة يدفون إليك دفيف النسور. قال في «الصحاح»: الدفيف: الدبيب وهو السير اللين.

ومنها: ما أخرجه الأزرقى في «تاريخه» أن طائرا أقبل من ناحية أجياد الصغير لونه لون الحبرة بريشة حمراء وريشة سوداء دقيق الساقين طويلهما طويل العنق دقيق المنقار طويله كأنه من طير البحر، وكان ذلك في يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ست وعشرين ومائتين عند طلوع الشمس والناس إذ ذاك في الطواف كثير من الحاج وغيرهم فوقع في المسجد الحرام قريبا من مصباح زمزم مقابل^(٢) الركن الأسود ساعة طويلة، ثم طار حتى صدم الكعبة في نحو من وسطها ما بين الركن الأسود واليماني وهو إلى الركن الأسود أقرب ثم وقع على منكب رجل محرم من الحجاج من أهل خراسان في الطواف عند الحجر الأسود، فطاف الرجل أسابيع وعيناه تدمعان على خديه ولحيته والطائر على منكبه الأيمن والناس يدنون منه وينظرون إليه ويتعجبون منه وهو [ساكن] غير مستوحش^(٣) [منهم] ثم طار حتى وقع يمين المقام ساعة طويلة يمد عنقه ويقبضه إلى جناحه فأقبل فتى من الحجبة فأخذه ليريه رجلا منهم كان يركع خلف المقام فصاح أشد صياح لا يشبه صوته صوت الطير، ففزع منه فأرسله فطار حتى وقع بين يدي دار الندوة، ثم خرج من باب المسجد الذي بين دار الندوة ودار العجلة نحو قيعقان^(٤).

(ومنها) ما رواه أبو الطفيل قال: كانت امرأة من الجن تسكن ذا طوى في الجاهلية، وكان لها ابن ليس لها غيره، وكانت تحبه حباً شديداً وكان شريكاً في قومه فتزوج. فلما كان

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ١٧.

(٢) في المطبوع: «فقابل» والمثبت رواية الأزرقى الذي ينقل عنه المؤلف.

(٣) في المطبوع: «متوحش» والمثبت رواية الأزرقى الذي ينقل عنه المصنف.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ١٧ وما بين حاصرتين منه.

يوم سابعه . قال لأمه : إني أحب أن أطوف بالكعبة سبعاً نهاراً . فقالت : أراني إني أخاف سفهاء قريش فقال : أرجو السلامة . فأذنت له فولى في صورة جان فلما أدبر جعلت تعوده تقول :

- * أعيدك بالكعبة المستوره *
- * ودعوات ابن أبي محذوره *
- * وما تلا محمد من سوره *
- * إني إلى حيساته^(١) فقيره *
- * وإني بعيشه مسروره^(٢) *

ثم مضى فطاف سبعاً وصلى خاف المقام ركعتين ، ثم أقبل راجعاً حتى إذا كان ببعض دور بني سهم عرض له شاب من بني سهم أحمر أزرق أحول أعسر فقتله فثارت بمكة خيرة حتى لم تر الجبال . فقال أبو الطفيل : وبلغنا أن الغيرة إنما تثور كذلك عند موت عظيم من الجان . قال : فأصبح كثير من بني سهم موتى على فرشهم من قبل الجان ، فنهضت بنو سهم وحلفاؤها ومواليها وعبيدها فركبوا الجبال والشعاب بالثنية فما تركوا حياة ولا عقرباً ولا شيئاً من الهوام يدب على وجه الأرض إلا قتلوه ، وأقاموا على ذلك ثلاثاً ، فسمعوا في الليلة الثالثة هاتفاً على أبي قبيس يهتف بصوت جهورى يسمعه من بين الجبلين : يا معشر قريش الله الله ، فإن لكم أحلاماً وعقولاً ، اعذرونا من بني سهم ، قد قتلوا منا أضعاف ما قتلنا منهم ، ادخلوا بيننا وبينهم بصلح ، نعطيهم ويعطونا العهد والميثاق أن لا يعود بعضنا لبعض بسوء أبداً . ففعلت قريش ذلك واستوثق البعض من البعض ، فسميت بنو سهم الغياطة^(٣) قتلة الجن لذلك^(٤) .

(ومنها) أن الله تبارك وتعالى وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف ، فإن

(١) في المطبوع : «خبوته» والمثبت رواية الأزرقى والأسدى .

(٢) من قوله : «أعيدك» إلى «مسروره» ورد نثراً في المطبوع ، ومثله لدى الأزرقى ج ٢ ص ١٦ ، وورد شعراً في المخطوط وكذا لدى الأسدى في إخبار الكرام ص ١٠٧ ، وقد آثرت رواية المخطوط والأسدى والشعر هنا من الرجز .

(٣) في المطبوع : «العباطلة» وهو تحريف صوابه لدي الأزرقى وسموا بالغياطلة لأن أهمهم الغياطلة .

(٤) إخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ١٥ .

نقصوا أكملهم بالملائكة . وأن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة من حجها تعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة ، وأن الملك إذا نزل إلى الأرض في بعض أمور الله تعالى فأول ما يأمره الله بزيارة البيت فينقض من تحت العرش محرماً ملياً حتى يستلم الحجر ، ثم يطوف بالبيت سبعاً ويركع ركعتين ، ثم يمضي لما أمر بعد .

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال : من أتى هذا البيت لا ينهزه غير صلاة فيه رجع كيوم ولدته أمه . ومعنى لا ينهزه لا يحمله على ذلك .

(ومنها) أن هذا البيت منذ خلقه الله تعالى ما خلا عن طائف يطوف به من أنس أو جن أو غير ذلك^(١) .

قال بعض السلف : خرجت يوماً في هاجرة ذات سموم ، وقلت : إن خلا البيت عن طائف ففي هذا الحين . فرأيت المطاف خالياً ، فدنوت فرأيت حية عظيمة رافعة رأسها وهي تطوف حوله^(٢) .

(ومنها) ما يروى أن الكعبة شكت إلى الله تعالى ما نصب حولها من الأصنام وما يستقسم به من الأضلام ، فأوحى الله إليها أني منزل نوراً وخالق بشراً يحنون إليك حنين الحمام إلى بيضه ، ويدفون إليك ديف النور .

ويحكى عن بعض السلف أنه دخل الحجر في الليل ، وصلى تحت الميزاب ، فسمع وهو ساجد كلاماً بين أستار الكعبة والحجارة ، وهو : أشكو إلى الله ما يفعل هؤلاء الطائفون حولي من إساءتهم ، قال : فأولت أن البيت شكاً^(٣) .

(ومنها) ما ذكر أن يوم قتل عبد الله بن الزبير بمكة اشتد الحرب واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة إلا جمل يطوف بها^(٤) .

(ومنها) أن من حجه ثلاث مرات حرم الله جسده على النار ولم تؤثر فيه^(٥) .

روى القاضي عياض في «الشفاء» عن بعض شيوخ المغرب أن قوما أتوه فأعلموه أن

(٢) إخبار الكرام ص ١١٠ .

(٤) إخبار الكرام ص ١١٠ .

(١) إخبار الكرام ص ١٠٩ .

(٣) إخبار الكرام ص ١١٢ .

(٥) إخبار الكرام ص ١١٠ .

كُتَامَةَ - وهى قبيلة من البربر - قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار فلم تعمل فيه وبقي أبيض
البدن، فقال لهم: لعله حج ثلاث حججات. فقالوا: نعم. فقال: حَدَّثْتُ أَنْ مِنْ حَجِّ حِجَّةِ
أدى فرضه، ومن حج ثانية دأين ربه، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على
النار^(١).

(ومنها) ما يروى عن الأوزاعى أنه قال: رأيت رجلا متعاقفاً بأستار الكعبة وهو يقول:

يا رب إني فقير كما ترى
وصببتي قد عروا كما ترى
ونافتي قد عجفت كما ترى
وبردتي قد بليت كما ترى
فما ترى فيما ترى
يا من يرى ولا يرى

فإذا بصوت من خلفه يا عاصم يا عاصم، الحق عمك قد هلك بالطائف وخلف ألف
نعجة وثلاثمائة ناقة وأربعمائة دينار وأربعة أعبد وثلاثة أسياف يمانية، فامض فخذها فليس
له وارث غيرك. قال الأوزاعى: فقلت له: يا عاصم إنك دعوت قريباً، فقال: يا هذا أما
سمعت قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (سورة البقرة: ١٨٦).

(ومنها) ما روى عن على بن الموفق أنه قال: طففت بالبيت ليلة وصليت ركعتين
بالحجر، واستندت إلى جداره أبكى وأقول: كم أحضر هذا البيت الشريف، ولا أزداد فى
نفسى خيراً!! فبينما أنا بين النائم واليقظان إذ هتف بى هاتف، وهو يقول: يا على، سدعنا
مقاتلك أوتدعو أنت إلى بيتك من لا تحبه!؟.

(ومنها) ما ذكر عن أبى بن خلف وعبيد الله بن عثمان أنهما كانا فى الحجر فى شهر
رجب فلم يشعرا إلا بحية قد أقبلت حتى مرت بهما، فدخلت تحت أستار الكعبة، وسمعا
كلاماً من حيث دخلت يقول: يا معشر قريش كفوا عما تأتون من الظلم قبل أن تنزل بكم
النقم، كفوا سفهاءكم فإنكم فى بلد عظيم حرمة^(٣).

(٢) إخبار الكرام ص ١١١.

(١) الشفاء للقاضى عياض ج ٢ ص ٥٩.

(٣) إخبار الكرام ص ١١٢.

(ومنها) أن امرأة عابدة جاءت حاجة، فلما دخلت مكة جعلت تقول: أين بيت ربي؟ وتكرر ذلك، فقيل لها: هذا بيت ربك، فاشتدت نحوه تسعى حتى ألصقت جبينها بحائط البيت فما رفعت منه إلا ميتة.

(ومنها) أن الشبلي رضي الله عنه لما وصل إلى مكة ونظر إلى البيت عظم قدر ما ناله وأنشد
طربا:

أبطحان مكة هذا الذي
أراه عيائنا وهذا أنا
ثم لم يزل يكررها حتى غشى عليه (١).

(ومنها) أن أبا الفضل الجوهري لما دخل الحرم ورأى الكعبة علاه حال فقال - وقد دخله الطرب - هذه ديار المحبوب فأين المحبوب؟ وهذه آثار أسرار القلوب فأين المشتاقون، وهذه ساعة الاطلاع على الدموع، فأين البكاءون؟ ثم شهق شهقة وأنشد:

هذه دارهم وأنت مسحوب
ما بقاء الدموع في الأماق
ثم يادر إلى البيت باكيا وهو ينادى: لبيك اللهم لبيك (٢).

وهذا بعض ما ذكر من فضائل هذا البيت، وهذا الأوراق لا تتبع أكثر من ذلك وفيما ذكر مقنع، والله تعالى أعلم.

(١) إخبار الكرام ص ١١٣.

(٢) إخبار الكرام ص ١١٣.

الباب الثالث

فيما يتعلق ببناء الكعبة الشريفة

وكم مرة بنيت وما ورد في ذلك من الأقوال

والروايات والاختلاف وبيان أسباب البناء وهاننا

أذكره مبينا مفصلا مع التنبية على أشهر الأقوال

(اعلم) أن الكعبة زادها الله تعالى شرفا بنيت مرات. قال في «منهاج التائبين»: بنيت الكعبة خمس مرات: إحداهما: بناء الملائكة، وقيل آدم. الثانية: بناء الخليل عليه السلام، الثالثة: بناء قريش في الجاهلية. الرابعة: بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، الخامسة: بناء الحجاج، وقد قيل: إنها بنيت مرتين آخرين: الأولى: بناء العمالقة بعد إبراهيم عليه السلام، والثانية: بناء جرهم بعد العمالقة، ثم بنته قريش، والله أعلم. انتهى.

وفي «شفاء الغرام» للقاضي تقي الدين الفاسي رحمه الله أنها بنيت عشر مرات: (الأولى) الملائكة عليهم السلام. ثم آدم صلوات الله عليه. ثم أولاده. ثم الخليل عليه الصلاة والسلام. ثم العمالقة. ثم جرهم. ثم قصي بن كلاب. ثم قريش. ثم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه. ثم الحجاج بن يوسف الثقفي. قال القاضي تقي الدين المشار إليه: وإطلاق العبارة بأنه - أي الحجاج - بني الكعبة تجوز، لأنه لم يبن إلا بعضها، كما سيأتي بيانه، ولولا أن السهيلي والنووي ذكراه لما ذكرته. انتهى^(١).

وفي «الروض الأنف» للسهيلي، أن أول من بني الكعبة شيث بن آدم عليهما السلام. وذكر في موضع آخر أن الملائكة هي التي أسست الكعبة^(٢).

وذكر القاضي تقي الدين أيضاً: أنه وجد بخط عبد الله المرجاني أن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بني الكعبة بعد قصي وقبل بناء قريش، ثم قال: ولا أعلم له في ذلك سلفاً ولا خلفاً، والله أعلم^(٣).

(٢) الروض الأنف ج ١ ص ٢٣٦ و ٣٤٠.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٧.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٧.

واختلف هل بناء الملائكة قبل آدم أو بناء آدم قبل الملائكة. وذكر الأزرقي رحمه الله ما يشهد للقولين^(١).

في «منسك» الجد نور الله ضريحه: بنيت الكعبة الشريفة خمس مرات: الأولى: بناء الملائكة، الثانية: بناء آدم عليه السلام، الثالثة: بناء إبراهيم عليه السلام، الرابعة: بناء قريش في الجاهلية. الخامسة: بناء ابن الزبير ثم هدم الحجاج بعضه وبناه. قال الجد رحمه الله: وهذا هو المشهور المعروف.

وأخرج الشافعي عن علي كرم الله وجهه أن أول من بنى البيت الخليل عليه السلام وجزم به ابن كثير في «تفسيره» وقال لم يجئ خبر عن معصوم أن البيت كان مبنيًا قبله.

وقال في «تاريخه» عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ (سورة آل عمران: ٩٦) الآية. يذكر تعالى عن عبده وخليله أنه بنى البيت العتيق الذي هو أول مسجد وضع لعدم الناس يعبدون الله فيه، وبواد مكانه، أي أرشده إليه ودله عليه. وعن علي وغيره أنه أرشده إليه بوحي من الله ولم يجئ خبر صحيح عن معصوم. وذكر ما تقدم، ثم قال: وقد تمسك في هذا بقوله تعالى ﴿مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ (سورة الحج: ٢٦) فليس بناهض ولا ظاهر، لأن المراد مكانه الكائن في علم الله المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمن إبراهيم. وقد ذكر ابن آدم نصب عليه، وأن الملائكة أتوا له. وقد أفادت بلك بهذا البيت. وقد السفينة طانت به أربعين يوماً أو نحو ذلك. وكل هذه أخبار عن بني إسرائيل وهي لا تصدق ولا تكذب فلا يحتج بها^(٢). انتهى.

أقول: فعلى هذا يكون بناء البيت ثلاث مرات، الأولى: الخليل عليه السلام، الثانية: بناء قريش، الثالثة: بناء ابن الزبير والحجاج، لأن بناء الخليل ثابت بنص الكتاب، وبناء قريش ثابت في «صحيح البخاري» وغيره، وبناء ابن الزبير والحجاج ذكره عامة المفسرين وأهل التواريخ وغيرهم من العلماء.

ويحتمل أن يقال أيضاً أن الكعبة بنيت أربع مرات: الأولى: بناء الملائكة وآدم معاً في آن واحد، ويشهد له ما سيأتي قريباً عن ابن عباس عند ذكر السبب في بناء آدم عليه السلام

(١) أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ٣٢.

(٢) تاريخ ابن كثير ج ١ ص ١٨١ و ١٨٢.

كما ستقف عليه، وهو مجرد تأسيس، الثانية: بناء الخليل. الثالثة: بناء قريش. الرابعة: بناء ابن الزبير والحجاج، ويكون البناء الأول والرابع مشتركا. ثم القول بأن ذلك فى آئين فهو تأسيس أيضا كما ذكره الفاسى فى «شفاء الغرام» لا بناء مرتفع كغيره من الأبنية الآتى وصفها، لأنه حيثذ يحتاج إلى معرفة السبب فى نقض بناء الملائكة على تقدير أوليته حتى بناء آدم، وفى نقض بناء آدم أن لو كان أولا حتى بنته الملائكة، كما ستعلمه عند ذكر أسباب الأبنية الآتية إن شاء الله تعالى.

ولم أر أحدا ذكر ذلك فيما وقفت عليه ولا تعرض لمقدار ارتفاع بناء الملائكة وآدم فى السماء كم هو؟ فيحتمل أنه كان مرتفعا وحفظ من الهدم والتغير إلى أن بنى عليه آدم أو الملائكة على الخلاف أيهما كان أولا، أو أنه انهدم لتناسخ القرون فبنى ثانيا على ما وجد من الأساس، أو لم يكن هناك ارتفاع أصلا بل مجرد تأسيس فنه. عليه، ويحتمل غير ذلك والله أعلم بحقائق الأمور. انتهى.

وقد آن الشروع فى ذكر الأسباب المشار إليها:

أما سبب بناء الملائكة عليهم الصلاة والسلام: فروى عن على بن الحسين رضي الله عنه أنه قال: لما قال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (سورة البقرة: ٣٠) قالت: أى رب، خليفة من غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء، فغضب عليهم، فلاذوا بالعرش ورفعوا رءوسهم وأشاروا بالأصابع يتضرعون ويبكون إشفاقا لغضبه، فطافوا بالعرش ثلاث ساعات، وفى رواية سبعة أطراف يسترضون ربهم، فرضى عنهم وقال لهم: ابنوا لى فى الأرض بيتا، يعوذ به كل من سخطت عليه من خلقتى، فيطوف حوله كما فعلتم بعرسى، فأغفر له كما غفرت لكم، فبنوا البيت الحرام^(١).

قال العلامة عماد الدين ابن كثير رحمه الله: قول الملائكة عليهم السلام: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ (سورة البقرة: ٣٠) الآية سؤال على وجه الاستكشاف والاستعلام على وجه الحكمة، لا على وجه الاعتراض والتقص لبنى آدم والحسد لهم. كما توهمه بعض جهلة المفسرين^(٢).

(١) إخبار الكرام ص ١١٧.

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٧٩.

وفى «الروض الأنف» للسهيلي: لما قالت الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ (سورة البقرة: ٣٠) خافت أن يكون الله عاتبا عليهم لاعتراضهم في علمه، فطافوا بالعرش سبعا. وذكر ما تقدم عن علي بن الحسين رضي الله عنه (١).

كذا حكاه الجد نور الله ضريحه وجعل الرحمة غبوقه وصبوحة في «منسكه». ثم قال بعد ذلك: ظاهر قول السهيلي: خافت أن يكون الله عاتبا عليهم، أنه لم يقع من الله غضب عليهم وهو الموافق للحكم بعصمتهم، وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (سورة التحريم: ٦) وما تقدم عن علي بن الحسين يخالف ذلك. وقوله: لاعتراضهم في علمه يخالف ما تقدم عن ابن كثير من أن ذلك منهم على وجه الاستكشاف لا الاعتراض، اللهم إلا أن يراد ما صورته صورة الاعتراض فلا مخالفة. انتهى.

وفى بعض الروايات أن الله تعالى بعث ملائكة فقال: لهم ابنوا بيئا على مثال البيت المعمور وقدره ففعلوا، وأمر الله تعالى أن يطاف به كما يطاف بالبيت المعمور، وأن هذا كان قبل خلق آدم عليه السلام وقبل خلق الأرض بألفى عام، وأن الأرض دحيت من تحته (٢).

فصل: في الكلام على البيت المعمور

وشيء من خبره على سبيل الاستطراد

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هذا البيت» يعني الكعبة المشرفة «خامس عشر بيئا، سبعة منها في السماء إلى العرش، وسبعة منها إلى تخوم الأرض [السفلى] وأعلاها الذي يلي العرش. البيت المعمور، لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت، لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السفلى، ولكل بيت من أهل السماء ومن أهل الأرض من يعمره كما يعمر هذا البيت». أخرجه الأزرقى (٣).

(١) الروض الأنف ج ١ ص ٢٤٠.

(٢) إخبار الكرام ص ١١٨.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٣٥ وما بين حاصرتين منه.

مطلب فى كل من السبع الارضين بيت يعمره اهلهما

بحث: فإن قيل: فى قوله ﷺ: ولكل بيت . . . إلخ، إشارة إلى تسمية كل بيت منها بالمعمور بهذا المعنى فحصل الاشتراك، فأيهما البيت المعمور المراد؟ فالجواب من وجوه: الأول: أن البيت المعمور قد غلب عليه هذا الاسم ولزمه وصار علما عليه عند الإطلاق، والثانى: أنه تميز بكونه فى السماء السابعة على الرواية المشهورة كما ستقف عليها قريباً، فيكون هو المراد دون غيره. الثالث: أنه يسمى بالضراح دون بنية البيوت الأخرى. والله الموفق.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: البيت المعمور الذى فى السماء يقال له الضراح وهو على البيت الحرام، لو سقط سقط عليه، يعمره كل يوم سبعون ألف ملك لم يروه قط^(١).

والضراح بالضاد المعجمة بعدها راء فألف فحاء مهملة، وقيل بالصاد المهملة. والمشهور الأول، وعند مجاهد: البيت المعمور هو الضريح يعنى بالضاد المعجمة والضريح لغة: البعيد.

الخلافاً فى البيت المعمور وفى مكة

واختلف فى البيت المعمور وفى مقره فقيل: إنه البيت الذى بناه آدم أول ما نزل إلى الأرض، كما سأذكره قريباً، ثم رفع إلى السماء أيام الطوفان وتسميه الملائكة بالضراح لأنه ضرح عن الأرض إلى السماء بمعنى أبعد.

وقيل: إن البيت بمكة معمور بمن يطوف به، وهذا منسوب إلى ابن عباس والحسن. وعن محمد بن عباد بن جعفر أنه كان يستقبل الكعبة الشريفة ويقول: واحبذا بيت ربي ما أحسنه وأجمله، هذا والله البيت المعمور، وظاهر هذين القولين ينافى ما تقدم.

وأما مقره فللأزرقى ثلاث روايات: الأولى: أنه فى السماء السابعة، الثانية: أنه فى السادسة، الثالثة: أنه فوق السموات السبع تحت العرش.

(١) اخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٤٩.

وفي رواية لغير الأزرقى أنه في السماء الرابعة .

أقول: الرواية الأولى هي المشهورة الصحيحة الموافقة لما رواه مسلم في «صحيحه» من حديث ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه من كونه عليه السلام اجتمع بإبراهيم عليه السلام في السماء السابعة وراه سبتنا فنهره إلى البيت المعمور . وهذا الحديث أولى بالاعتماد عليه دون غيره .

قال القاضي عياض رحمه الله في «الشفاء»: جود ثابت هذا الحديث ما شاء ولم يأت عنه أحد بأصوب من هذا . وقد خلط فيه غيره عن أنس رضي الله عنه تخليطاً كثيراً لا سيما شريك ابن أبي نمر . انتهى (١) .

وأما سبب بناء آدم صلوات الله عليه: فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى لما أهبط آدم كان رأسه في السماء، ورجلاه في الأرض وهو مثل الفلك من رعدته، فطأ الله عز وجل منه إلى ستين ذراعاً . فقال: يا رب، ما لي لا أسمع صوت الملائكة؟ فقال له: خطيئتك يا آدم . ولكن اذهب فابن لي بيتاً واذكرني حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي، فأقبل آدم يستخطي، فطويت له الأرض، ولم يقع فذمه في شيء من الأرض إلا صار عمرانا وبركة حتى انتهى إلى مكة فبنى البيت الحرام بعد أن ضرب جبريل عليه السلام بهيئته الأرض فأبرز من أس ثابت في الأرض السبلي . فتأملت فيه الملائكة الصخر ما لا يطيق حمل الصخرة منها ثلاثون رجلاً . قال ابن عباس رضي الله عنهما: فكان أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم عليه السلام، ولم يزل كذلك حتى بعث الله الطوفان فدرس موضع البيت (٢) .

أقول: هذا ما يشهد لبناء الملائكة وآدم في آن واحد كما سبقت الإشارة إليه . انتهى .

مطلب الأجيل التي بنيت منها الكعبة خمسة

ويروى أن بناءه من خمسة أجيل: لبنان، وطور زيتا، وطور سيناء، والجودي، وحراء، حتى استوى مع وجه الأرض، أي لم يرتفع عن وجه الأرض، كما قدمته . وسيأتي بيان موضع هذا الجبال عند ذكر بناء الخليل إن شاء الله تعالى .

(٢) إخبار الكرام ص ١١٩ .

(١) الشفاء للقاضي عياض ج ١ ص ١١٦ .

والفلك فيما تقدم - بضم الفاء: هو السفينة. ووجه التشبيه أن آدم عليه السلام حال الهبوط كان فيه اضطراب كاضطراب السفينة في البحر حال هبوب الرياح.

وفي بعض الروايات أن آدم عليه السلام لما أهبط بأرض الهند اشتد بكاؤه وحزنه فتاب الله عليه وأمره بالمسير إلى مكة، فلما انتهى إليها عزاه الله بخيمة من خيام الجنة ووضعها له موضع البيت، وكانت تلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة فيها ثلاثة قناديل من ذهب من تبر الجنة فيها نور يلتهب من نور الجنة^(١).

وعن قتادة، أن آدم عليه السلام أهبط ومعه بيت فكان ينظف به والمؤمنون من ولده كذلك إلى زمن الغرق، ثم رفعه الله عز وجل فصار في السماء وهو الذي يدعى البيت المعمور. ذكره الحلیمی في «منهاجه» ثم قال: يجوز أن يكون معنى قول قتادة من أنه أهبط مع آدم بيت أي مقدار البيت المعمور طولاً وعرضاً وسمكاً ثم قيل له: ابن بقدره وحياله فكان حياله موضع بالكعبة فبناها فيه. وأما الخيمة فقد يجوز أن يكون أنزلت وضربت في موضع بالكعبة، فلما بنى الكعبة كانت الخيمة حولها طمأنينة لقلب آدم ما عاش ثم رفعت فتفق هذه الأخبار. كذا في «منسك» الجدر رحمه الله تعالى.

وأما سبب بناء الخليل صلوات الله عليه: فروى عن مجاهد رضي الله عنه أن موضع البيت كان قباً خراباً ودرس من النسر. أبنام النسر فأن، فصار موضعاً أكمة حرة لا تملؤها السيول، غير أن الناس يعلمون أن موضع البيت فيما هناك ولا يشتونه. وكان المظلوم يأتيه من أقطار الأرض ويدعو عنده المكروب، فقل من دعا هنالك إلا استجيب له^(٢).

وعن ابن عمر: كانت الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لخليله وأعلمه مكانه^(٣).

مطلب الخلاف في هود وصالح هل حجاج أم لا

وروى أن هوداً وصالحاً ومن آمن بهما حجوا البيت وهو كذلك. ونقل العلامة السيرطی في بعض كتبه أن جميع الأنبياء حجوا البيت إلا هوداً وصالحاً فرنهما كانا تشاغلاً بأمر قومهما فماتا ولم يحجا.

(١) إخبار الكرام ص ١٢٠. (٢) إخبار الكرام ص ١٢١. (٣) إخبار الكرام ص ١٢٢.

مطلب سبب معرفة إبراهيم أساس البيت الحرام

وأن آدم لما حج خلق جبريل رأسه بياقوتة من الجنة فلما بوأ الله تعالى لخليله مكان البيت وأمره بينائه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ (سورة الحج: ٢٦) وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ (سورة البقرة: ١٢٧) الآيتين، أقبل من الشام وسنه يومئذ مائة سنة، وسن إسماعيل ست وثلاثون سنة. وأرسل الله معه السكينة والصرد والملك دليلاً حتى تبوأ البيت الحرام، فقال لابنه إسماعيل عليه بالسلام: إن الله قد أمرني أن أبني له بيتاً، فقال له إسماعيل: وأين هو؟ فأشار إلى أكمة مرتفعة عليها رضراض من حصباء فقاما يحفران عن القواعد ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة البقرة: ١٢٧) ويحمل إسماعيل الحجارة على رقبة وإبراهيم يبني، فلما ارتفع البناء وشق على الخليل تناول الأحجار، قرب له إسماعيل المقام فكان يقوم عليه^(١). وقد تقدم الكلام عليه مستوفى.

والصرد - بضم الصاد وفتح الراء المهملتين - طائر ضخم الرأس فوق العصفور يصيد العصافير. وقيل: إنه أول طائر صام لله. والسكينة: لها رأس كراس الهرة وجناحان. وفي رواية كأنها غمامة أو ضيابة تغشى الأرض كال دخان في وسطها كهيئة الرأس يتكلم، وكانت بمقدار البيت، فلما انتهى الخليل صلوات الله عليه إلى مكة وقفت في موضع البيت ونادت يا إبراهيم، ابن علي مقدار ظلي لا تزيد ولا تنقص.

وفي رواية أنها تطوقت بالأساس الأول كأنها حية.

وفي أخرى أنها لم تنزل راكدة تظل إبراهيم وتهديه مكان القواعد فلما رفع القواعد قدر قامة انكشف.

قال السهيلي في «روضه»: والسكينة من شأن الصلاة. قال عليه السلام: «وأتوها وعليكم السكينة» انتهى. فجعله علماً على قبليتها حكمة من الله تعالى^(٢).

(١) إخبار الكرام ص ١٢٢.

(٢) الروض الأنف ج ١ ص ٣٤١.

وروى أن السكينة قالت لإبراهيم: ربيض على البيت، فلذلك لا يطوف بالبيت ملك ولا أعرابي نافر ولا جبار إلا رأيت عليه السكينة^(١). كذا في «منسك» الجد رحمه الله.

وذكر أن الخليل لما حفر القواعد أبرر عن رابض كأمثال خلف الإبل لا يحرك الصخرة إلا ثلاثون رجلا. وكان بينى كل يوم ساقا^(٢) وهو المدماك^(٣) في عرفنا الآن^(٤).

قال ابن عباس رضي الله عنه: أما والله، ما بنياه بقصة ولا مدر. ولا كان معهم ما يسقفانه ولكنهما أعلماه وطافا^(٥) به.

وفي رواية: رضماه رضما فوق القامة ولم يسقفاه. والرضم: أن ترص الحجارة بعضها فوق بعض بغير ملاط^(٦).

والقصة بفتح القاف هي النورة أو شبهها.

قال السهيلي: بناء الخليل من خمسة أجيل كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها، وهي: طور سيناء، وطور زيتا، اللذان بالشام. والجودي، وهو بالجزيرة، ولبنان وحرء وهما بالحرم، ثم قال: وانتبه لحكمة الله كيف جعل بناءه من خمسة أجيل فشاكل ذلك معناها، إذ هي قبلة للصلوات الخمس وعمود الإسلام، وقد بُنيَ على خمس. انتهى^(٧).

قال الجد رحمه الله تعالى: وفي كون لبنان بالحرم نظر، إذ لا يعرف ذلك.

ويروى أن ذا القرنين قدم مكة والخليل وابنه يبنيان فقال: ما هذا؟ فقالا: نحن عبدان أمرنا بالبناء، فطلب منهما البرهان على ذلك فشهد بذلك خمسة أكباش، فقال قد رضيت وسلمت ثم مضى.

(٢) تحرف في د، والمطبوع إلى: «ساقا».

(٤) إخبار الكرام ص ١٢٤.

(٦) إخبار الكرام ص ١٢٥.

(١) إخبار مكة للأرقم ج ١ ص ٦٠.

(٣) المدماك: الصف من اللبن أو الحجارة.

(٥) إخبار الكرام ص ١٢٤.

(٧) الروض الأنف ج ١ ص ٢٤١.

مطلب : الكلام على ذى القرنين صاحب الخضر

ولم لقب بذلك وتعريف نبوته وعدمها

فائدة استطرادية: اعلم أن ذا القرنين اثنان: رومى، ومقدونى. والذي اجتمع بالخليل هو الرومى الذى ذكره الله تعالى فى القرآن وهو صاحب الخضر. واختلف فى تسميته بذى القرنين وهل كان نبيا أم عبدا صالحا. فقيل: سمى بذى القرنين لأنه بلغ مغرب الشمس ومطلعها، وقيل: لأنه، ملك الروم وفارس أو الروم والترك، وقيل: لأنه انقرض فى زمنه قرنان من الناس وهو حى.

وقال الواحدى: لأنه أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه فمات فبعثه الله ثم أمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الآخر فمات، فبعثه الله فسمى ذا القرنين، وقيل: كان له قرنان. وقيل: كان كريم الطرفين أما وأبا، وهذان القولان فى «المدارك» وقيل: لأنه عاش قرنين. وعن على: سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له النور، وكان الليل والنهار عنده سواء.

وأما أنه نبى أو ملك فعن عبد الله بن عمر ومجاهد أنه كان نبيا، وعن على كرم الله وجهه أنه كان عبدا صالحا أحب الله وناصره فأحبه الله وناصره، وعن وهب أنه كان ملكا عادلا، قال المفسرون: ملك الدنيا أربعة: مؤمنان وكافران: أما المؤمنان: فذو القرنين وسليمان بن داود عليهما السلام، وأما الكافران: فنمرود وبختنصر. قال القرطبي: وسيملك الدنيا من هذه الأمة خامس وهو المهدي لقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (سورة الفتح: ٢٨) انتهى.

أقول: وسيملكها سادس أيضا، وهو عيسى صلوات الله عليه. كما جاءت به السنة فى غير موضع من الصحيحين وغيرهما. انتهى.

مطلب سن ذى القرنين

وكان عمر ذى القرنين ألفا وستمائة سنة، واختلف فى زمنه واسمه فقيل: كان فى زمن نمرود، ويؤيده اجتماعه بالخليل حال بنائه البيت، كما تقدم، لأن الخليل والنمرود

فى زمن واحد، وعن وهب أنه كان فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام، وقيل: كان بعد ثمود. وأما اسمه، فقيل: عبد الله، وقيل: إسكندر، وقيل: مرزبان بن مرزبة.

مطلب: الحجر الأسود وهل كان قبل إبراهيم أم لا

عدنا إلى المقصود، فلما انتهى الخليل عليه السلام فى البناء إلى موضع الحجر - بالفتح - طلب من إسماعيل حجراً يضعه ليكون علماً على بداءة الطواف فجاءه جبريل بالحجر الأسود، قيل نزل به من الجنة. وقيل: جاء به من أبى قبيس، لأن الله استودع الحجر أبى قبيس لما غرقت الأرض. وفى رواية أن الحجر نفسه نادى الخليل من أبى قبيس هانذا، فرقى إليه فأخذه فوضعه فى موضعه هذا^(١).

وجعل الخليل صلوات الله عليه طول البيت فى السماء تسعة أذرع، وعرضه فى الأرض اثنين وثلاثين ذراعاً من الركن الأسود إلى الركن الشامى الذى عنده الحجر - بكسر الحاء - من وجهه، وجعل عرض ما بين الركن الشامى الغربى الذى فيه الحجر - بالكسر اثنين وعشرين ذراعاً. وجعل طول ظهره من الركن الغربى إلى الركن اليمانى واحداً وثلاثين ذراعاً، وجعل عرض سقفها اليمانى من الركن الأسود إلى الركن اليمانى عشرين راعاً، فلذلك سميت كعبة لأنها على خلة الكعب، وكذلك بنى أساس آدم عليه السلام، وجعل بابها بالأرض غير مبرز حتى كان تبع أسعد الحميرى هو الذى جعل لها باباً وغلقاً فارسياً، وكساها كسرة تامة، ونحرت عندها كما علمته^(٢) فيما تقدم. وسيأتى الكلام على ذلك فى محله مستوفى إن شاء الله تعالى.

وجعل الخليل الحجر - بكسر الحاء - إلى جنب البيت عريشاً من أراك تقتمحه العنز، فكان زرباً لغنم إسماعيل، وحفر فى بطن الكعبة جبا على يمين الداخل يكون خزانة للبيت يلقى فيه ما يهدى للكعبة، وهو الذى نصب عليه عمرو بن لحي هبل، صنم قريش الذى كانت تعبده وتستقسم عنده بالأزلام^(٣).

أقول: ولعله - والله أعلم - هو المراد بقول أبى سفيان بن حرب فى يوم أحد: اعل

هبل. انتهى.

(٢) إخبار الكرام ص ١٢٦.

(١) إخبار الكرام ص ١٢٥.

(٣) إخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٦٤.

ثم عدا على ذلك الجب قوم من جرهم فسرقوا ما فيه من أموال الكعبة وحليتها مرة بعد أخرى، فبعث الله الحية لحراسته وهي التي اختطفها العقاب كما تقدم، والله أعلم.

وأما سبب بناء قريش للبيت: فروى أن امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت شرارات من مجمرتها فاحترقت كسوته وكانت ركاما بعضها فوق بعض، فحصل في الأحجار تصدع ووهن، ثم تواترت السيول بعد ذلك أيضا وجاء سيل عظيم فدخل البيت فازداد تصدع الجدران ففزع ذلك قريش فزعا شديدا، وهابوا هدمها، وخافوا إن مسوها ينزل عليهم العذاب^(١).

فبينما هم على تلك الحال يتشاورون إذ أقبلت سفينة من الروم، حتى إذا كانت بمحل يقال له الشُعْبِيَّة - بضم الشين المعجمة - وهو يومئذ ساحل مكة قبل جدة انكسرت^(٢).

استطراء: في الكلام على فضل جدة التي هي الآن ساحل مكة وشيء من خبرها: روى الفاكهي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مكة رباط وجدة جهاد»^(٣).

وعن ابن جريج قال: سمعت عطاء يقول: إنما جدة خزانة مكة وإن ما يؤتى به إلى مكة لا يُخْرَجُ به منها^(٤).

ثم قال - أعنى ابن جريج: إني لأرجو أن يكون فضل مرابطة جدة على سائر المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان^(٥).

وعن عباد بن كثير، أنه قال: الصلاة بجدة مائة الف صلاة، والدرهم فيها مائة الف، وأعمالها بقدر ذلك، يغفر للناظر فيها مائة الف مما يلي البحر^(٦).

وعن فرقد السبخي أنه قال: إني رجل أقرأ هذه الكتب، وإني لأجد فيما أنزل الله من كتبه جدة - أو جديدة - يكون بها قتلى وشهداء، لا شهداء يومئذ على ظهر الأرض أفضل منهم^(٧).

- (١) أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ١٦٠ .
 (٢) أخبار مكة للفاكهي ج ٣ ص ٥٢ وذكر محققه أن إسناده ضعيف .
 (٣) أخبار مكة للفاكهي ج ١ ص ٥٣ .
 (٤) أخبار مكة للفاكهي ج ٣ ص ٥٣ .
 (٥) أخبار مكة للفاكهي ج ٣ ص ٥٣ .
 (٦) أخبار مكة للفاكهي ج ٣ ص ٥٣ .
 (٧) أخبار مكة للفاكهي ج ٣ ص ٥٥ .

وعن بعض المكيين أن الحبشة جاءت إلى جدة في سنة ثلاث وثمانين في صدرها، فوقعوا بأهل جدة، فخرج الناس من مكة إلى جدة غزاةً في البحر، وعليهم أميرهم عبد الله محمد بن إبراهيم المخزومي. انتهى (١).

قال الفاسي رحمه الله: عبد الله بن محمد هذا ولي مكة للرشيد العباسي، فيكون المراد سنة ثلاث وثمانين ومائة (٢).

وأول من جعل جدة ساحلاً لمكة عثمان بن عفان رضي الله عنه في سنة ست وعشرين من الهجرة، وكانت الشَّعْبِيَّة ساحل مكة قبل ذلك (٣).

وذكر ابن جبير أنه رأى بجدة أثر سور محقق وأن بها مسجدين ينسبان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، أحدهما: يقال له مسجد الأبنوس، وهو معروف إلى الآن، والآخر غير معروف، ولعله والله أعلم المسجد الذي تقام فيه الجمعة وهو من عمارة المظفر صاحب اليمن. انتهى (٤).

ويروى أن قبر حواء بجدة، والله أعلم (٥).

ولترجع إلى المقصود: فلما انكسرت السفينة بالشعبية وبلغ قريشاً قصدوها واشتروا حبسها، وأذنوا لأهلها أن يدخلوا مكة فيبيعوا ما معهم من المتاع وأن لا يعشروهم (٦) وكانوا قبل ذلك يحشرون من دخلها من تجار الروم. وكانت الروم أيضاً تعشر قريشاً إذا دخلوا بلادهم. وكان في السفينة نجار بناء اسمه باقوم. وهو الذي بنى الكعبة لقريش كما روى عن سفيان بن عيينة (٧).

ويروى أن قريشاً لما هابوا هدمها قال الوليد: إن الله لا يهلك من يريد الصلاح فارتقى على ظهر البيت، ومعه الفأس ثم هدم، فلما رآوه سالما تابعوه (٨).

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤١ . (٢) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤١ .

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤١ .

(٤) رحلة ابن جبير ص ٥٠، السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة ص ٤٧ .

(٥) السلاح والعدة ص ٢٧ . (٦) عشر القوم: أخذ عشر أموالهم

(٧) أخبار مكة للأردف ج ١ ص ١٥٧ .

(٨) أخبار الكرام ص ١٢٩ .

وفى بعض الروايات أن قريشًا كانوا كلما أرادوا هدم البيت بدت لهم حية فاتحة فآها فبعث الله طيرا أعظم من النسر فغرز مخالبه فيها فألقاها نحو أجياد، فهدمته قريش وبنوها بحجارة الوادى، ورفعوها ثمانية عشر ذراعا فى السماء، وقيل عشرين^(١).

وحضر النبى ﷺ هذا البناء مع قريش، وكان يحمل الحجارة، وسنه إذ ذاك خمس وثلاثون سنة، وهو الأشهر، وقيل: خمس وعشرون، وهو مشهور^(٢)، وعن الفاكهى كان قد ناهز الحلم، وفى «تاريخ الأزرقى» ما يؤيده، وهو ضعيف جدا فلا يعتبر بمخالفته القولين الأولين.

فبينما هو يحملها وعليه نمرة قد ضاقت فذهب بعضها على عاتقه فبدت عورته فنودى: يا محمد، خمر^(٣) عورتك فلم ير بعدها عريانا، وكان بين ذلك وبين المبعث خمس سنين^(٤).

واختلفت قريش فيمن يضع الحجر الأسود حتى رضوا بأول داخل، فكان هو أول داخل ﷺ فوضعه بيده الشريفة^(٥).

وأخرج الأزرقى فى رواية أن طول الكعبة كان سبعة وعشرين ذراعا، فاقتصرت قريش على ثمانية عشر ذراعا، ونقصوا من عرضها أذراعا أدخلوها فى الحجر.

أقول: بناء قريش ثابت على القول المشهور بعد بناء الخليل، وقد علمت فيما سبق أن الخليل صلوات الله عليه جعل طولها فى السماء تسعة أذرع كما تضافرت به الأقوال، وستقف على ذلك من كلام الأزرقى أيضا عند ذكر بناء ابن الزبير أنفا، فما نقله من أن طول الكعبة كان سبعة وعشرين ذراعا . . . إلخ، فيه مناقضة لما سيأتى عنه، ولم يثبت من طريق صحيح أن أحدا بناها بعد الخليل، وجعل طولها سبعة وعشرين ذراعا، وما تقدم من بناء العمالقة وجرهم وقصى بعد الخليل إنما هو مجرد خبر وهو يحتمل ولم يتأيد بدليل، وعلى تقدير الصحة فلم يذكر أحد مقدار ارتفاع بنائهم مطلقا. على أن الأزرقى نفسه ذكر

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١٦٠.

(٢) أخبار الكرام ص ١٣٠.

(٣) خمر وجهه: غطاء وستره.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١٥٨، أخبار الكرام ص ١٣١.

(٥) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١٥٩، أخبار الكرام ص ١٣١.

بناء العمالقة، وجرهم ولم يبين مقدار ارتفاعهما، نعم نقل الفاسي رحمه الله عن الزبير بن بكار: أن قصيا بنى الكعبة بناء محكما على خمس وعشرين ذراعا وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل، ثم قال: وفيه نظر، لأنه إن أريد به أن قصيا جعل ارتفاع الكعبة خمسا وعشرين كان مخالفا لما اشتهر من أن الخليل جعل طولها تسعة أذرع وأن قريشا زادت تسعة أذرع، وإن أريد أن قصيا جعل عرضها خمسة وعشرين ذراعاً فالمعروف أن عرضها من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص عن ثلاثين في بناء الخليل، ومن الجهة الشامية واليمانية لا يبلغ خمسة وعشرين وكل من بنى الكعبة بعد إبراهيم لم بينها إلا على قواعد غير أن قريشا استقصرت عن عرضها في الجهة الشرقية والغربية أذرعاً لأمراً اقتضاه الحال هذا معنى كلام الفاسي. ثم على تقدير حمل الخمسة والعشرين ذراعاً في بناء قصي على أنه ارتفاع البيت في السماء وإن كان يخالف المشهور، فليس فيه دلالة لما رواه الأزرقى لنقصه ذراعين، فيكون ما نقله الأزرقى مجرد رواية لم يعضدها شيء فلا يعول عليه، والله الموفق.

وروى أن أبا وهب المخزومي قال لقريش عند بناء البيت: لا تدخلوا فيه من كسبكم إلا طيباً، ولا تدخلوا فيه مهر بنى^(١)، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس، فلهذا قصرت بهم النفقة فنقصوا بناء الكعبة عن قواعد إبراهيم^(٢). والله أعلم.

وأما سبب بناء ابن الزبير رضي الله عنه: فهو أن الحصين بن نمير لما قدم مكة، ومعه الجيش من قبل يزيد بن معاوية لقتال ابن الزبير، جمع ابن الزبير أصحابه فتحصن بهم في المسجد الحرام حول الكعبة، ونصب خياماً يستظلون فيها من الشمس، وكان الحصين قد نصب المنجنيق على أخشبي مكة، وهما، أبو قيس والأحمر الذي يقابله، وصار يرمى به على ابن الزبير وأصحابه فتصيب الأحجار الكعبة فوهنت لذلك وتخرقت كسوتها عليها وصارت كأنها جيوب النساء^(٣).

ثم إن رجلاً من أصحاب ابن الزبير أوقد ناراً في بعض تلك الخيام مما يلي الصفا بين الركن الأسود واليماني، والمسجد يومئذ صغير، وكانت في ذلك اليوم رياح شديدة،

(٢) إخبار الكرام ص ١٣١.

(١) البنى: المرأة الزانية الفاجرة.

(٣) إخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٠٢ وما بعدها.

والكعبة إذ ذاك مبنية بناء قريش: مدماك من ساج ومدماك من حجارة، فطارت الريح بشرارة من تلك النار فتعلقت بكسوة الكعبة فاحترقت واحترق الساج الذي بين البناء، فازداد تصدع البيت وضعفت جدرانه، وتصدع الحجر الأسود أيضا حتى ربطه ابن الزبير بعد ذلك بالفضة، ففرغ لذلك أهل مكة، وأهل الشام، أعنى الحصين وجماعته^(١).

وعن الفاكهي: أن سبب حريق البيت إنما كان من بعض أهل الشام أحرق على باب بنى جمح، وفي المسجد يومئذ خيام فمشى الحريق حتى أخذ في البيت، فظن الفريقان أنهم هالكون^(٢).

قال الجد رحمه الله: قلت: وهذا يخالف ما ذكر من أن السبب في ذلك إنما هو من بعض أصحاب ابن الزبير، ولعل ما ذكره الفاكهي أصوب، على أنه يمكن الجمع بوقوع كل من ذلك^(٣): فيكون السبب مركبا. والله أعلم. انتهى معناه.

فائدة: أخرج الأزرقى عن محمد ابن الحنفية أنه قال: أول ما تكلم في القدر حين احترقت الكعبة فقال رجل احترقت ثياب الكعبة وهذا من قدر الله. وقال آخر: ما قدر الله هذا^(٤).

ثم جاء نعي^(٥) يزيد بعد ذلك بتسعة وعشرين يوما والحصين مستمر على حصار ابن الزبير، فأرسل ابن الزبير إلى الحصين جماعة من قريش فكلموه وعظموا عليه ما أصاب الكعبة وقالوا له: إن هذا من رميكم لها، فأنكر ذلك ثم ولى راجعا إلى الشام فدعا ابن الزبير حينئذ وجوه الناس واستشارهم في هدم الكعبة فأشار عليه القليل من الناس بذلك وأبى الكثير.

وكان أشدهم إباء عبد الله بن عباس، وقال دعها على ما أقرها رسول الله ﷺ فإنى أخشى أن يأتى بعدك من يهدمها فلا تزال تهدم وتبنى فيتهاون الناس بحرمتها ولكن أرفعها، فقال ابن الزبير: والله ما يرضى أحدكم أن يرفع بيت أبيه وأمه، فكيف أرفع بيت الله، واستقر رأيه على هدمها رجاء أن يكون هو الذى يردّها على قواعد الخليل صلوات الله

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٠٣. (٢) إخبار الكرام ص ١٢٣.

(٣) إخبار الكرام ص ١٢٣. (٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١٩٧.

(٥) انظر فى ذلك: أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٠٣.

عليه، لقوله عليه السلام لعائشة رضي الله عنها: «لولا قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين» وفي رواية: «حديث عهدهم بكفر»^(١).

مكتة: اعلم أن للمبتدأ الواقع بعد لولا ثلاثة أحوال: مخبر عنه بكون غير مقيد، ومخبر عنه بكون مقيد لا يدرك معناه عند حذفه، ومخبر عنه بكون يدرك معناه عند حذفه. فمن الثاني قوله عليه السلام: «لولا قومك حديثو عهد...» الحديث. ولولا زيد غائب لم أذكر، فالخبر في هذا النوع واجب الثبوت بعد لولا لأنه لو اقتصر في هذا الحديث على المبتدأ لصار المراد لولا قومك على كل حال من أحوالهم لنقضت الكعبة، وهو خلاف المقصود، إذ من أحوالهم بعد عهدهم بالكفر فيما يستقبل، وفي هذا الحال لا مانع من نقض الكعبة وبنائها على الوجه المذكور، وقد ذكره ابن مالك في شواهد على «صحيح البخاري» بأبسط من هذا فراجع إن أردته.

ثم إن ابن الزبير رضي الله عنه أمر بهدم الكعبة وكان ذلك سنة أربع وستين من الهجرة في يوم السبت النصف من جمادى الآخرة. أخرجه الأزرقى. وقيل: سنة خمس وستين^(٢).

فلم يجترئ على ذلك أحد، وخرج أهل مكة إلى منى وأقاموا بها ثلاثاً خوفاً أن ينزل عليهم عذاب بسبب ذلك. وخرج عبد الله بن عباس إلى الطائف، فلما رأى ذلك ابن الزبير علاها بنفسه وأخذ المعول وجعل يهدمها، فلما رآها أنه لم يصبه شيء صعدوا معه وهدموا وأرقى ابن الزبير [فوقها] عبيداً من الحبشة يهدمونها، رجاء أن يكون فيهم «مفة الحبشى» الذى قال فيه عليه السلام: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»^(٣).

لطيفة: قال بعض العلماء: إنما صغر ذو السويقتين، لأن فى سيقان الحبشة دقة وحموشة - أى بالحاء المهملة والشين المعجمة - قال فى «الصحاح»: رجل أحمش الساقين دقيهما.

أقول: فعلى هذا يكون العطف تفسيرياً. انتهى.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٠٤.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٠٦.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٠٥ وما بين حاصرتين منه.

قال الجد رحمه الله: فإن قلت: هذا الحديث ظاهره معارض لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ (سورة العنكبوت: ٦٧) ولأن الله تعالى حبس عن مكة الفيل ولم يمكن أصحابه من تخريب الكعبة، ولم تكن إذ ذاك قبلة فكيف يسلط عليها انحبشة بعد أن صارت قبلة لمسلمين.

قلت: (الجواب) أن ذلك محذور على وعلى وقوعه في آخر الزمان قريب من قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض قرآن ولا إيمان. انتهى بدعناه.

أقول: ويؤيده ما روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: قال الله تعالى: إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببني فخرته، ثم أخرب الدنيا على أثره. انتهى.

قال شيخ الإسلام في «فتح الباري»: وما وقع قبل ذلك فيه من القتال وغزو أهل الشام له في زمن يزيد بن معاوية ثم من بعده وفي وقائع كثيرة من أعظمها وقعة القرامطة، كل ذلك لا يعارض الآية أعني قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ لأن ذلك إنما وقع بأيدي المسلمين، فهو مطابق لقوله ﷺ: «ولن يستحل هذا البيت إلا أهله». وليس في الآية ما يدل على استمرار الأمن المذكور فيها. انتهى.

وقال الزركشي: والحق في الجواب أنه لا يلزم من قوله: ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ وجود ذلك في كل الأوقات فلا يعارضه ارتفاع هذا المعنى في وقت آخر. فإن قيل: قد قال ﷺ: «إني أحلت لي مكة ساعة من نهار ثم عادت حرمتها إلى يوم القيامة». قلنا: أما الحكم بالحرمة والأمن فلم يرتفع إلى يوم القيامة، وأما وقوع الخوف فيها بترك حرمتها فقد وجد ذلك في أيام يزيد وغيرها. انتهى.

وعن الحلبي من الشافعية أن تخريب الحبشة للبيت يكون في زمن نيسى عليه السلام، والصحيح بأن ذلك بعد موته.

ولما انتهى ابن الزبير رضي الله عنه من هدم البيت حفر عن الأساس من نحو الحجر - بكسر الحاء - ليقف على قواعد إبراهيم فلم يصب شيئاً فشق عليه ذلك فبالغ في الحفر ونزل بنفسه فكشفوا له عن قواعد إبراهيم فإذا هي صخر أمثال الخلف من الإبل - بالخاء المعجمة واللام -

وعن عطاء أنه قال: كنت في الأمناء الذين جمعوا على حفرة فحفروا قامة ونصفاً فهجموا على حجارة لها عروق تتصل بزرد عروق المروة فحركوها بالعتل، فتحركت قواعد البيت وارتجت مكة بأسرها. وراوه بنياناً مربوطاً ببعضه ببعض فحمد الله ابن الزبير وكبر^(١).

ثم أحضر الناس وأمرهم بالإشراف فنزلوا وشاهدوا ذلك. فشرع حينئذ في أمر البناء وأراد أن يبنيتها بالورس، فقليل له: إن الورس يذهب. ولكن ابنها بالقصة^(٢)، وأخبر أن قصة صنعاء^(٣) أجود فأرسل بأربعمائة دينار يشتري بها ذلك^(٤).

وفي «الزهر الباسم» أنه بناها بالرصاص المذاب بالورس.

ثم إنه سأل رجالاً من أهل العلم بمكة من أين أخذت قريش حجارتها؟ فأخبروه بمقلعها، فنقل ما احتاج إليه وعزل من حجارة البيت ما يصلح أن يعاد فيه، ثم بنى على تلك القواعد بعد بأن جعل أعمدة من الخشب وستر عليها الستور ليطوف الناس من ورائها ويصلون إليها حتى ارتفع البناء^(٥).

وأخرج الأزرقى أن البناء لما صار ثمانية عشر ذراعاً في السماء وكان هذا طولها يوم هدمها، قصرت حينئذ لأجل الزيادة التي زادها من الحجر، فلم يعجب ابن الزبير ذلك إذ صارت عريضة لا طول لها، فقال: قد كانت قبل قريش تسعة أذرع، وزادت قريش تسعة أذرع، وأنا أزيد تسعة أخرى. فبناها سبعة وعشرين ذراعاً وعرض الجدار ذراعان. وجعل فيها ثلاث دعائم في صف واحد. وكانت قريش جعلت فيها ست دعائم في صفين، وأرسل إلى صنعاء فأتى برخام منها يقال له البلق، فجعله في الروازن الذي في سقفها للضوء^(٦). انتهى.

أقول: هذا يخالف ما تقدم عن الأزرقى من أن طول البيت كان سبعة وعشرين ذراعاً فاقصرت قريش إلخ كما سبق الكلام فيه. انتهى.

(١) إخبار الكرام ص ١٣٦.

(٢) القصة - بالفتح - الجص، لغة حجازية.

(٣) تحرف في المطبوع إلى اصفاً وصوابه لدى الأزرقى.

(٤) إخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٠٥، إخبار الكرام ص ١٣٦.

(٥) إخبار الكرام ص ١٣٧.

(٦) إخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٠٩.

وجعل ابن الزبير للبيت بابين متقابلين أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه، وفي «شفاء الغرام» أنهما لاصقان بالأرض.

قال الحافظ ابن حجر: جميع الروايات التي جمعتها في هذه القصة متفقة على أن ابن الزبير جعل الباب بالأرض. ومقتضاه أن يكون الباب الذي زاده على سمته.

وقد ذكر الأزرقى أن جملة ما غيره الحجاج: الجدار الذي من جهة الحجر، والباب المسدود الذي في الجانب الغربي عن يمين الركن اليماني وما تحت عتبة الباب الأصلي وهو أربعة أذرع وشبر^(١).

وهذا موافق لما في الرواية المذكورة لكن المشاهد الآن في ظهر الكعبة باب مسدود يقابل الباب الأصلي، وهو في الارتفاع مثله. ومقتضاه أن يكون الباب الذي في عهد ابن الزبير لم يكن لاصقًا بالأرض فيحتمل أن يكون لاصقًا كما صرحت به الروايات، لكن الحجاج لما غيره رفعه ورفع الباب الذي يقابله أيضًا ثم بدا له فسد الباب المجدد. لكن لم أر النقل بذلك صريحًا، ثم قال: وذكر الفاكهي أنه شاهد هذا الباب المسدود من داخل الكعبة في سنة ثلاثة وستين ومائتين فإذا هو مقابل باب الكعبة، وهو بقدره في الطول والعرض، وفي أعلاه كلاليب ثلاثة كما في الباب الموجود سواء، والله أعلم. انتهى.

قال الجد رحمه الله: قوله ويحتمل أن يكون لاصقًا كما صرحت به الرواية فيه بعد إذ مشاهدة البناء من أسفل الباب وارتباط بعضه ببعض يقضى بخلاف ذلك، والله أعلم. انتهى.

أقول: وكان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعا واحدا فجعله مصراعين، ولما انتهى إلى موضع الحجر الأسود تحرى غفلة الناس نصف النهار في يوم صائف، وجاء بالحجر هو وولده وجبير بن شيبه ووضعوه بأيديهم. كذا في «الزهر الباسم» وقيل: بل الحجة تواعدوا لوضع الركن، فلما دخل ابن الزبير في صلاة الظهر خرجوا به فوضعوه فأدركهم حمزة بن عبد الله بن الزبير فأخذ بطرف الثوب فرفعه معهم. وقيل: بل وضعه ابن الزبير بنفسه وشده بالفضة. وقيل: وضعه عباد بن عبد الله بن الزبير وجبير بن شيبه،

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢١٠.

أمرهما عبد الله بن الزبير أن يجعلا الركن في ثوب ويخرجا به، وهو يصلى بالناس الظهر على غفلة من الناس لثلا يعلموا بذلك فيتنافسوا في وضعه. أخرجه الأزرقى^(١).

وقيل: وضعه حمزة ابنه وحده بأمر أبيه. نقله السهيلي بالصواب.

وكان الحجر قد تصدع من الحريق وانفرد ثلاث فرق، وانشطت منه شظية كانت عند بعض آل شيبه بعد الحريق بدهر طويل، فشدّه ابن الزبير بالفضة إلا تلك الشظية، وموضعها بين في أعلى الركن. ثم تزلزلت تلك الفضة بعد ذلك وتقلقت حتى خيف على الحجر. فلما اعتمر هارون الرشيد في سنة تسع وثمانين ومائة أمر بنقب الأحجار التي فوق الحجر والتي تحته فنقبت بالماس من فوقها ومن تحتها ثم أفرغ فيها الفضة.

ولما فرغ ابن الزبير رضي الله عنه من بناء الكعبة وذلك في سبع وعشرين من رجب من سنة خمس وستين خلق جوفها بالعنبر والمسك ولطخ جدرانها من خارج بذلك من أعلاها إلى أسفلها وسترها بالديباج، وقيل: بالقباطي، وما فضل من الحجارة فرشها حول البيت، وقال: من كانت لي عليه طاعة فليعتمر من التنعيم شكرا لله عز وجل، ومن قدر أن ينحر بدنة فليفعل، ومن لم يقدر على بدنة فليذبح شاة، ومن لم يقدر فليصدق بقدر طوله. ثم خرج ماشيا حافيا وخرج معه رجال من قريش مشاة حفاة: عبد الله بن صفوان وعبيد بن عمير فأحرم من أكمة أمام مسجد عائشة رضي الله عنها بمقدار غلوة تقارب المسجد المنسوب لعلي، وجعل طريقه على ثنية الحجون، ودخل من أعلى مكة وطاف بالبيت، واستلم الأركان الأربعة، وقال: إنما كان ترك استلام الركنين يعني الشامي والغربي لأن البيت لم يكن تاما يعني على قواعد إبراهيم. وصارت هذه العمرة سنة عند أهل مكة في هذا اليوم يعتمرونها في كل سنة إلى يومنا هذا.

وأهدى ابن الزبير في تلك العمرة مائة بدنة نحرها من جهة التنعيم، وبعض طرق الحل ولم يبق من أشرف مكة وذوى الاستطاعة بها إلا من أهدى، وأقاموا أياما يتطعمون ويتهادون شكرا لله تعالى على الإعانة واليسير على بناء بيته الحرام بالصفة التي كان عليها مدة الخليل عليه السلام، والله أعلم.

(وأما سبب بناء الحجاج وتغييره) بعض ما صنعه ابن الزبير فهو أن ابن الزبير رضي الله عنه لما

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢١٨، ٢١٩.

قتل، كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير قد زاد في الكعبة بما ليس منه وأحدث فيها باباً آخر، واستأذن في رد ذلك على ما كان عليه من بناء قريش. فكتب إليه عبد الملك: لسنا من تلتطبع ابن الزبير في شيء، أما ما زاد في طوله فأخبره. وأما ما زاد فيه من الحجر - بكسر الحاء - فرده إلى بنائه رسد بابه الذي فتحه - يعنى الغربي - .

ينادر الحجاج عند ذلك ونقض الشق الذي يبلى الحجر - بالكسر - أيضاً - وبناء ورفع بابها وسد الباب الغربي^(١).

وقد زور غير واحد من أهل العلم أن عبد الملك قد عمى إذنه للحجاج في ذلك، ولعن الحجاج لما أخبره الحارث أن عبد الله بن أبي ربيعة سمع الحديث من عائشة رضي الله عنها الذي اعتمده ابن الزبير فيما فعله من الكعبة. وهو قوله عليه السلام: لا تؤمك^(٢)... إلخ.

وكل شيء فيها الآن بناء ابن الزبير ما عدا الجدار الذي في الحجر وورد الباب الغربي وتغيير ما تحت عتبة الباب الشرقي والاريجة التي في باطنها.

وروى أن هارون الرشيد أو أباه المهدي أو جده المنصور سأل مالك بن أنس رضي الله عنه في إندسها ورددها إلى بناء ابن الزبير للحديث المشهور. فقال مالك: نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك، لا يشاء أحد إلا نقضه وبناءه، فتذهب هيئته من صدور الناس^(٣).

قال الفاسي: وكان مالكاً يحفظ في ذلك كون درء المناسد أولى من جلب المنصالح. وهي قاعدة مشهورة معتمدة انتهى. والله أعلم^(٤).

فصل في ذكر كنز الكعبة والحكم فيه

روى البخاري عن أبي وائل، قال: جلست مع شيبه - يعنى ابن عثمان - على الكرسى في الكعبة، فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر. ثم قال: لقد هممت أن لا ادع فيها

(١) أخبار مكة للأرقم ج ١ ص ٢١٠، أخبار الكرام ص ١٤٥.

(٢) أخبار الكرام ص ١٤٦.

(٣) أخبار الكرام ص ١٤٧.

(٤) أخبار الكرام ص ١٤٧.

صفراء ولا بيضاء إلا قسمته. قلت: إن صاحبك لم يفعل (هـ)، رسول الله ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه قال: - يعني عمر - هما المرآن أقتدى بهما (١).

أقول: جلوس شيبة على الكرسي في الكعبة، قال المسحب الطبري: لما أخبر شيبة أن النبي ﷺ وأبا بكر لم يتعرضا للمالك رأى عمر أن ذلك هو الصواب.

وكانه رأى حينئذ أن ما جعل في الكعبة يجري مجرى الوقف عليها فلا يجوز تغييره، أو رأى ترك ذلك تورعا حين أخبر أنه تركه صاحبا مع رؤيته جواز إنفاقه في سبيل الله، لأن صاحبيه إنما تركاه للعدو الذي تضمنه حديث عائشة رضي الله عنها (٢). انتهى.

وقال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله: يحتمل أن يكون تركه رضي الله عنه لذلك رعاية لقلوب قريش كما ترك بنا الكعبة على قواعد إبراهيم، ويؤيده ما وقع عند مسلم في بعض طرق الحديث: ولأنفقت كثر الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض وهذا التعليل هو المتمد عليه، فإنفاقه جائز كما جاز لابن الزبير بناؤها على قواعد إبراهيم لزوال سبب الامتناع. انتهى.

الخاتمة: أخرج الأزرقى في «تاريخه» أن النبي ﷺ وجد في الجب الذي في الكعبة سبعين ألف أوقية من ذهب مما كان يهدى للبيت، وأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: يا رسول الله، لو استعنت بهذا المال على حربك. سلم يحركه. ثم ذكر لأبي بكر فلم يحركه (٣).

وأخرج أيضا أن الحسين بن الحسين العلوي عمد إلى خزانة الكعبة في سنة مائتين من الفتنة حين أخذ مكة فأخذ مما فيها مالا عظيما، وقال: ما تصنع الكعبة بهذا المال؟ نحن أحق به نستعين به على حربنا (٤).

ويروى أن مال الكعبة كان يدعى الأبرق. ولم يخالط مالا قط إلا محق (٥). وأدنى ما يصيب أخذه أن يشدد عليه عند الموت.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٤٥ وما بين حاصرتين منه، القرى ص ٥٢١، منافع الكرم ج ١ ص ٣٨٠.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٤٦.

(٣) القرى لقاصد. أم القرى ص ٥٢١.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٤٧.

(٥) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٤٧.

فروع: الأول: تختص الكعبة الشريفة بما يهدى إليها وما ينذر لها من الأموال وامتناع صرف شيء منها إلى الفقراء والمصالح، إلا أن يعرض لها نفسها عمارة فيصرف فيه. وإلا فلا يغير شيء عن وجهه. نبه عليه الزركشى في الشافعية.

الثاني: إذا نذر شمعاً يشعله فيها أو زيتاً ونحوه وضعه في مصابيحها. وإن كان لا يستعمل فيها بيع وصرف الثمن في مصالحها. صرح به الماوردي.

الثالث: نقل الجند في «منسكه» مسألة تعم بها البلوى، فقال: شخص نذر أن يوقد شمعاً على باب الكعبة فأرسل به مع غيره ليوقده فجاء المرسل به وأوقده على الباب قليلاً، فجاء الحجة فأخذه ومنعوا استمرار وقوده، وقالوا: هذه عادتنا مع كل أحد. وربما سرقه نوابهم على غفلة بعد إيقاده قليلاً فهل تبرأ ذمة الناذر والمرسل معه ذمة الناذر دون المرسل معه أم كيف الحال؟.

الجواب: الناذر خلص عن عهده المنذور لبلوغه محله، وكون الحجة يأخذونه أمر آخر لا يتعلق ببقاء النذر في ذمة الناذر ولا المرسل معه، وإن كان على الحجة إيقاؤه موقوداً إلى نفاذه. ولا خفاء أن الناذر نفسه لو حضر بالشمع فكان ما تقدم كان الحكم كذلك. ومحل صحة هذا النذر من أصله أن ينتفع بهذا الموقود ولو على نذر مصل هناك أو غيره، وإلا فإن كان المقصد بالنذر وهو الغالب تعظيم البقعة فيه وقفة، ومقتضى كلام النووي عدم الصحة. وصرح به الأذرعى وتبعه الزركشى انتهى.

أقول: مقتضى مذهبنا أن المرسل بالشمع لا يخلص عن العهدة بمجرد إيصال الشمع إلى المحل بل ولا بوقوده قليلاً ما لم يوقد ثلثه فأكثر. وأما الحجة فلهم أخذه بغير إذن المرسل، إذ جرى العرف بذلك بعد أن وقد معظمه. نص عليه في «القنية» من كتب المذهب انتهى.

الرابع: تصح صلاة الفرض والنفل عندنا في الكعبة من غير كراهة بجماعة وغيرها، وتجوز فوق سطحها من غير ساتر مع الكراهة. ومذهب الإمام الشافعي رحمه الله كمذهبنا في جواز الفرض والنفل في باطن الكعبة بل هو الأفضل عنده، لكن يشترط في الفريضة أن لا يرجو المصلى جماعة خارج الكعب.

قال الشافعي رحمه الله : ما تفوتني فريضة في جماعة فأصليها في موضع أحب إلي من بطن البيت ، لأن البقاع إذا فضلت بقربها منه فبطنها أفضل منها . وأما صحة الصلاة على سطحها فيشترط أن يكون أمام المصلي شاخص قدر ثلثي ذراع تقريبا من جدار الكعبة وهو الصحيح من مذهبه ، ومذهب الإمام مالك رضي الله عنه عدم جواز الفريضة في جوف البيت وكذلك السنن المؤكدة كالعيدين والوتر وركعتي الفجر وما أشبهها على مشهور مذهبه . وأما النقل فيجوز . وأما الصلاة على سطحها فالمشهور عنده المنع ومذهب الإمام أحمد رضي الله عنه أن صلاة الفريضة في الكعبة لا تصح ، وفي النافلة خلاف بين أصحابه . والأصح الصحة ، وكذا الحكم في السطح عندهم في الفريضة والنافلة .

فصل في الكلام على دخوله صلوات الله عليه

الكعبة الشريفة بعد الهجرة وصلاته فيها

وبيان مصلاه منها وعدد^(١) دخوله

روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلوات الله عليه لما قدم مكة يوم الفتح نزل بفناء الكعبة وبعث إلى عثمان بن طلحة فجاء بالمفتاح وفتح له الباب ودخل رسول الله صلوات الله عليه ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فأغلقها عليهم ومكث فيها ما شاء ثم خرج . قال ابن عمر رضي الله عنهما : فسالت بلالا حين خرج ماذا صنع رسول الله صلوات الله عليه ؟ فقال : جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه . وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى ركعتين^(٢) .

وفي البخاري عن ابن عمر أيضا ، أنه كان إذا دخل الكعبة مشى قبل وجهه حين يدخل ويجعل الباب قبل ظهره [فمشى] حتى يكون بينه وبين الجدار الذي قبل وجهه قريب من ثلاثة أذرع ، فيصلى [وهو] يتوخى المكان الذي أخبره بلال أن رسول الله صلوات الله عليه صلى فيه^(٣) .

وقد أوضح ابن عمر رضي الله عنهما موضع مصلاه صلوات الله عليه في الحديث إيضاحا شافيا .

(١) تحرف في المطبوع إلى : «عدم» . (٢) أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ٢٦٦ .

(٣) أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ٢٦٨ ، وما بين حاصرتين منه .

وأخرج الأزرقي أن معاوية لما دخل الكعبة استدعى ابن عمر وهو فيها فقال له: يا أبا عبد الرحمن، أين صلى رسول الله ﷺ منها؟ قال: بين العمودين المُقَدَّمَيْن، اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثة^(١).

فوائد: الأولى: قال الحافظ أبو الفضل العراقي: وينبغي للمصلي أن لا يجعل بينه وبين الجدار أقل من ثلاثة أذرع، فإن كان الواقع أنه ثلاثة فقد صادف مصلي رسول الله ﷺ، وإن كان ذراعين فقد وقع وجه المصلي وذراعه في مكان قدمي النبي ﷺ، فهذا أولى من التقدم عنه^(٢). والله أعلم انتهى.

الثانية: إدخال النبي ﷺ هؤلاء الثلاثة معه لمعان تخص كل واحد منهم.

(أما دخول عثمان بن طلحة) فلئلا يتوهم الناس أنه عزله أو لأنه كان يقوم بفتح الباب وإغلاقه.

(وأما بلال) فلكونه مؤذنه وخادم أمر صلواته.

(وأما أسامة) فلأنه كان يتولى خدمة ما يحتاج إليه.

الثالثة: أن الحكمة في غلق عثمان الباب عليهم لأميرين: لئلا يزدهم الناس عليه ﷺ، ولئلا يظنوا أن الصلاة فيه سنة. قاله الكرمانى.

وهذا الدخول الذى وقع فى يوم الفتح هو أول دخوله ﷺ بعد الهجرة. ولا خلاف فيه بين العلماء كما ثبت ذلك عن ابن عمر فى الصحيحين وغيرهما.

وقيل: إنه دخل البيت بعد ذلك ثلاث مرات آخر: الأولى: فى ثانى الفتح لحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فى مسنده عن أسامة رضي الله عنه وفيه أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين ولم يصل يوم الفتح.

الثانية: فى عمرة القضية لما رواه المحب الطبرى فى «القرى»^(٣) عن عروة بن الزبير.

الثالثة: فى حجة الوداع لما أخرجه أبو داود فى سننه عن ابن أبى مليكة عن عائشة رضي الله عنها وقد ضعفها العلماء. وبين الفاسى رحمه الله ما فيها من الوهن والضعف.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٢٧.

(١) أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ٢٧١.

(٣) تحريف فى المطبوع إلى: «الغرة».

ونقل الأزرقى أيضاً أنه عليه السلام إنما دخل الكعبة مرة واحدة عام الفتح ثم حج ولم يدخلها^(١). انتهى والله أعلم.

وهذا يدل على عدم دخوله في المرات الثلاث.

(استطراد مفيد): أجمع العلماء وأصحاب السير والمحدثون أن حجة الوداع كانت رقتها الجمعة بلا ريب ونقل النرزى في «الروضة» أن وفاة النبي عليه السلام كانت ضحرة يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول. كذا نقله ابن سيد الناس^(٢) وغيره من أصحاب السير، وهو مذهب الجمهور الراجح. واعترضه بعض العلماء بأنه لا يستقيم أن تكون وفاته عليه السلام يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول حيث كانت الوقفة في عام حجة الوداع سواء تمت الشهور الثلاثة التي بقيت من عمره عليه السلام أم نقصت أم تم بعضها، لأنها إن تمت كان الثاني عشر من ربيع، الأحد. لأنه يكون أول ذى الحجة الخميس وآخره الجمعة وأول المحرم السبت وآخره الأحد وأول صفر الاثنين وآخره الثلاثاء وأول ربيع الأربعاء وحينئذ يكون ثاني عشره الأحد، وإن نقص شهر واحد كان أول ربيع الثلاثاء فيكون ثاني عشره السبت وإن نقص شهران كان أول ربيع الاثنين وثاني عشره الجمعة وإن نقصت الثلاثة كان أول ربيع الأحد وثاني عشره الجمعة.

قال العلامة ابن العماد: وهذا الاعتراض ساقط من أصله، والصواب ما قاله الجمهور وصاحب «الروضة» وذلك أن التاريخ إنما يقع برؤية الهلال، والأهله تختلف بحسب اختلاف المطالع، وكل قطر يؤرخون ويصومون برؤيتهم ولا يعتبرون رؤية من بعد عنهم كما قاله الأصحاب واففقوا عليه في كتاب الصيام.

فحينئذ فأهل مكة رأوا هلال الحجة ليلة الخميس ووقفوا الجمعة. وأهل المدينة يجور أنهم رأوه ليلة الجمعة لأن مطلعهم مختلف مع أهل مكة، فإذا تمت الشهور كان أول ذى الحجة الجمعة وآخره السبت، وكان أول ربيع الأول الخميس فيكون ثاني عشره الاثنين وهذا الجواب صحيح، ويتصور أيضاً بغير هذا.

والعجب ممن يقدم على تغليب جمهور العلماء ويغفل عن قاعدة التاريخ وأقوال العلماء

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٦٩، والقرى ص ٤٩٥.

(٢) سيرة ابن سيد الناس ج ٢ ص ٢٢٨.

فى اختلاف المطالع ورؤية الأهلة. انتهى ما قاله ابن العماد ملخصاً من «سيرته» وهو قول عظيم وبحث مستقيم فلماذا أثبتته والله أعلم.

(وقد استحَب الأئمة الأربعة رضي الله عنهم) دخول الكعبة واستحسن مالك كثرة دخولها. ونقل عن بعض العلماء عدم استحباب ذلك مستدلاً بما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله صلوات الله عليه من عندي وهو قرير العين طيب النفس ثم رجع إلىّ وهو حزين، فسألته فقال: إني دخلت الكعبة ووددت أنى لم أكن فعلت، إني أخاف أن أكون أتعبت أمتى من بعدى. أخرجه أحمد والترمذى (١).

ولا دلالة فيه على ذلك، بل دخوله صلوات الله عليه دليل الاستحباب وتمنيه عدم الدخول قد علله صلوات الله عليه بالشفقة على أمته، ولا يرفع ذلك حكم الاستحباب. قاله المحب الطبرى (٢).

(اعلم) أن لدخول الكعبة آداباً كثيرة، منها: الاغتسال كما روى عن بعض العلماء.

ومنها: نزع الخف والنعل لما فى «سنن» سعيد بن منصور عن عطاء ومجاهد، وكرهه مالك رضي الله عنه وهو مذهب أحمد رضي الله عنه.

أقول: مقتضى مذهبنا عدم كراهة ذلك قياساً على الصلاة فى الخف والنعل، قال فى النصاب من كتب المذهب المختار أن الصلاة فى الخفاف والنعل أقرب إلى حسن الأدب انتهى. والله الموفق.

فائدة: أخرج الأزرقى أن قريشاً لما فرغت من بناء الكعبة كان أول من خلع الخف والنعل ولم يدخل بهما الكعبة إعظاماً لها الوليد بن المغيرة، فجرى ذلك منه (٣). والوليد هذا هو جدنا لأن نسب بنى ظهيرة متصل به وكان إسلامه... (٤).

ومنها: أن لا يرفع بصره إلى السقف لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله صلوات الله عليه الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها. أخرجه البيهقى فى «سننه» والحاكم فى «المستدرک» قال المحب الطبرى: وإنما كره ذلك لأنه يولد الغفلة واللهو عن القصد (٥).

(١) أورده صاحب القرى ص ٤٩٤.

(٢) القرى ص ٤٩٤.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١٧٤.

(٤) بياض بالأصلين.

(٥) القرى ص ٥٠٢.

ومنها: أن لا يزاحم زحمة شديدة بتأذى بها أو يؤذى. نص عليه النووي وغيره.

ومنها: أن لا يكلم أحدا إلا لضرورة أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر^(١).

ومنها: أن يلزم قلبه^(٢) الخشوع وعينه الدموع إن استطاع ذلك^(٣).

ومنها: أن لا يسأل مخلوقا لما روى عن سفيان بن عيينة أنه قال: لما دخل هشام بن عبد الملك الكعبة وجد سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: سلني حاجتك. فقال: إني أستحي من الله أن أسأل في بيته غيره^(٤).

وذكر الفاكهي أن التارك لسؤال هشام إنما هو منصور الحنظلي. والله أعلم.

فصل في ثواب دخول الكعبة الشريفة

وفيما يطلب من الأمور التي فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما ثواب دخولها فروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دخل البيت فصلى فيه دخل في حسنة وخرج من سيئة مغفورا له» ومثله عن ابن عمر رضي الله عنه.

وفي «رسالة الحسن البصري» عنه صلى الله عليه وسلم «من دخل الكعبة دخل في رحمة الله عز وجل وفي حمى الله عز وجل وفي أمن الله عز وجل، ومن خرج خرج مغفورا^(٥) له».

وفي رواية عن مجاهد أنه زاد: يخرج معصوما فيما بقي، نقله ابن جماعة. ثم قال: يحتمل أنه يريد بذلك العصمة من الكفر فتكون فيه البشارة لمن دخله بالموت على الإسلام.

وعن عطاء رضي الله عنه قال: لأن أصلي ركعتين في الكعبة أحب إلي من أن أصلي أربعاً في المسجد الحرام. وعن الحسن أنه قال: الصلاة في الكعبة تعدل مائة ألف صلاة، أخرجهما الفاكهي^(٦).

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٦٦.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «قبله» وصوابه لدى المحب الطبري في القرى ص ٤٠٢، وشفاء الغرام ج ١ ص ٢٦٦.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٦٦.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الكبير ج ١ ص ٧٧٦ عن ابن عباس، وعزاه للطبراني والبيهقي في السنن.

(٥) نقله الفاسي في شفاء الغرام ج ١ ص ٢٥٦.

وأخرج الأزرقى عن موسى بن عقبة قال: طفت مع سالم بن عبد الله بن عمر خمسة أسابيع كما طفنا سبعا دخل الكعبة فصلى فيها ركعتين.

وما أحسن ما أنشده الحافظ أبو طاهر السلفى لنفسه بعد أن دخل الكعبة:

أبعد دخول البيت والله ضامن

يبقى قبيح والخطايا الكوامن^١

فحاشا وكلا بل تسامح كلها

ويرجع كل وهو جذلان آمن^(١)

وأما ما يطلب في الكعبة من الأمور التي فعلها رسول الله ﷺ فالتكبير والتسبيح والتهليل والتحميد والثناء على الله تعالى والدعاء والاستغفار للأحاديث الدالة على ذلك في «الصحيحين» وغيرهما. وفيهما أيضا عن أسامة أنه ﷺ حين خرج من البيت ركع قُبْلَ البيت ركعتين، وقال: هذه بالقبلة. وقبل: بضم القاف والباء الموحدة، ويجوز إسكان الموحدة وهو ما استقبلك^(٢) منها.

وفي معنى قوله ﷺ هذه القبلة ثلاثة احتمالات. الأول: أن أمر القبلة قد استقر على استقبال هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم وصلوا إليه أبدا الثاني: أن معنى ذلك أنه ﷺ علمهم سنة موقف الإمام وأنه يقف في وجه الكعبة دون أركانها وجوانبها وإن كانت الصلاة في جميع جهاتها مجزئة. قالهما أبو سليمان الخطابي رحمه الله الثالث: قاله النووي رحمه الله في «شرح مسلم» بعد ذكره للاحتمالين الأولين، وهو أن معناه هذه بالكعبة هي المسجد الحرام الذي أمرتم باستقباله لا كل الحرم ولا مكة ولا كل المسجد الذي حول الكعبة بل هي الكعبة نفسها فقط^(٣). والله أعلم.

أقول: قد ظهر لى احتمال آخر لم أر أحدا ذكره وهو أنه يحتمل أن يكون المراد بقوله هذه القبلة التعظيم والتشريف والتأكيد لأمرها والإشادة بذكرها على حد قوله ﷺ لعمره ﷺ عند الحجر الأسود: ها هنا تسكب العبرات. والله الموفق.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٥٦.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٥٨.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٥٨.

وروى أنه ﷺ لما دخل البيت وقف عند كل ركن واستقبله بالتكبير والثناء والاستغفار.

وأخرج الفاكهي أن النبي ﷺ لما دخل البيت دعا بماء فصبه على جسده.

قال الفاسي رحمه الله: وهذا غريب جدا والله أعلم بصحته. ولا أعلم أحدا من أهل العلم قال باستجابته^(١). انتهى.

ومن الأمور التي صنعها النبي ﷺ في الكعبة على ما قيل أنه ألصق بطنه وظهره بها. واستحب ذلك الحافظ العراقي ونقل الطبري الكراهة في ذلك^(٢). والله تعالى أعلم.

فائدة: ذكر ابن الصلاح رحمه الله في منسكه أن مما أحدثه بعض الفجرة في جوف الكعبة بعد الستمائة بدعتين: إحداهما: العروة الوثقى، وذلك أنهم عمدوا إلى موضع عال داخل الكعبة مقابل الداخل من بابها فسموه بالعروة الوثقى وأوقعوا في العقول الضعيفة أن من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقى فألجأهم ذلك إلى أن يقاسوا في الوصول إلى ذلك المحل عناء وشدة بحيث يركب بعضهم بعضا، وربما صعدت الأنثى فوق الذكر ولا مست الرجال ولا مسوها فيلحقهم بذلك أنواع الضرر دينا ودينا.

الثانية: أن في وسط البيت مسمارا سموه سره الدنيا وحملوا العمامة على أن يكشف أحدهم سرته وينبطح على ذلك المسمار فلا قوة إلا بالله. انتهى.

قال السيد الفاسي رحمه الله: وهذان الأمران لا اثر لهما الآن في الكعبة. وكان زوال البدعة المسماة بالعروة الوثقى في سنة إحدى وسبعمائة بأمر بعض العلماء الواردين في السنة المذكورة انتهى. ولم يذكروا زوال البدعة الأخرى متى كان.

أقول: قول ابن الصلاح رحمه الله فيما تقدم: وربما صعدت الأنثى فوق الذكر فيه دلالة على دخول النساء والرجال إذ ذاك جميعا، وإنما اختص النساء بانفرادهن في الدخول بعد ذلك. انتهى.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٦٠.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٦٠.

الباب الرابع

في الكلام على كسوة الكعبة الشريفة

زادها الله شرفا وتطييبها وتحليتها ومعاليقها

روى الأزرقى رحمه الله عن النبي ﷺ أنه نهى عن سب أسعد الحميرى وهو تبع، لأنه أول من كسا الكعبة فى الجاهلية كما تقدم، فكساها المسوح ثم الأنطاع ثم الحصر ثم الوصائل وجعل لها بابا يغلق وفى ذلك يقول:

وكسونا البيت الذى حرم الله

به ملاء مقصبًا وبرودا

واقمنا به من الشهر عشرا

وجعلنا لبابه إقليدا

وخرجنا منه نؤم سهيلا

قد رفعنا لواءنا معقودا^(١)

ويروى أنه لما كساها المسوح والأنطاع انتفضت، فأزال ذلك عنها وكساها الخصف فانتفضت أيضا، فلما كساها الملاء والوصائل قبلتها.

أقول: مقتضى ما رواه الأزرقى من النهى عن سب تبع كونه كسا البيت. وقد علمت فيما سبق من خبره أنه آمن بالنبي ﷺ قبل أن يبعث وأنه كتب بذلك كتابا وأردعه للعالم الذى أبراه من علقته وأرصاه أن يوصله إلى النبي ﷺ إن أدركه هو أو واحد من ولده وكان الأمر كذلك. وإن الكتاب وصل إلى النبي ﷺ وقرئ عليه فقال: مرحبا بالأخ الصالح فينبغى أن لا يسب تبع مطلقًا لأنه من جملة المؤمنين والمؤمن لا يباح سبه.

وأیضا قد تقدم أن تبعًا لما كسا البيت وخرج من مكة قصد المدينة المشرفة. وقوله هنا فى ثالث الآيات المنسوبة إليه: وخرجنا منه نؤم سهيلا، يدل على خلاف ذلك والله أعلم بالحقائق. انتهى.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٤٩.

وقيل إن إسماعيل عليه السلام أول من كسا الكعبة، وكانت في الجاهلية تكسى أكسية شتى ما بين وصائل وأنطاع وكرار وخز ونمارق عراقية، وإذا خلق منها شيء أخلف مكانه ثوب آخر ولا يتزع مما عليها شيء من ذلك.

وكساها في الإسلام^(١) سيدنا رسول الله ﷺ الثياب اليمانية ثم كساها أبو بكر وعمر وعثمان، ثم معاوية، وابن الزبير ومن بعدهما.

ويقال: إن أول من كسا البيت الديباج، الحجاج. وقيل: يزيد بن معاوية، وقيل: ابن الزبير، وقيل: عبد الملك بن مروان.

وكانت الكعبة فيما مضى إنما تكسى يوم عاشوراء إذا ذهب آخر الحجاج، حتى كانت دولة بني هاشم فكانوا يعلقون عليها القميص من الديباج يوم التروية لكي يرى الناس ذلك عليها بهاء وجمالا، فإذا كان يوم عاشوراء علقوا الإزار^(٢).

وكان عمر رضي الله عنه يكسوها من بيت المال، وكساها عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما كان يجلل به بدنه من القباطى والحبرات والأنماط.

وكان المأمون يكسوها ثلاث مرات فيكسوها الديباج الأحمر يوم التروية والقباطى يوم هلال رجب، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان لأجل العيد^(٣).

والقَبَاطَى - بفتح القاف جمع قَبْطِيَّة بضم القاف - وهو ثوب رقيق أبيض من ثياب مصر كأنه منسوب إلى القبط والضم فيه من تغيير النسب والضم خص بالثياب، وأما فى الناس فقَبِطَى - بكسر القاف - لا غير. والوصائل: ثياب حمر مخططة يمانية. والحبرات جمع حبرة وهو ما كان من البرود مخططا أيضا وهو من ثياب اليمن. ويقال له برد حبرة وبرد حبرة على الوصف وعلى الإضافة. والعصب برود يمانية يعصب غزلها ويشد ثم يصبغ وهو على الوصف والإضافة أيضا. والأنماط ضرب من البسط واحدها نبط.

وممن كسا البيت الصليحي صاحب اليمن ومكة، وذلك فى زمن الحاكم العبيدى، والمستنصر العبيدى. وكانت من الديباج الأبيض^(٤).

(١) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٥. (٢) إخبار الكرام ص ١٦٠. (٣) إخبار الكرام ص ١٦٠. (٤) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٨.

وكساه أيضا من ملوك العجم السلطان شاه رخ صاحب شيزار بعد مراسلته واستئذانه لملوك مصر وإرسال الكسوة إلى مصر، ثم وصلت إلى مكة صحبة الحاج وذلك سنة خمس وخمسين وثمانمائة^(١).

وكساه أيضا السلطان محمود بن سبكتكين الديباج الأصفر، وذلك في سنة ست وستين^(٢) وأربعمائة.

فوائد:

الأولى: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينزع ثياب الكعبة في كل سنة فيقسمها على الحاج. الثانية: ذكر بعض العلماء حكمة حسنة في سواد كسوة الكعبة، فقال: كأن البيت يشير إلى أنه فقد أناسا كانوا حوله فلبس السواد حزنا عليهم.

الثالثة: ممن كسا الكعبة من غير الملوك أم العباس بن عبد المطلب كستها الحرير، وسبب ذلك أنها أضلت العباس وهو صغير فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبة فوفت بذلك، وهي أول عربية كستها الحرير^(٣).

ومنهم الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط بمكة كساها الحبرات وغيرها، وكانت كسوته بثمانية عشر ألف دينار وقيل بأربعة آلاف دينار وذلك في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة^(٤). ورباطه المذكور يعرف الآن برباط ناظر الخصاص على يمين الخارج من باب الحزورة أحد أبواب المسجد الحرام، ويقال: إن عدنان كساها أيضا كذلك وخالد بن جعفر ابن كلاب.

(١) إخبار الكرام ص ١٦١.

(٢) كذا في الأصلين، ومثله لدى الأسدي، وهو ينقل عن المؤلف. وفيه نظر، لأن محمود بن سبكتكين مات سنة ٤٢١ هـ.

أبو المحاسن موضحًا: «وفي سنة ٤٦٦ هـ، ورد إلى مكة إنسان عجمي يعرف بسلار من جهة جلال الدولة ملكشاه، ومعه للبيت كسوة ديباج أصفر، وعليها اسم محمود بن سبكتكين وهي من استعماله، وكانت مودعة بنيسابور من عهد محمود بن سبكتكين عند إنسان يعرف بأبي القاسم الدهقان، فأخذها الوزير نظام الملك وأنفذها مع المذكور» (النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٩٥).

(٤) إخبار الكرام ص ١٦٢.

(٣) إخبار الكرام ص ١٥٩.

الرابعة: نقل القاضي تقي الدين رحمه الله أن كسوة البيت فيما مضى كان يطلع بها أمير الحاج معه إلى الموقف بعرفة، فإذا كان يوم النحر يأتي بها من منى إلى مكة لأجل اللبس، ثم صار أمراء الحاج بعد ذلك يضعونها في الكعبة قبل الصعود إلى الحج. وموجبه أن بعضها كان سُرق في بعض السنين من محلة أمير الحاج بمنى ثم عاد إليه بمال بذله^(١). انتهى بمعناه.

الخامسة: أول من كسا الكعبة الديباج الأسود الناصر العباسي. فاستمر ذلك إلى يومنا هذا. ولم تزل الملوك يتداولون كسوتها إلى أن وقف عليها الصالح إسماعيل بن الناصر بن قلاوون قرية من قرى نواحي القاهرة يقال لها بيسوس^(٢)، وذلك في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة، وكان الناصر العباسي كسا البيت ديباجا أخضر قبل الأسود^(٣).

السادسة: نقل القاضي رحمه الله، أن أمراء مكة كانوا يأخذون من السدنة ستارة باب الكعبة في كل سنة، مع جانب كبير من كسوتها، أو ستة آلاف درهم كاملة عوضاً عن ذلك إلى أن رفع ذلك عنهم السيد عنان بن مغامس^(٤) لما ولي أمر مكة في آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، وتبعه أمراء مكة في الغالب. ثم إن السيد حسن بن عجلان بعد سنين من ولايته صار يأخذ منهم الستارة وكسوة المقام ويهديهما لمن يريد من الملوك وغيرهم. انتهى^(٥).

وقد استمر الأمر كذلك من أمراء مكة بعد السيد حسن مع الحجبة إلى يومنا هذا.

وأخرج الأزرقى رحمه الله عن شيبه بن عثمان أنه دخل على عائشة رضي الله عنها، فقال: يا أم المؤمنين، إن الكعبة تجتمع عليها الثياب فتكثر، فنعمد إلى بئر فنحفرها وندفن فيها ثياب الكعبة لئلا يلبسها الجنب والحائض، فقالت عائشة رضي الله عنها: ما أصبت، وبش ما صنعت، إن ثياب الكعبة إذا نزعست عنها لا يضرها من لبسها من حائض أو جنب، ولكن بعها وتصدق بثمنها^(٦). ونقل جواز البيع عن ابن عباس أيضاً.

(١) شفاء الغرام ج - ص ٢٠٤.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «يسوس» وصوابه من د، وإخبار الكرام.

(٣) إخبار الكرام ص ١٦٣.

(٤) تحرف في المطبوع إلى: «مغاس» وصوابه من د، وشفاء الغرام.

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٠٥. (٦) إخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٦١.

فروع: الأول: يحوز بيع ثياب الكعبة عندنا إذا استغنت عنه وقال به جماعة من فقهاء الشافعية وغيرهم، ويجوز الشراء من بني شيبه لأن الأمر مفوض إليهم من قبل الإمام. نص عليه الطرسوسى من أصحابنا فى «شرح منظومته» ووافقه السبكي من الشافعية، ثم قال: وعليه عمل الناس. والمنقول عن ابن الصلاح أن الأمر فيها إلى الإمام بصرفها فى بعض مصارف بيت المال بيعاً وإعطاءً، واستدل بما تقدم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفى «قواعد» صلاح الدين خليل بن كَيْكَلْدَى^(١) أنه لا يتردد فى جواز ذلك الآن لأجل وقف الإمام ضيعة معينة على أن يصرف ريعها فى كسوة الكعبة والوقف بعد استقرار هذه العادة والعلم بها فينزل لفظ الواقف عليها، واستحسن النووى الجواز أيضاً^(٢).

قال الجد رحمه الله: هذا فى الستور الظاهرة، وأما الستور الداخلة فلا تزال بل تبقى على ما هى عليه لأن الكلام إنما هو فى الستور التى جرت العادة أن تغير فى كل عام، فلو قدر جريان العادة بمثل ذلك فى الستور الباطنة سلك بها مسلك الظاهرة. انتهى.

الثانى: لو نذر شخص أن يكسو البيت صبح نذره وستره بالحرير أو بغيره لأن ذلك من القربات. ذكره النووى رحمه الله.

الثالث: لو سرق إنسان شيئاً من ستر الكعبة أو من فضة بابها لا يقطع عندنا لعدم الجواز. والله أعلم.

ذكر تطيب الكعبة المشرفة

روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: طيبوا البيت فإن ذلك من تطهيره، ولأن أطيب الكعبة أحب إلى من أن أهدي لها ذهباً وفضة أخرجها الأزرقي.

وقد تقدم أن ابن الزبير لما فرغ من بناء الكعبة خلق باطنها وظاهرها بالعنبر والمسك من أعلاها إلى أسفلها ثم كساها وكان يجمرها فى كل يوم برطل من الطيب، وفى يوم الجمعة برطلين. وأجرى لها معاوية الطيب لكل صلاة فكان يبعث به فى الموسم وفى رجب. وأخدمها عبيداً يبعث بهم إليها، ثم تبعه الولاة بعد ذلك^(٣). وهو أول من أجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال^(٤).

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «كليكلىدى» وصوابه من د، وشفاء الغرام.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٠٤. (٣) أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ٢٥٣ ، ٢٥٤.

(٤) أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ٢٥٤.

ولما حج المهدي أمير المؤمنين سنة ستين ومائة رفع إليه أنه قد اجتمع على الكعبة ثياب كثيرة حتى أنها قد أثقلتها، ويخشى على الجدران من ذلك، فأمر بتجريدها ثم ضمخها من خارجها وداخلها بالغالية والمسك والعنبر، ثم كساها ثلاثة ثياب قباطى وخز وديباج وهو جالس فى المسجد مما يلى دار الندوة ينظر إليها وهى تطفى. وقيل: إن ما فى أحجارها من السمرة إنما حصل من آثار تلك الغالية^(١).

فرع: قال النووى رحمه الله: لا يجوز أخذ شيء من طيب الكعبة لا للتبرك ولا لغيره، ومن أخذ شيئاً من ذلك لزمه رده، فإن أراد التبرك أتى بطيب من عنده فمسحها به ثم أخذه^(٢).

ذكر تحلية الكعبة شرفها الله تعالى

أخرج الأزرقى رحمه الله أن أول من حلى الكعبة فى الجاهلية عبد المطلب جد النبى ﷺ بالغزالين الذهب اللذين وجدتهما فى زمزم حين حفرها وسيأتى الكلام على سبب حفر زمزم فى محله إن شاء الله تعالى^(٣).

وأما فى الإسلام فالوليد بن عبد الملك بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسرى بسنة وثلاثين ألف دينار فضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب، وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التى فى داخلها والأركان^(٤).

ثم لما ولى الأمين بن الرشيد أرسل أيضاً إلى عامله بمكة سالم بن الجراح بشمانية عشر ألف دينار ليحلى بها باب الكعبة فقلع ما كان على الباب من الصفائح^(٥). وزاد عليها ما بعته الأمين وضربه صفائح ومسامير وحلى به الباب، وجعل له حلقتين ذهباً^(٦).

وقيل أول من حلى البيت عبد الملك أبو الوليد^(٧). وقيل ابن الزبير ثم حلاه الملوك وغيرهم بعد ذلك.

فرع: قال النووى والرافعى: تحرم تحلية الكعبة بالذهب والفضة وكذا سائر المساجد.

- | | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| (١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٦٣. | (٢) أخبار الكرام ص ١٦٥. |
| (٣) شفاء الغرام ج ١ ص ١٨٥. | (٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢١١. |
| (٥) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢١٢. | (٦) شفاء الغرام ج ١ ص ١٨٦. |
| (٧) أخبار الكرام ص ١٦٦. | |

وخالفهما السبكي وأفتى بالحل، وقال: إن المنع لا سيما في الكعبة بعيد وغريب في المذاهب كلها، قل من ذكره. فلا وجه له ولا دليل يعضده. وهذا في التحلية بصفائح النقدين، وأما التمويه فلا أمنع من جريان خلاف فيه لأن في ذلك إفساد مالية. انتهى. ونقل الإمام أبو الليث السمرقندي من أئمتنا إباحة ذلك عن أبي حنيفة رضي الله عنه، ثم قال: وعندي أنه لا بأس به إذا لم يكن من غلة المسجد.

ذكر معاليق البيت الشريف

وما أهدى إليه في معنى الحلية^(١)

أخرج الأزرقى رحمه الله في «أخبار مكة» أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح مدائن كسرى، كان مما بعث إليه هلالان من الذهب، فبعثهما عمر إلى الكعبة وعلقهما في جوفها^(٢).

وبعث عبد الملك بن مروان بشمستين وقدهين من قوارير. وبعث ابنه الوليد بقدهين أيضا. وبعث الوليد بن يزيد بن عبد الملك بهلالين أيضا وبالسرير الزينبي^(٣). وبعث السفاح بصحفة خضراء، وبعث المنصور بالقارورة الفرعونية. وبعث المأمون بياقوتة فاخرة. وبعث الخليفة المتوكل العباسي بشمسة من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت والزبرجد، وسلسلة من ذهب^(٤).

وبعث بعض الملوك لما أسلم بصنم من ذهب كان يعبد على صورة إنسان، وبالتاج الذي كان على رأس الصنم، وبالسرير الذي كان يوضع عليه. هذا ملخص ما ذكره الأزرقى^(٥).

(١) في المطبوع: «وما أهدى بعد مضي الجاهلية» والمثبت رواية: د، وشفاء الغرام.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٢٤.

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «الرسى» والمثبت رواية د، والأزرقى.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٢٤ و ٢٢٥.

(٥) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٢٥.

(٦) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٠.

(٧) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩١.

وأهدى إلى الكعبة بعد ذلك أشياء آخر ذكرها الفاسى تقى الدين وغيره. ومن ذلك: قفل فيه ألف دينار بعثه إليها المعتصم العباسى فى سنة تسع عشرة ومائتين^(١). ومن ذلك طوق من ذهب مكلل بأنواع الجواهر الفاخرة مع ياقوتة خضراء كبيرة وزنها كما قيل أربعة وعشرون مثقالاً، بعث بذلك بعض ملوك السند لما أسلم^(٧). ومن ذلك عدة قناديل كلها فضة ما عدا واحداً منها كان ذهباً زنته ستمائة مثقال بعث بها المطيع العباسى فى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة^(١).

ومن ذلك قناديل محكمة الصناعة ومحاريب مبنية زنة كل محراب أزيد من قنطار، بعثها عثمان صاحب عمان بعد العشرين والأربعمائة. ومن ذلك قناديل ذهب وفضة بعثها الملك المنصور عمر بن على بن رسول صاحب اليمن فى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة^(٢).

ومن ذلك قفل ومفتاح بعث بهما الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر وركب القفل على باب الكعبة^(٣).

ومن ذلك حلقتان من ذهب مرصعتان باللؤلؤ والبلخش كل حلقة وزنها ألف مثقال، وفى كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات، وبينها ست قطع بلخش فاخرات أيضاً، بعث بذلك الوزير على شاه وزير السلطان أبى سعيد بن خدابنده^(٤) ملك التار فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة، فأراد الرسول تعليقهما على باب الكعبة كما أمر فمنعه أمير الركب المصرى فى السنة المذكورة، وقال: لا يمكن ذلك إلا بإذن السلطان، يريد صاحب مصر، وهو إذ ذاك الناصر محمد بن قلاوون. فلوظف الأمير وعرفه الرسول بأن الوزير نذر أن يعلقهما على باب الكعبة فأذن له فى ذلك، فعلقنا زماً قليلاً ثم أخذهما أمير مكة إذ ذاك وهو رميثة بن أبى نُمى. ومن ذلك أربعة قناديل كبار كل قنديل منها على ما قيل قدر الدورق من دوارق مكة. اثنان ذهباً، واثنان فضة. بعث بذلك السلطان شيخ أوبس صاحب بغداد فى اثني عشر لسبعين وسبعمائة، فعلق ذلك فى الكعبة يسيراً ثم أخذه أمير مكة عجلان بن رميثة. هذا ملخص ما ذكره الفاسى^(٥).

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٢.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٢.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٢.

(٤) تحرف فى المطبوع إلى: «صعيد بن خرنبدا» وصوابه من د، والفاسى.

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٢ و ١٩٣.

ثم قال: وليس في الكعبة الآن - يعنى في زمنه - شيء من المعاليق التي ذكرها الأرقمى. ومما لم يذكره مما ذكرنا سوى ستة عشر قنديلا، منها: ثلاثة فضة، وواحد ذهب، وواحد بلور، واثنان نحاس، والتسعة الباقية زجاج، وسبب ذلك توالى الأيدي عليه من الولاة وغيرهم^(١).

فمن ذلك ما وقع لأبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي حين خرج عن طاعة الحاكم ودعا لنفسه بالإمامة^(٢) أنه أخذ من حلية الكعبة وضربها دنائير ودرهم، وسميت بالفتحية، وأخذ المحاريب التي أهداها صاحب عمان، ومن ذلك ما وقع لمحمد بن جعفر المعروف بابن أبي هاشم الحسيني، أنه في سنة اثنتين وستين وأربعمائة أخذ قناديل الكعبة وستورها وصفائح الباب لكون صاحب مصر المستنصر العبيدي لم يرسل له شيئا لاشتغاله بالقحط الذي كادت مصر أن تخرب بسببه^(٣).

ومما أهدى للكعبة بعد الفاسي [نحو عشرين قنديلا ذهبا، ونحو عشرة فضة وغير ذلك]^(٤).

فصل في الكلام على سدانة البيت

وهي خدمته وتوالى أمره وفتح بابه وإغلاقه

وكانت السدانة قبل قريش لطسم قبيلة من عاد فاستخفوا بحقه أيضا فأهلكهم الله. ثم وليته خزاعة بعد جرهم دهرا طويلا حتى صار الأمر إلى أبي غُبشان، فباع مفتاح البيت من قصي بن كلاب بزق من خمر، فقبل في ذلك أخسر من صفقة أبي غُبشان، فذهبت مثلا^(٥). وصارت حجابة الكعبة من بعد خزاعة لقصي، وانتهى إليه أمر مكة بعد ذلك فأعطى ولده عبد الدار السدانة، وهي الحجابة وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة، ثم جعل عبد الدار الحجابة إلى ولده عثمان، ولم تزل تنتقل في أولاده إلى أن انتهت إلى عثمان بن طلحة، ثم إلى ابن عمه شيبه بن عثمان بن أبي طلحة وهي في ولده إلى الآن.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٣. (٢) تحرف في المطبوع إلى: «الامانة» وصوابه من د، والفاسي.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٣.

(٤) بياض بالأصل، وما بين حاصرتين عن إخبار الكرام ص ١٧٢.

(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ١١٤.

ويروى عن عثمان بن طلحة قال: فتحنا البيت يوماً في الجاهلية فجاء رسول الله ﷺ ليدخل مع الناس فتكلمت بشيء فحلم عني. ثم قال يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت، فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال بل عزت، ودخل الكعبة. ووقعت كلمته مني موقعا ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال فأردت السلام فخشيت من قومي فقدمت المدينة فبايعته وأقمت معه حتى خرج في غزوة الفتح فلما دخل مكة قال يا عثمان: انت بالمفتاح فأتيت به فأخذه مني ثم دفعه إلى وقال: خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم، وفي ذلك^(١) نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (سورة النساء: ٥٨).

وفي سنن سعيد بن منصور أنه عليه السلام لما أخذ المفتاح من بني شيبه أشفقوا أن ينزعه منهم، ثم قال: يا بني شيبه، هاكم المفتاح وكلوا بالمعروف. قال العلماء: إن هذه ولاية من رسول الله ﷺ فلا يجوز لأحد أن ينزعها منهم، وأعظم من ذلك أن يُشرك معهم غيرهم.

قال الشيخ محب الدين الطبري في «القرى»: لا يبعد أن يقال هذا إذا حافظوا على حرمة ولازموا الأدب في خدمته، أما إذا لم يحفظوا حرمة، فلا يبعد أن يجعل عليهم مشرف يمنعهم من هتك حرمة. ثم قال أيضاً: وربما تعلق الجاهل المعكوس الفهم بقوله عليه السلام: وكلوا بالمعروف. فاستباح أخذ الأجرة على دخول البيت، ولا خلاف بين الأمة في تحريم ذلك وأنه في أشنع البدع وأقبح الفواحش، وهذه اللفظة إن صححت فيستدل بها على إقامة الحرمة، لأن أخذ الأجرة ليس من المعروف، وإنما الإشارة والله أعلم إلى ما يتصدق به من البر والصلة على وجه التبرر، فلهم أخذه وذلك أكل بالمعروف لا محالة، أو إلى ما يأخذونه من بيت المال على ما يتولونه من خدمته، والقيام بمصالحه، فلا يحل لهم إلا قدر ما يستحقونه والله تعالى أعلم. انتهى كلام المحب^(٢).

(وأما الرفادة) فأصلها خرج من قريش كانت تُخرجه من أموالها إلى قُصَي يصنع به

(١) أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ٢٦٥، شفاء الغرام ج ٢ ص ١٢٩، ١٤٠.

(٢) القرى ص ٥٠٦.

طعاما للحاج، يأكله من ليس له سعة، وكان قصى ينحر على كل طريق من طرق مكة جزرا كثيرة، ويطعم الناس وكان يحمل راجل الحاج ويكسو عاريهم. ثم صارت بعد عبد مناف ابن قصى إلى ابنه هاشم فكان يطعم الناس في كل موسم إلى أن توفى. فقام بذلك بعده عبد المطلب. ثم بعده أبو طالب واستمر إلى أن جاء الإسلام. فقام به النبي ﷺ وأرسل بعمال يعمل به الطعام مع أبي بكر رضي الله عنه حين حج بالناس سنة تسع ثم عمل سنة عشر في حجة الوداع. ثم أقامه أبو بكر في خلافته، ثم عمر، ثم الخلفاء بعده^(١).

ثم لما ولي معاوية رضي الله عنه اشترى دارا بمكة وسماها دار المراحل وجعل فيها قدورا فكانت الجزر والغنم تطبخ فيها أيام الحج في الموسم، ثم يفعل ذلك في شهر رمضان. ويروى أن أول من أطعم الحاج الفالوذج بمكة عبد الله بن جدعان وفد على كسرى فأكل عنده الفالوذج فسأل عنه فقالوا: لباب البر مع العسل، فقال: ابغوني غلاما يصنعه فأتوه بغلام فاشتراه وقدم به مكة فصنع الفالوذج للحاج، ووضع الموائد من الأبطيح إلى باب المسجد ثم نادى مناديه، ألا من أراد الفالوذج فليحضر، فحضر الناس وما زال ذلك إطعامه للحاج في الجاهلية.

(وأما السقاية): فكان أصلها حياضاً من آدم، توضع على عهد قصى بفناء الكعبة، وتملاً ماء للحاج، وكان قصى يسقى اللبن المخيفس وينسجى الماء المنسود بالزبيب أيضاً، وما زال ذلك فعله حتى هلك. فقام به هاشم بعده. ثم أخوه المطلب بعده. ثم عبد المطلب، وكان يسقى لبنا وعسلا في حوض من آدم عند زمزم، ثم قام به العباس رضي الله عنه بتولية النبي ﷺ، ولم تزل في ولده من بعده.

أقول: إلى يومنا هذا.

(تتميم بذكر شيء من خبر قصى): روى الأزرقى رحمه الله أن قصيا لما انتهت إليه رئاسة مكة وقرب أجله قسم رياسته ومكارمه بين ولده، فأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة، وأعطى عبد الدار السدانة وهي حجابة البيت ودار الندوة واللواء^(٢). وقد تقدم ذكر السدانة والسقاية والرفادة وتفسيرها مستوفى.

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ١٣٩ فما بعدها.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١١٠.

(وأما الندوة): فهي دار بناها قصى حين صار أمر مكة إليه ليحكم فيها بين قريش، وكانت أول دار بنيت بمكة ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصى إلا ابن أربعين سنة للمشورة، وأما ولد قصى فيدخلونها كلهم وحلفاؤهم، ولم تزل دار الندوة بيد عبد الدار ثم جعلها بعده لولده عبد مناف بن عبد الدار، ثم صارت لبنيه من بعده دون ولد عبد الدار، وإنما سميت دار الندوة لاجتماع الندى فيها لأنهم كانوا يندونها فيجلسون فيها لتشاورهم وإبرام أمرهم وعقد الألوية لحروبهم^(١). وهذه الدار في الرواق الشامي من المسجد الحرام بالزيادة، وهي معروفة مشهورة.

(وأما اللواء): فكان في أيدي بني عبد الدار يليه منهم ذو السن في الجاهلية حتى كان يوم أحد فقتل عليه من قتل منهم^(٢).

(وأما القيادة): فولياها من بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف، ثم وليها بعده ابنه أمية، ثم من بعده ابنه حرب، فقاد الناس يوم عكاظ وغيره من حروب قريش، ثم قاد الناس بعده أبو سفيان ابنه إلا يوم بدر، قاد الناس عتبة بن ربيعة، فلما كان يوم أحد والأحزاب قادم أبو سفيان، وكانت الأحزاب آخر وقعة لقريش ثم أيد الله الإسلام ومن بفتح مكة على نبيه ﷺ هذا ملخص ما رواه الأزرقى من خبر قصى^(٣). وذكر غيره في قصة قصى غير هذا والله أعلم.

فائدتان:

الأولى: روى الفاكهي رحمه الله أن الكعبة شرفها الله تعالى كانت تفتح في الجاهلية يوم الاثنين ويوم الجمعة. وفي «تاريخ الأزرقى» أنها كانت يوم الاثنين ويوم الخميس يعني في الجاهلية^(٤). قال الفاسي رحمه الله: وفتحها يوم الجمعة مستمر إلى الآن يعني في زمنه، وفتحها يوم الاثنين متروك^(٥).

(أقول): قد أعيد فتحها يوم الاثنين بعد ذلك وصارت تفتح يوم الاثنين ويوم الجمعة إلى يومنا هذا. وفي هذا دلالة لصحة ما رواه الفاكهي. ومما يؤيده أيضا ما ذكره ابن جبير

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١٠٩، ١١٠.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١١١.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١١٥.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ١٧٤.

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٠٩.

في خبر «رحلته» وكانت في ستة تسع وسبعين وخمسمائة، من أن الكعبة تفتح يوم الاثنين ويوم الجمعة إلا في رجب تفتح كل يوم^(١). وما يروى عن عثمان بن طلحة أنه قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين ويوم الجمعة، فجاء رسول الله ﷺ يوماً يريد أن يدخل مع الناس فتكلمت بشيء إلى آخر ما قدمته آنفاً، فيه تأييد لما ذكره الأزرقى أيضاً، على أن الجمع بين روايتي الأزرقى وألفاكهي ممكن، بأنه يحتمل أن كلا الأمرين وقع وأنها كانت تفتح يوم الخميس أولاً ومكث ذلك مدة، ثم تغير وصارت تفتح يوم الجمعة أو العكس. انتهى.

الثانية: روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة يوم الفتح، أمر بلالا فرقى على ظهر الكعبة فأذن بالصلاة وقام المسلمون وتجردوا في الأزر وأخذوا الدلاء وارتجزوا على زمزم فغسلوا الكعبة ظهرها وبطنها فلم يدعوا أثراً من آثار المشركين إلا محوه وغسلوه. وهذا الخبر في الجملة يصلح أن يكون شاهداً لما يفعله الحجة من غسل باطن الكعبة في كل عام والله أعلم.

(١) رحلة ابن جبير ص ٦٨.

الباب الخامس

فى فضل الطواف بالبيت المشرف والطائفين به

وفضل النظر إليه وبيان المواضع التى فيها صلى النبى ﷺ

حول البيت وبيان جهة المصلين إليه من سائر الآفاق

وذكر وليطوفوا بالبيت العتيق

قال جل اسمه لخليله عليه السلام: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ (سورة الحج: ٢٦) وقال تعالى وتقدس: ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٢٥) الآيات، واختلف فى معنى التطهير، فقيل طهره من الآفات والريب. وقيل من الأوثان فلا ينصب حوله وثن. وقال السدى. معنى طهرا بيتى: أمتا بيتى وقيل غير ذلك. وقد سبق بعض الكلام على ذلك فى أول الكتاب.

(وأما الأحاديث) فأكثر من أن تحصى (فمن ذلك): ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه - وفى رواية يحصيه - كان كعتق رقبة. ومعنى أحصاه أو يحصيه: قال بعض العلماء: يتحفظ فيه أن لا يغلط.

وعنه ﷺ أنه قال من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت. أخرجه الواحدى فى «تفسيره».

وعنه ﷺ أنه قال: إذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض فى الرحدة، فإذا دخل غمرته، ثم لا يرفع قدما ولا يضعها إلا كتب الله له بكل قدم خمسمائة حسنة وحط عنه خمسمائة سيئة ورفعت له خمسمائة درجة، فإذا فرغ من الطواف فصلى ركعتين دبر المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وكتب له أجر عشر رقاب من ولد إسماعيل، واستقبله ملك على الركن، وقال له: استأنف العمل فيما تستقبل فقد كفيت ما مضى وشفع فى سبعين من أهل بيته. أخرجه الأزرقى^(١) وغيره.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٤.

وعنه عليه السلام أنه قال: الكعبة محفوفة بسبعين ألفاً من الملائكة يستغفرون الله تعالى لمن طاف بها.

أقول: وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل في الركعتين قبل الطواف ثواب عتق رقبة.

وعنه عليه السلام أنه قال: من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الأمنين. ذكره القاضي عياض في «الشفاء»^(١).

وعنه عليه السلام أنه قال: الطواف بالبيت نخوض في رحمة الله تعالى ذكره الحسن في «رسالته»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. رواه الترمذي وقال: حديث غريب.

قال القاضي عز الدين بن جماعة رحمه الله: والمراد بخمسين مرة والله أعلم: خمسون أسبوعاً، لأن الشوط الواحد لا يتعبد به. ويدل لذلك أن جماعة رووه فقالوا: من طاف خمسين أسبوعاً كان كما ولدته أمه. فهذه الرواية مفسرة للأولى. وليس المراد بأن يأتي بالخمسين في آن واحد، بل أن توجد في صحيفة حسناته. انتهى ملخصاً.

وعنه عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى يباهى بالطائفين ملائكته.

وقال عليه السلام: استكثروا من الطواف بالبيت فإنه أقل شيء تجدونه في صحفكم وأغبط عمل تجدونه.

وعن ابن عمر عنه عليه السلام أنه قال: طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلا خرج من ذنوبه كما ولدته أمه وغفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت، طواف بعد الصبح يكون فراغه عند طلوع الشمس، وطواف بعد العصر يكون فراغه عند غروب الشمس^(٣). فقال رجل: يا رسول الله لم يستحب هاتان الساعتان؟ قال: إنهما ساعتان لا تعدوهما الملائكة.

قال المحب: يحتمل أن يريد بالبعدي ما قبل الطلوع والغروب ولو بلحظة تسع

(٢) فضائل مكة للحسن البصرى ورقة ٦.

(١) الشفاء ج ٢ ص ٦٠.

(٣) اخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٢٢.

أسبوعاً. ويحتمل أن يريد استيعاب الزمنين بالعبادة، ولعله الأظهر. وإلا لقال طواف قبل الطلوع وقبل الغروب، وعلى هذا فيكون حجة على من كرهه في الوقتين^(١). انتهى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: أكرم سكان أهل السماء على الله الذين يطوفون حول عرشه، وأكرم سكان أهل الأرض على الله الذين يطوفون حول بيته.

وعن أبي هريرة أيضاً أن النبي ﷺ قال: من طاف بالبيت سبعاً ولا يتكلم إلا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، محيت عنه عشر سيئات وكتبت له عشر حسنات ورفع له عشر درجات. ومن طاف فتكلم في الحل خاض في الرحمة برجليه كخائض الماء برجليه.

وعنه ﷺ قال: لو أن الملائكة صافحت أحداً لصافحت الغازي في سبيل الله والبار برأيه والطائف ببيت الله الحرام.

والأحاديث الواردة في هذا المعنى كثيرة جداً، وفيما ذكرته كفاية. وإذا كان الطائف بهذه المزية وثبت له هذا الفضل العظيم فينبغي له الإخلاص وليحذر من أن يكون كما قال بعض العلماء العارفين:

يا من يطوف ببيت الله بالجسد
والجسم في بلد والروح في بلد
ماذا فعلت وماذا أنت فاعله
ميهرجا في التقى للواحد الصمد
إن الطواف بلا قلب ولا بصر
على الحقيقة لا يشفى من الكمد

(وأما الآثار) فروى عن ابن عمر أنه قال: كان أحب الأعمال إلى النبي ﷺ إذا قدم مكة الطواف.

وعن سعيد بن جبيرة رضي الله عنه أنه قال: من حج البيت فطاف خمسين أسبوعاً قبل أن يرجع كان كما ولدته أمه.

وعن ابن عمر أيضاً أنه قال: من طاف وصلى ركعتين فهاتان يكفران ما أمامهما.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه طاف بالبيت وهو متكئ على غلام له يسمى طهمان، وهو يقول: والله لأن أطوف بهذا البيت أسبوعاً لا أقول فيه هُجراً وأصلي ركعتين أحب إلي من أن أعتق طهمان^(١). والهجر - بضم الهاء - هو الإفحاش في المنطق، قاله في «الصحاح».

وفي «الإحياء للغزالي» لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال، ولا يطلع الفجر من ليلة إلا وطاف واحد من الأوتاد، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض.

وروى الأزرقى رحمه الله أن ابن عمر، كان يطوف سبعة أسابيع بالليل وخمسة بالنهار وأن آدم عليه السلام كان يطوف كذلك.

وذكر غير الأزرقى أن آدم كان يقول في طوافه: اللهم اجعل لهذا البيت عمارة يعمرونه من ذريتي.

وعن محمد بن فضيل أنه قال: رأيت ابن طارق في الطواف، وقد انفرج الطائفون له وفي رجله نعلان، فحزروا طوافه في ذلك الزمان فإذا هو يطوف في اليوم واللييلة عشرة فراسخ^(٢). والحزر - هو التقدير والخرص - يقال حزرت الشيء أحزره وأحزره بالضم والكسر كذا في «الصحاح».

وذكر ابن الجوزى في «الصفوة» أن محمد بن طارق كان يطوف كل يوم وليلة سبعين سبعا^(٣).

فائدة: أعداد الطواف لها سبع مراتب^(٤) ذكرها الإمام أبو عبد الله بن أبي الصيف اليمنى رحمه الله.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٣. (٢) صفة الصفوة ج ٢ ص ٢١٧.

(٣) صفة الصفوة ج ٢ ص ٢١٧، وعبارته: «كان يطوف في اليوم واللييلة سبعين أسبوعاً وبهامشه: يقال: طاف بالبيت أسبوعاً: أى سبع مرات، والأسبوع من الطواف: سبعة أطراف.

(٤) انظر في ذلك: شفاء الغرام ج ١ ص ٢٨٤.

الأولى: أن من طاف خمسين أسبوعاً في اليوم والليله يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه للحديث الذي قدمته آنفاً.

الثانية: واحد وعشرين أسبوعاً كل يوم فيكون بحجة وقد قيل سبعة أسابيع بعمره. وقيل في الحديث ثلاث عمر بحجة.

الثالثة: أربعة عشر أسبوعاً فيكون بحجة أيضاً لأنه ورد في حديث آخر عمرتان بحجة، وهذا في غير عمرة رمضان لأن العسرة فيه كحجة مهاتمة كما جاء في الحديث، وفي حديث آخر كحجة معه ﷺ.

الرابعة: اثنا عشر أسبوعاً خمسة بالنهار وسبعة بالليل لما سبق قريباً من فعل آدم وابن عمر ويستحب أن يكون ثلاثة أسابيع من الخمسة التي في النهار قبيل طلوع الشمس بحيث تطلع وهو في الطواف للحديث الذي رواه ابن عمر قاله الجد.

الخامسة: سبعة أسابيع فيكون بعمره لما تقدم في المرتبة الثانية.

السادسة: ثلاثة أسابيع، قال الجد. يأتي في الأول بأذكار الطواف ودعوته الخاصة، وفي الثاني بالباقيات الصالحات، ففي ذلك حديث، وفي الثالث بما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير، وهو على كل شيء قدير. ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

السابعة: أسبوع واحد كل يوم، فقد جاء في الحديث أن الأسبوع بعق رقبة، ويدخل بهذا الأسبوع في جملة الطائفين الذين لهم ستون رحمة من المائة والعشرين كما سبأني قريباً إن شاء الله تعالى، والباقيات الصالحات هي: قولك سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

فائدة: المراد بحسنة الدنيا فيما تقدم العلم والعبادة قاله الحسن. وقيل: العافية، وقيل: المال، وقيل: المرأة الحسنة، وقيل: العفة، وقيل: الرزق الواسع. وبحسنة الآخرة الجنة بالإجماع كذا قاله الدميري، وقيل: الحور العين أو الجنة أو العفو والمعافة.

(واعلم) أنه ينبغي المثابرة على الطواف في أوقات. (منها) ما تقدم من الطواف بعد الصبح والعصر للحديث السابق.

ومنها: في وقت المطر لما روى عنه عليه السلام أنه قال: من طاف بالكعبة في يوم مطر كتب الله له بكل قطرة تصيبه حسنة ومحا عنه الأخرى سيئة.

وعن أبي عقاب قال: طفت مع أنس بن مالك رضي الله عنه في مطر. فلما قضينا الطواف أتينا المقام فصلينا ركعتين فقال لنا أنس: استأنفوا^(١) العمل فقد غفر لكم. هكذا قال لنا رسول الله صلوات الله عليه وطفنا معه في مطر^(٢).

وعن مجاهد قال: كان كل شيء لا يطيقه الناس من العبادة يتكلفه ابن الزبير، فجاء سيل فطبق البيت فامتنع الناس من الطواف، فجعل ابن الزبير يطوف سباحة، وذكر القاضي عز الدين بن جماعة عن جده أنه طاف بالبيت سباحة، وكان كلما حاذى الحجر غطس لتقبيله. وذكر أن بعض المكيين أخبره أنه اتفق له مثل ذلك.

ومنها: في شدة الحر، فقد روى أنه عليه السلام قال من طاف حول البيت أسبوعاً في يوم صائف شديد الحر واستلم الحجر في كل طواف من غير أن يؤذي أحداً وأقل كلامه إلا بذكر الله تعالى كان له بكل قدم يرفعها ويضعها سبعون ألف حسنة، ويمحى عنه سبعون ألف سيئة، ويرفع له سبعون ألف درجة^(٣).

وفي رواية عن ابن عباس بعد قوله: شديد الحر، وحسر عن رأسه، وقارب خطاه، وأقل التفاته، وغض بصره ثم ذكر بقية الحديث. وزاد يعتق عنه سبعين رقبة، ثمن كل رقبة عشرة آلاف درهم ويعطيه الله سبعين شفاعاً إن شاء في أهل بيته من المسلمين، وإن شاء في العامة، وإن شاء عجلت له في الدنيا، وإن شاء أخرت له في الآخرة^(٤).

أقول: فإن قيل: هل يستوى الطائف في شدة الحر بغير خف أو نحوه بمن طاف لابساً لذلك أم غير اللابس أفضل وأكثر ثواباً لأنه حيثئذ أكثر مشقة؟ (الجواب): أن إطلاق الحديث يقتضى التسوية بين اللابس وغيره، ولكن سياق الحديث يفهم منه أن غير اللابس أكثر ثواباً حيث علل بشدة الحر لأن المراد تجشم المشقة، ولا شك أن غير اللابس أكثر

(١) في المطبوع: «استأنفوا» والمثبت رواية الأزرقى.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢١.

(٣) أورده الفاسى في شفاء الغرام ج ١ ص ٢٨٥ وقان: هذا حديث ضعيف الإسناد جداً.

مشقة، ويؤيده قوله في رواية ابن عباس حاسراً عن رأسه، إذ المراد المصابرة على ذلك، وينبغي في رواية حسر الرأس أن يحمل على الاستطاعة وعدم الضرر، وأما من تضرر بكشف الرأس أو خشي الضرر فالأفضل له تغطية رأسه، فإن الحرج مدفوع شرعاً، والله الموفق.

ومنها: عند خلو المطاف لأنه حينئذ يكون قائماً بهذه العبادة العظيمة من غير مشارك له في سائر أقطار الأرض، وكذلك قال العلماء لو حلف ليعبدن الله بعبادة لا يشركه أحد فيها، فالخلاص أن يخلى له المطاف فيطوف به وحده.

فوائد:

الأولى: إن قيل ما العلة في جعل الكعبة على يسار المطاف دون يمينه، وما الحكمة في ذلك؟ (اعلم) أن العلة في ذلك اجتماع القلبين في جهة واحدة لأن القلب بيت الرب والقلب في الجانب الأيسر. قال الجد رحمه الله: قلت: وقد يقال أيضاً في وجه المناسبة إن المستحب في ابتداء الطواف استقبال الحجر الأسود الذي هو يمين الله في الأرض، وحينئذ فشقه الأيمن إلى جهة باب البيت، وشقه الأيسر إلى جهة الركن اليماني، والانفتال إلى جهة اليمين أولى من الانفتال إلى جهة اليسار. ويستأنس لذلك بأن داخل المسجد يستحب له أن يبدأ برجله اليمنى والبداءة بجهة الشق الأيمن يبدأ فيها بالرجل اليمنى حيث مشى على الأسلوب المعتاد، وأيضاً لإخفاء أن جهة الباب أفضل الجهات فجهة الركن اليماني بالنسبة إليها مفضولة والمسارعة إلى الأفضل أفضل من المسارعة إلى المفضول. انتهى.

الثانية: قال بعض العلماء: إنما يجعل الطائف البيت على يساره، ويستدئ بالحجر الأسود لأن الحجر إذا استقبلت البيت من ثنية كداء من باب بنى شيبة يبقى في ركن البيت على يسارك وهو يمين البيت، لأنك إذا قابلت شخصاً فيمينه يسارك ويسارك يمينه والذي يلاقيك من البيت هو وجهه لأن فيه بابه، وباب البيت وجهه أي بيت كان، والأدب أن لا يؤتى الأفاضل إلا من قبل وجوههم ولأجل ذلك كان الابتداء بثنية^(١) كداء، والأصل في كل قرية يصح فعلها باليمين واليسار أن لا تفعل إلا باليمين كالوضوء وغيره.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «كان الابتدائية كداء».

فإذا ابتدا بالحجر وجعل البيت على يساره كان قد ابتدا باليمين والوجه معا فيجمع بين الفاضلين، ولو عكس ذلك فاته الجمع المذكور، ويمين البيت جميع الحائط الذي بين الركنين الأسود واليماني ويسار البيت الحائط الذي عند الحجر - بكسر الحاء - ودبر البيت الحائط الذي فيه الباب المسدود. وإنما سمي الشام لأنه على شمال البيت، واليمن لأنه على يمين البيت. وسميت ريح الدبور لأنها تأتي من دبر البيت. وريح الشمال لأنها تأتي من شمال البيت.

الثالثة: كان النساء والرجال يطوفون معا مختلطين حتى ولى مكة خالد بن عبد الله القسري لعبد الملك بن مروان ففرق بين الرجال والنساء وأجلس عند كل ركن حرسا معهم الشياطين، وسببه أنه بلغه قول بعض الشعراء:

يا حبذا الموسم من موفد
وحبذا الكعبة من مشهد
وحبذا اللاتي يزاحمننا
عند استلام الحجر الأسود

فقال. أما إنهن لا يزاحمنك بعد، فأمر بالتفريق^(١).

الرابعة: أول من استصبح لأهل الطواف في المسجد عقبة بن الأزرق بن عمرو، وكانت داره لاصقة بالمسجد من ناحية وجه الكعبة، فكان يضع في جدار داره مصباحا كبيرا يضيء على وجه الكعبة أخرجهما الأزرق^(٢).

قووع: الأول: قال الجد: الآتي بأسبوع بسكينة ووقار وتؤدة بحيث يطوف غيره أسابيع في زمن طوافه الأسبوع مع تساوي أوصافهما في الحضور والنشوع هل يستويان؟ قال المحب الطبري: هذا يبني على أن طول القيام في الصلاة أفضل أم تكثير الركعات وهو يقتضى أفضلية الأسبوع. قال النسائي: ونص عليه الشافعي.

أقول: وهو مقتضى مذهب محمد بن الحسن من أصحابنا حيث قال: طول القنوت أحب إلى من كثرة الركوع والسجود، وهو محمول على المنفرد لقوله ﷺ: من أم قوما

(١) أخبار مكة للأزرق ج ٢ ص ٢٠.

(٢) أخبار مكة للأزرق ج ٢ ص ٢٤٧.

فليخفف فإن وراءه الكبير والضعيف وذو الحاجة، وإذا صلى منفردا فليطول ما شاء. انتهى.

واعتبر بعض المتأخرين الخُطَى فوجد كل طوفة مائة وعشر خطوات إذا كان بينه وبين البيت ذراع أو فوقه قليلا، فتكون للطوافات السبع سبعمئة وسبعون خطوة. انتهى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أسعد الناس بهذا الطواف قريش وأهل مكة، وذلك أنهم ألين الناس فيه مناكب وأنهم يمشون فيه التؤدة. أخرجه الأزرقى.

الثاني: الترتيب في الطواف ليس بشرط عندنا حتى لو طاف منكوسا صح مع الكراهة، وكذا لو طاف عاريا أو بغير طهر، فإن أمكن إعادته في طوافي الحج والعمرة أعاد وإلا جبر بالدم خلافا للثلاثة.

الثالث: اختلف العلماء هل الطواف بمكة أفضل أم الصلاة، وهل الاعتمار أفضل أم الطواف. فمذهب الجمهور أن الصلاة أفضل فرضها ونفلها لأنها أفضل عبادات البدن، وذكر جماعة من علمائنا أن الطواف أفضل في حق الأفاقي، والصلاة في حق المكي أفضل. وهو مذهب المالكية ومتأخري الشافعية. وذهب الماوردي إلى أن الطواف أفضل. ورجحه ابن عبد السلام واحتج بما سيأتي قريبا عن ابن عباس فيما ينزل من الرحمات حيث جعل للطائفين أكثر.

(وأما المفاضلة) بين الطواف والعمرة عن أنس بن مالك أنه سأل عن الطواف للغرباء أفضل أم العمرة؟ فقال: بل الطواف. أخرجه الأزرقى.

قال المحب الطبري: مراد أنس والله أعلم أن تكرار الطواف أفضل من العمرة ولا يريد طواف أسبوع واحد، فإنه موجود في العمرة^(١). انتهى.

وله في هذا المعنى تأليف لطيف سماه «عواطف النصر» في تفضيل الطواف على العمرة ذهب فيه إلى أن الاشتغال بتكرار الطواف في مثل مدة العمرة أفضل من الاشتغال بالعمرة، واستدل رحمه الله على ذلك بجملة أدلة. وذهب جماعة من الشافعية منهم السبكي والبلقيني إلى تفضيل الاعتمار مطلقاً على الطواف^(٢).

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٨٩.

(١) القرى ص ٢٣٢.

الرابع: لا بأس عندنا للطائف أن يقرأ القرآن في نفسه لأنه ذكر مشرف في مكان مشرف. ويكره أن يرفع صوته بالقراءة فيه كي لا يقع في الرياء والسمعة. ولفظة لا بأس، تدل على أن الأولى الاشتغال بالدعاء دون القراءة، فإنه عليه السلام اشتغل بالدعاء دون القراءة لكون الطواف محلاً لإجابة الدعاء وعند مالك لا يقرأ إلا قوله: ﴿رَبَّنَا آتِنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة البقرة: ٢٠١) كذا نقله الكرمانى من أصحابنا. والصحيح من مذهب الشافعى أن الدعاء المأثور فى الطواف أفضل من القراءة للاتباع. واستدل أصحابه بأنه قد نهى عن القراءة فى الركوع والسجود لتعلق الدعاء الخاص بهما. قال الزركشى: وقد ينازع فى عبارتهم فى هذه المسألة، إذ لا شىء من الذكر أفضل من القرآن، فكيف يكون الاشتغال بالمأثور أفضل من الاشتغال بالقرآن؟ وأجيب بأن القراءة فعل القادر وهى حادثة والقرآن قديم. والتفضيل بين القراءة والذكر، والصواب أن القرآن من حيث حقيقته أفضل. وقد ألف أبو بكر الأجرى تأليفاً يتضمن الإنكار على الجاهر فى الطواف بذكر أو تلاوة، وغلظ فى ذلك وشدد وينبغى أيضاً لمن كان فى المسجد قريباً من الطواف أن لا يرفع صوته بتلاوة أو ذكر لئلا يشوش على الطائفين أو المصلين.

الخامس: من سنن الطواف للرجل القرب من البيت لينال الشرف والبركة ليكون أسير فى الاستلام والتقبيل. وهذا إذا لم يؤذ أو يتأذ بزحمة أو غيرها وإذا لم يفته الرمل أيضاً بسبب الزحمة، فإن خشى فوات الرمل فالبعد أولى للإتيان به لأن الرمل عندنا لا يدل له، ولهذا إذا اشتدت الزحمة يقف وأيضاً فى قرب الرجل من البيت بعده عن النساء فإن طوافهن غالباً من جهة حاشية المطاف لا سيما عند من يقول بنقضهن. والمستحب للمرأة البعد عن البيت لئلا تخالط الرجال إلا فى وقت خلو المطاف فالقرب أولى والخشى كالمراة.

السادس: التطوع بشوط واحد فى الطواف هل يسوغ ويؤجر عليه أم لا؟ فمذهب الشافعى أن من تطوع ابتداء بطوفة واحدة لا يجوز ولا يثاب على ذلك لما فيه من التلاعب بالعبادة. أما لو نوى أن يطوف أسبوعاً ثم بدا له بعد أن طاف طوفة واحدة مثلاً أنه لم يوف فله أجر الطوفة ولا يحبط ذلك ترك ما بقى من السبع.

أقول: مقتضى مذهبنا أيضاً عدم جواز التطوع بالشوط الواحد قياساً على الركعة

الواحدة في حق عدم المشروعية عندنا لا في حق الحنث، فإن حلف لا يصلى بحنث بأداء ركعة واحدة. انتهى.

السابع: يجوز الطواف عندنا على الشاذروان لأنه ليس من البيت نص على ذلك الأصحاب. ومذهب الشافعية والحنابلة وبعض متأخري المالكية أنه يجب أن يكون الطائف بجميع بدنه خارجا عن البيت والحجر والشاذروان. وينبغي الاحتراز عند الشافعي لمن قبل واستلم من أن يمر وشيء من بدنه في الشاذروان، بل يقر قدميه إلى أن يعتدل بعد التقبيل أو الاستلام، فإن لم يقرهما فليرجع إلى مكانه قبل الاستلام لثلا يقع بعض طوافه في البيت لا بالبيت، لأن الشاذروان عندهم جزء نقصته قريش من عرض جدار أساس الكعبة حين ظهر على الأرض.

قال الجد رحمه الله: لم ينقل وقوع هذا التحرز عن أحد من السلف الصالح، ولو وقع لنقل، ولكن القواعد المقررة اقتضت ذلك مع أنه لا يلزم من عدم الاطلاع على النقل أن لا يكون منقولاً إذ لا يلزم من عدم الوجدان عدم الوجود.

وعند الحنابلة أن الطائف لو كان يمس الجدار بيده في موازاة الشاذروان صح طوافه، لأن معظمه خارج البيت.

وأفاد الشيخ القدوة أبو عبد الله خليل إمام مقام المالكية بالمسجد الحرام بأنه لم يشترط أحد من متقدمي المالكية فيما علمه الطواف خارج الشاذروان، وأن الشيخ أبا الطيب القاسبي المالكي كان ينكر ذلك ولا يثبت في مذهب مالك. قال الفاسي رحمه الله: ينبغي الاحتراز منه لأنه إن كان من البيت كما قيل فالاحتراز منه واجب وإلا فلا محذور في ذلك. كيف والخروج من الخلاف مطلوب وهو هنا قوي والله أعلم.

مكتبة: اعلم أن منشأ الخلاف بين الأئمة في ذلك حديث عائشة المتقدم المصريح بأن قريشاً اقتصروا على قواعد إبراهيم، وقد صح أن ابن الزبير رضي الله عنه لما بلغه هذا الحديث قال: أنا اليوم أجد ما أنفق ولست أخاف الناس فهدم الكعبة كما قدمته وبنهاها على قواعد إبراهيم، وأدخل فيها الحجر وجعل لها بايين على ما كان في زمن قريش إلى آخر ما تقدم.

فإذا علمت هذا ظهر أن ما ذكره الشافعية من أنه ينبغي الاحتراز عن الشاذروان عند

التقبيل ليس بناهض. فينبغي حينئذ صحة الطواف على الشاذروان كما قال ابن الميلىق من الشافعية وفيه تأييد لمذهبنا ولو وقع ما قاله الشافعية لنبه النبي ﷺ الصحابة على ذلك لكونه مما تمس الحاجة إليه بقول أو فعل ولنقل ذلك، هذا مع توفر الدواعى على النقل.

ونازع الفاسى فى ذلك فقال: وبعض الناس يعارض القول بأن الشاذروان من البيت بكون ابن الزبير بنى البيت على أساس إبراهيم عليه السلام كما فى خبر بنائه. وهذا المعارض لا يخلو من حالين: أحدهما أن يدعى أن ابن الزبير استوفى البناء على جميع أساس جدران البيت بعد ارتفاعها عن الأرض. والآخر أن يدعى أن البناء إذا نقص من عرض أساسه. بعد ارتفاعه عن الأرض لا يكون مبنياً على أساسه.

والأول لا يقوم عليه دليل لأن ما ذكر من صفة بناء ابن الزبير للبيت لا يقتضى أن يكون بناؤه مستوفى على جميع أساس جدرانه بعد ارتفاعها من الأرض ولا ناقصاً عن أساسها، ووقوع هذا فى بنائه أقرب من الأول لأن العادة جرت بتقصير عرض أساس الجدار بعد ارتفاعه لمصلحة البناء. وإذا كان هذا مصلحة فلا مانع من فعله فى البيت لما بنى فى زمن ابن الزبير. نعم فى بناء ابن الزبير على أساس إبراهيم دليل واضح على أنه أدخل فى البيت ما أخرجته منه قريش من الحجر فإنه بنى ذلك على أساس إبراهيم لا أساس قريش.

والثانى غير مسلم لأن الجدار إذا اقتصر عن عرضه بعد ارتفاعه من الأرض لا يخرج ذلك عن كونه مبنياً على أساسه وهذا مما لا ريب فيه وإنكاره مكابرة والله أعلم. انتهى.

الثامن: يجب على الطائف عندنا أن يكون طوافه من وراء الحجر، فلو طاف الطواف الواجب فى جوف الحجر بأن يدخل من إحدى الفتحتين ويخرج من الأخرى عليه الإعادة وتجزئ على الحجر خاصة، والأفضل الإعادة على البيت كله.

وذكر قاضى خان فى شرح «الجامع الصغير» فى صفة الإعادة على الحجر صورتين:

الأولى: أن يأخذ عن يمينه خارج الحجر حتى ينتهى إلى آخره ثم يدخل الحجر من الفرجة ويخرج من الجانب الآخر يفعل ذلك سبعاً.

الثانية: أن يأخذ عن يمينه خارج الحجر حتى ينتهى إلى آخره ثم يرجع ولا يدخل

الحجر، ويبتدئ من أول الحجر من المكان الذي ابتداء منه أولاً ولا يعد رجوعه إلى ذلك شوطاً يفعل ذلك سبعة، فإن رجع إلى أهله ولم يعد لزمه دم كما قاله صاحب «الهداية».

وحكى ابن عبد البر إجماع العلماء على أن من طاف بالبيت يلزمه أن يطوف من وراء الحجر، ولو لم يطف من ورائه لم يجزه.

التاسع: لوطاقت المرأة متنقبة في غير حالة الإحرام فمقتضى مذهب الشافعي الكراهة كما تكره صلاتها متنقبة، قاله النووي وهو مذهب مالك.

قال الجد رحمه الله: محل هذا حيث أمنت من رؤية الرجال لوجهها، أما حيث لم تأمن كما هو الغالب من حال الطواف فلا كراهة، بل تنقبا حيثئذ متعين، وعندنا لا يكره لها ذلك في الطواف. نص عليه السروجي في غايته.

العاشر: قال ابن جماعة في «منسكه» ومن البدع ما يفعله كثير من الجهلة من ملازمة البيت وتقبيله عند إرادة الطواف قبل استلام الحجر الأسود وتقبيله، والذي سنه رسول الله ﷺ إنما هو الابتداء بالحجر لأنه يمين الله فلا يناسب البداءة بغيره والله أعلم.

فصل في ثواب النظر إلى البيت زاده الله شرفا

وبيان مصلى النبي ﷺ حواي البيت

وذكر ذرع أرض المطاف

روى الحسن البصرى رحمه الله في «رسالته» أنه ﷺ قال: من جلس مستقبل القبلة ساعة واحدة محتسباً لله عز وجل ولرسوله تعظيماً للبيت، كان له كأجر الحاج والمعتمر والمرابط القائم، وأول ما ينظر الله إلى أهل الحرم، فمن رآه مصلياً غفر له، ومن رآه قائماً غفر له، ومن رآه جالساً مستقبل القبلة غفر له.

وروى ابن عباس رضي الله عنهما عنه ﷺ أنه قال: إن الله ينزل في كل يوم وليلة مائة وعشرين رحمة على هذا البيت، ستمون للطائفين، وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين^(١).

(١) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٨، القرى ص ٣٢٥.

أقول: هذا الحديث وإن كان ضعيفاً فقد نص النووى وغيره من الحفاظ على جواز رواية الضعيف فى الفضائل انتهى .

وفى رواية أخرى ينزل الله على أهل المسجد مسجد مكة كل يوم عشرين ومائة رحمة الحديث .

قال المحب الطبرى: ولا تضاد بين الروايتين، بل يجوز أن يريد بمسجد مكة البيت، ويطلق عليه مسجد بدليل قوله تعالى: ﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (سورة البقرة: ١٤٤) ويجوز أن يريد مسجد الجماعة وهو الأظهر، ويكون هو المراد بالتنزيل على أهل المسجد، ولهذا انسحبت على أنواع العبادات الكائنة فى المسجد^(١) . انتهى .

ثم قال أيضاً عند كلامه على هذا الحديث: يحتمل فى تأويل القسم بين كل فريق وجهان: الأول قسمة الرِّحَمَاتِ بينهم على المسمى بالسوية، لا على العمل بالنظر إلى قلته وكثرته وصفته، وما زاد على المسمى فإنه ثواب من غير هذا الوجه، ونظير هذا: أعطى الداخلين بيتى مائة دينار، فدخل واحد مرة، وآخر مرارا فلا خلاف فى تساويهما فى القسمة^(٢) .

الوجه الثانى: وهو الأظهر قسمتها بينهم على قدر العمل، لأن الحديث ورد فى سياق الحثِّ والتحفيز وما هذا سبيله لا يستوى فيه الآتى بالأقل والأكثر^(٣) .

ثم قال بعد أن استوفى الكلام فى كيفية قسمة الرحمات: إذا تقرر ذلك فالترتيب فى الرحمات بين المتعبدين بأنواع العبادات الثلاث، أدل دليل على أفضلية الطواف على الصلاة، والصلاة على النظر، وإذا تساورا فى الوصف، هذا هو المتبادر إلى الفهم عند سماع ذلك فيُخص به وبما ورد من الأحاديث المتقدمة فى فضل الطواف [من] عموم قوله ﷺ: واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة. أو تقول: الطواف نوع من الصلاة فيكون داخلا فى عموم حديث تفضيل الصلاة على سائر أعمال البدن، ولا يُنكر أن بعض الصلاة أفضل من بعض^(٤) .

(١) القرى ص ٣٢٥ .

(٢) القرى ص ٣٢٥ .

(٣) القرى ص ٣٢٦ .

(٤) القرى ص ٣٢٦ وما بين حاصرتين منه .

ثم قال بعد كلام آخر: ووجه تفضيل هذا النوع من الصلاة وهو الطواف على غيره من الأنواع [ثبوت] الأخصية له بمتعلق الثلاثة، وهو البيت الحرام، ولا خفاء بذلك، ولذلك بدأ به في الذكر هنا وفي قوله تعالى: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ (سورة الحج: ٢٦، ٢٧) ولما كانت الصلاة على تنوعها لم تُشرع إلا عبادة، والنظر قد يكون عبادة إذا قصد التعبد به وقد لا يكون، وذلك إذا لم يقصد به التعبد تأخر في الرتبة^(١).

وقولنا: إذا تساوا في الوصف نحتز مما إذا اختلف وصف المتعبدين، فكان الطائف ساهيا غافلا والمصلي والناظر خاشعا يعبد الله كأنه يراه، كان المتصف بذلك أفضل، إذ ذلك الوصف لا يعد له عمل جارحة خاليا عنه، وهو المشار إليه والله أعلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (سورة الكهف: ٣٠) انتهى باختصار^(٢).

وهو كلام عظيم كاف شاف حري^(٣) أن يكتب بماء الذهب في بياض الحدق، وقد ذكره في كتابه «القرى» بأبسط من هذا، واستدل بأمور معنوية قوية ظاهرة لا يحتمله هذا التعليق فليراجعه مريده في محله، فرحمه الله والله دره من عالم محقق.

وفي «رسالة الحسن» أيضا أنه عليه السلام قال: من نظر إلى البيت إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة في الأميين. وفيها عنه عليه السلام: من نظر إلى البيت نظرة من غير طواف ولا صلاة كان عند الله عز وجل أفضل من عبادة سنة يعني صائما وقائما وراكعا وساجدا.

وعن ابن عباس أنه قال: النظر إلى الكعبة محض الإيمان أخرجته الجندي. وعن سعيد ابن المسيب: من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وعن عطاء: النظر إلى البيت الحرام عبادة، والناظر له بمنزلة الصائم القائم الدائم المخبت المجاهد في سبيل الله عز وجل. وعن أبي السائب المدني: من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا تحات عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر. وعن زهير بن محمد قال: الجالس في المسجد ينظر إلى البيت لا يطوف به ولا يصلي أفضل من المصلي في بيته لا ينظر إلى البيت. أخرجها الأزرقي^(٤).

(٢) القرى ص ٣٢٧.

(١) القرى ص ٣٢٧ وما بين حاصرتين منه.

(٤) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٩.

(٣) تحرف، في المطبوع إلى: «حري».

فصل في ذكر المواضع التي صلى فيها ﷺ

حول الكعبة وبيانها ملخصة كما نقله الفاسي^(١) عن القرى

للمحب الطبري^(٢) مع زيادة أدلة

الأول: خلف مقام الخليل عليه السلام لما رواه جابر في صفة حجه ﷺ من قوله: ثم نفر إلى مقام إبراهيم فقرا ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (سورة البقرة: ١٢٥) وجعل المقام بينه وبين البيت ثم صلى الركعتين.

الثاني: تلقاء الحجر الأسود عند حاشية المطاف كما في النسائي من حديث المطلب بن أبي وداعة.

الثالث: قريبا من الركن الشامي مما يلي الحجر - بسكون الجيم - كما في «سنن أبي داود» من حديث عبد الله بن السائب.

الرابع: عند باب الكعبة كما في «تاريخ الأزرقى» من حديث ابن عباس قال ﷺ: أمى جبريل عند باب الكعبة مرتين. قال الفاسي: ويحتمل ثلاثة وجوه. الأول: أن يكون صلى وجاه الباب. الثاني أن يكون في الحفرة المرخمة التي عند باب الكعبة على يمينه. الثالث أن يكون في الملتزم وهو بعيد. والوجه الأول أقرب لأنه عند الباب حقيقة، وإنما نبهنا على ذلك لأن الشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ أحمد بن موسى بن العجيل ذكرا أن مصلى جبريل بالنبي ﷺ في الحفرة المرخمة. ولم أقف على كلام ابن عجيل، ولكن بلغنى أن الطبري إمام المقام سأل عن ذلك فحققه له بطريق الكشف. وأما كلام ابن عبد السلام فنقله ابن جماعة انتهى. قال ابن جماعة بعد ذلك عن ابن عبد السلام: ولم أر ذلك لغيره، وفيه بعد لأنه لو كان صحيحا لنبهوا عليه بالكتابة في الحفرة، ولما اقتصروا على من أمر بعمل المطاف والله أعلم. انتهى.

الخامس: تلقاء الركن الذي يلي الحجر من جهة المغرب جانحا إلى جهة الغرب قليلا بحيث يكون باب المسجد المعروف اليوم باب العمرة خلف ظهره. كما في «مسند أحمد»

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٥١. (٢) القرى لقاصد أم القرى ص ٣٤٨.

و «سنن أبي داود» وغيرهما من حديث المطلب بن أبي رداعة أنه رأى النبي ﷺ يصلي مما يلي باب بني سهم، والناس يمرون بين يديه. وباب بني سهم هو باب العمرة المذكور.

والسادس: في وجه الكعبة كما في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما خرج من البيت صلى قبل البيت ركعتين، وقال: هذه القبلة، كما تقدم. قال المحب الطبري: وجه الكعبة يطلق على بابها ولهذا قيل للمحاذي له خلفها دبر الكعبة، ويطلق على جميع الجانب الذي فيه الباب وهو المتعارف. والظاهر أن هذا الموضع تلقاء المقام في فناء الكعبة بحيث يكون المقام خلف ظهر المصلي فيه. ثم قال: ويحتمل على بُعد أن يكون الموضع الرابع - يعني المتقدم عند باب الكعبة - قال ابن جماعة: وقد ورد تفضيل وجه الكعبة على غيره من الجهات. فعن ابن عمر البيت كله قبلة وقلته وجهه، فإن فاتك ذلك فعليك بقبلة النبي ﷺ تحت الميزاب. ومثله عن عمرو بن العاص. والمراد بقبلة النبي ﷺ قبلته بالمدينة الشريفة. انتهى.

(السابع) بين الركنين اليمانيين ذكره ابن إسحاق في «سيرته» في قصة طويلة. قال الفاسي: ولم يبينه المحب. ويحتمل أن يكون عليه السلام صلى إلى وسط الجدار كما نقله ابن سراقه ويكون عند الرخامة التي في الشاذروان المكتوب فيها اسم الملك لاجين أنه عمل المطاف. ويحتمل أن يكون مائلا عن الوسط إلى جهة الحجر الأسود أو إلى جهة الركن اليماني.

الثامن: في الحجر للحديث الصحيح: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه ﷺ فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر وأخذ بمنكبه ودفعه عنه عليه السلام. وقال: ﴿ أَنْتَقْتُلُونَ رَحْلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ (سورة غافر: ٢٨). الآية قال المحب الطبري: ولا يبعد أن تكون صلاته ﷺ تحت الميزاب. فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: صلوا في مصلى الأخيار واشربوا من شراب الأبرار. فقيل له: ما مصلى الأخيار وما شراب الأبرار؟ فقال: تحت الميزاب وماء زمزم، وهو ﷺ سيد الأخيار، ولا يبعد أن تكون الإشارة إليه ﷺ.

ذكر شيء من فضائل الحجر

روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أحب أن أدخل البيت فأصلي فيه، فأخذ رسول الله ﷺ بيدي فأدخلني الحجر وقال: صلي فيه إن أردت دخول البيت، فإنما هو قطعة من البيت^(١). وفي هذا دلالة على أن جميع الحجر من البيت. وكذلك ما ورد أن عائشة رضي الله عنها سألت النبي ﷺ عن الحجر: هل هو من البيت؟ فقال: نعم. والصحيح أن القدر الذي فيه من البيت ستة أذرع أو ما يقارب السبعة^(٢) كما جاء مصرحاً به في الحديث الآخر عن عائشة رضي الله عنها وهو: لولا قومك إلى أن قالت ولزدت فيه ستة أذرع من الحجر تركتها قريش لقصر النفقة. وفي رواية فهلمى لأريك ما تركوه قومك فأراها قريباً من سبعة أذرع، فحينئذ يحمل المطلق فيما تقدم على المقيد وإطلاق اسم الكل على البعض جائز على سبيل المجاز المستحسن أشار إليه المحب الطبري.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأبي هريرة رضي الله عنه: إن علي باب الحجر ملكا يقول لمن دخله وصلى فيه ركعتين مغفورا لك ما مضى فاستأنف العمل، وعلي باب الأخر ملك منذ خلق الله الدنيا إلى يوم يرفع البيت يقول لمن صلى وخرج: مرحوما إن كنت من أمة محمد تقياً^(٣).

وفي «رسالة الحسن» أن إسماعيل عليه السلام شكاً إلى ربه حراً مكة فأوحى إليه أني أفتح لك باباً من الجنة في الحجر يخرج عليك الروح منه إلى يوم القيامة. والروح بفتح الراء نسيم الريح^(٤).

وفيها عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه أقبل ذات يوم فقال لأصحابه: ألا تسألوني من أين جنت؟ فسألوه، فقال: كنت قائماً على باب الجنة، وكان قائماً تحت الميزاب يدعو الله عنده^(٥).

(١) أخبار للأزرقى ج ص ٣١٢، أخبار الكرام ص ٨٦.

(٢) أخبار الكرام ص ٨٦.

(٣) أخبار الكرام ص ٨٦.

(٤) أخبار الكرام ص ٨٧.

(٥) أخبار الكرام ص ٨٦.

ويروى أن رسول الله ﷺ قال: ما من أحد يدعو تحت الميزاب إلا استجيب له (١).
ونقل ابن جماعة عن بعض السلف أن من صلى تحت الميزاب ركعتين ثم دعا بشيء
مائة مرة وهو ساجد استجيب له.

وعن عطاء بن أبي رباح أنه قال: من قام تحت مشعب الكعبة ودعا استجيب له وخرج
من ذنوبه كيوم ولدته أمه. أخرجه الأزرقى (٢). والمشعب: مجرى الماء ومسيله. ومنه:
يجيء الشهيد يوم القيامة وجرحه يثعبُ دما. كذا في «النهاية» (٣).

ويروى عن أبي هريرة وسعيد بن جبير وزين العابدين أنهم كانوا يلتزمون ما تحت
الميزاب من الكعبة.

(ومن فضائل الحجر) أن فيه قبر إسماعيل وأمه هاجر، وكان عمره مائة وثلاثين سنة
يوم مات وقيل مائة وسبع وثلاثين. ونقل القاضي أبو البقاء بن الضياء في «منسكه البحر
العميق» عن الفقيه إسماعيل الحضرمي (٤) نفع الله به أنه لما حج سأل المحب الطبري عن
ثلاث مسائل: عن الحفرة الملاصقة للكعبة. وعن البلاطة الخضراء التي في الحجر، وعن
القبرين اللذين يرجمان بأسفل مكة عند جبل البكاء. فأجاب بأن الحفرة مصلى جبريل عليه
السلام بالنبي ﷺ. والبلاطة الخضراء قبر إسماعيل ويشبر من رأسها إلى ناحية الركن
الغربي مما يلي باب بني سهم ستة أشبار، فعند انتهائها يكون رأس إسماعيل عليه السلام.
والقبران المرجومان فهو أن البيت الشريف أصبح يوما في دولة بني العباس وقد لطحه
رجلان بالعدرة فقبض عليهما أمير مكة واستأذن الخليفة في أمرهما فأمر بصلبهما فرسم في
هذا الموضع وصارا يرجمان إلى الآن. انتهى.

وينبغي توقي النوم فيه والاحتراز مما أحدثه العوام من وقوفهم في فتحتي الحجر بقصد
السلام كما يزعمون على النبي ﷺ، ومن استدبارهما الكعبة فيهما للدعاء أيضاً.
والمعروف في آداب الدعاء استقبال البيت قاله ابن جماعة.

(١) أخبار الكرام ص ٨٧.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٣١٨.

(٣) النهاية لابن الأثير (ثعب).

(٤) أخبار الكرام ص ٨٨.

ذكر ذرع الحجر من داخله وصفته وخبر شيء من عمارته

أما ذرعه فمن جدر الكعبة الذي فيه الميزاب إلى جدر الحجر المقابل له خمسة عشر ذراعاً. وسعة ما بين الفتحين سبعة عشر ذراعاً وقيراطان وعرض جداره... (١).

وأما صفته فهو عرصه مرخمة عليها جدار مقوس صورته نصف دائرة وأول من رخمه المنصور العباسي في سنة أربعين ومائة لما حج. وذلك أنه رأى حجارته بادية فدعا بعامله على مكة زياد بنت عبد الله وأمره بأنه لا يأتي الصباح إلا وقد ستر بالرخام، فدعا زياد الصناع فعملوه على السَّرج قبل أن يصبح (٢). ثم جدد بعد ذلك مراراً كثيرة. وآخر من عمره على ما هو عليه الآن في زمن هذا التأليف من ملوك الشراكسة قانصوه الغوري على يد مباشر عماتره الأمير خاير بك العلاني المعروف عند أهل مكة بالمعمار، وذلك في سنة سبع عشرة وتسعمائة. وكانت عمارته في هذه السنة مرتين، الأولى: بحجارة منحوتة من جبل الشبيكة، والثانية: بهذا الرخام الموجود كما ترى.

قواع: حكم الصلاة في مقدار ما في الحجر من البيت حكم الصلاة في الكعبة يجري فيه الخلاف المتقدم بين الأئمة الأربعة، وقد علمته فلا تطول بإعادته لما فيه من تحصيل الحاصل، والله أعلم.

(تميم) أخرج الفاسي رحمه الله عن بعض مشايخ مكة أئمتقدمين أن للنبي ﷺ مصلى بين الحفرة المرخمة وبين الحجر - بسكون الجيم - عند الحجر المشوِّب الذي يقال له المقام المحمدي، وأن من دعا عنده بهذا الدعاء. يا واحد يا واحد، يا ماجد يا ماجد، يا برّ يا رحيم، يا غني يا كريم أتمم على نعمتك وألبسني عافيتك استجيب له (٣).

ثم قال: والحجر المشوِّب الذي هو علامة لهذا المصلى لا يعرف الآن (٤). والحفرة قد سبق ذكرها. وهذا المصلى هو الموضع الثالث الذي ذكره المحب، لأنه ليس بين الحفرة المشار إليها والركن الشامي مصلى للنبي ﷺ غيره، والله أعلم. انتهى بمعناه.

(١) بياض بالأصلين.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٤٥.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٥٨.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٥٨.

(استطراد) فى بيان مصلى آدم عليه السلام عند البيت حين نزل قد تقدم فى الباب الأول فى فضل الملتزم عن الأزرقى رحمه الله أن آدم طاف بالبيت سبعة، ثم صلى تجاه الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم إلى آخر ما قدمته عنه .

وأخرج الأزرقى أيضاً فى رواية أخرى، أن آدم عليه السلام حين نزل طاف بالبيت سبعة ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين^(١) .

ونقل الفاسى رحمه الله فى «شفائه» من كلام ابن سراقه، ما يقتضى زيادة بيان فى مصلى آدم عليه السلام، فقال: ومن باب الكعبة إلى مصلى آدم حين فرغ من طوافه، وأنزلت عليه التوبة وهو موضع الخلق من إزار الكعبة أرجح من تسعة أذرع، وهناك كان موضع مقام إبراهيم عليه السلام وصلى النبى ﷺ عنده ركعتى طوافه . وبين مصلى آدم والركن الشامى ثمانية أذرع . انتهى . قال الفاسى: وقد تحررتى مما ذكره ابن سراقه فى ذرع ما بين الركن الشامى ومصلى آدم أن يكون مصلى آدم ظناً بقرب الحفرة المرخمة التى فى وجه الكعبة بحيث يكون منه إلى الحفرة ثلاثة أذرع إلا ثلث بالحديد^(٢) انتهى .

وفى رواية لابن أبى الدنيا أن صلاة آدم إلى جانب الركن اليمانى .

وفى أخرى عن الفاكهى أن الموضع الذى تيب^(٣) فيه على آدم دبر الكعبة عند الباب الذى فتحه ابن الزبير جانب الركن اليمانى، والله أعلم .

فصل فى بيان جهات المصلين إلى القبلة من سائر الآفاق

ملخصاً مما ذكره الشيخ عز الدين بن جماعة فى دائرته

بحذف الكواكب إذ ليس كل أحد يعرف الاستدلال بها

(فجهة) مصر وصعيدها الأعلى وسواحلها السفلى أسوان وإسنا وقوس والفسطاط والإسكندرية والاكيدم والمحلة ودمياط وبلبيس وبرقة وطرابلس وصفد، وساحل المغرب، والأندلس، وما كان على سمت ما بين الغربى والميزاب .

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٢٥ .

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٤٤ .

(٣) فى المطبوع: «يثبت» .

(وجهة) جانب الشام الغربي ووسط غزة والرملة وبيت المقدس والمدينة الشريفة،
دمشق، وفلسطين وعكا وصيدا، وما والى ذلك من السواحل على سمتة وهي من قبيل
ميزاب الكعبة إلى دون الركن الغربي.

(وجهة) الشام كلها غير ما ذكر وهي حمص وحماة وسلمية وحلب ومنبج وحران
وميافارقين وما والاها من البلاد وسواحل الروم ما بين الميزاب والركن الشامي، موقفهم
موقف أهل المدينة ودمشق، لكنهم يتياسرون شيئاً يسيراً والجهة شاملة للجميع إن شاء الله
تعالى.

(وجهة) الرها والموصل وملطية وسميساط وسنجان والجزيرة وديار بكر وما كان على
سمت ذلك إلى القبلة من الركن الشامي إلى مصلى آدم عليه السلام.

(وجهة) الكوفة وبغداد وحلوان والقادسية وهمدان والري ونيسابور وخراسان ومرو
وخوارزم وبخارى ونسا وفرغانة والشاش وما كان على سمت ذلك، ما بين مصلى آدم عليه
السلام إلى قرب باب الكعبة.

(وجهة) البصرة والأهواز وفارس وكرمان وأصبهان وسجستان وشمال بلاد الصين وما
على سمت ذلك من باب الكعبة إلى الحجر الأسود.

(وجهة) وسط بلاد الصين والهند والمهرجان وكابل والمهديان وانتار والمغل
والقندهار^(١) وما والاها وما كان على سمتها، من الركن الأسود إلى دون مصلى النبي
ﷺ.

(وجهة) بلاد الهند وجنوب بلاد الصين وأهل التهايم والسد والبحرين وما والاها وكان
على سمتها، من دون مصلى النبي ﷺ إلى ثلثي هذا الجدار.

(وجهة) اليمن بأسره ظفار وحضر موت وصنعاء وعمان وصعدة والشجر وسبأ وما
والاها وكان على سمتها، من دون الركن اليماني بسبعة أذرع إلى الركن اليماني.

(وجهة) الحبشة والزنج وزيلع وأكثر بلاد السودان وجزائر فرسان وما والاها من البلاد
وكان على سمتها، من الركن اليماني إلى ثلثي الجدار وهو آخر الباب المسدود.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «والقندهار».

(وجهة) جنوب بلاد البجاة ودهلك وسواكن وبلاد البُلَيْن والنوبة إلى بلاد التكروروما وراء ذلك وما على سمته، من بلاد السودان وغيرهم إلى البحر المحيط من دون الباب المسدود إلى ثلثي الجدار.

(وجهة) شمال بلاد البجاة والنوبة وأوسط المغرب من جنوب الواحات إلى بلاد إفريقية وأوسط بلاد بربر وبلاد الجريد إلى البحر المحيط وهي جهة جدة وعيذاب وجنوب أسوان من دون الركن الغربي بثلث الجدار إلى الركن الغربي. انتهى ما لخص من الدائرة وهذه الجهات المذكورة هي من حيث الجملة، ومن أراد التحرير في الاستقبال كما ينبغي فليراجع كتب الميقات وما وضع لذلك من الآلات يقف على المراد والله أعلم.

الباب السادس

في فضل مكة زادها الله شرفاً وتعظيماً

وحكم المجاورة بها وذكر شيء مما ورد في ذلك

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ (سورة البقرة: ١٢٦) يعني مكة. قال النسفي: أي اجعل هذا البلد أو المكان بلداً آمناً أي ذا أمن، أو آمناً من فيه فهذا مفعول أول وبلداً مفعول ثان وآمناً صفة له.

وقال تعالى في سورة إبراهيم أيضاً: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ (سورة إبراهيم: ٣٥) بصيغة التعريف والمراد مكة والفرق بين هذه وبين ما في البقرة أنه سأل في الآية الأولى أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها وفي هذه الآية أن يخرجها من صفة الخوف إلى الأمان كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمناً. كذا في «المدارك».

وفي «تفسير الكواشي» إنما عرف هنا ونكر في البقرة لأن النكرة إذا عينت تعرفت. وقيل دعا مرتين فحكيتا. وقوله بواد غير ذي زرع هو مكة لأنه لم يكن بها يومئذ ماء ولا حرث فكانت هاجر ترضع إسماعيل وتاكل من التمر وتشرب من الماء اللذين جاءت بهما معها إلى أن نفدا وسيأتي الكلام على ذلك في محله في فضائل زمزم مستوفى إن شاء الله تعالى. وقال جل وعلا ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ (سورة النحل: ١١٢) الآية، يعني مكة شرفها الله تعالى. قال القرطبي: ضربها الله مثلاً لغيرها من البلاد أي أنها مع جوار بيت الله وعمارة مسجده لما كفر أهلها أصابهم القحط، فكيف بغيرها من البلاد. انتهى.

وكانت العرب قد قطعت على قريش وكفار مكة الميرة بأمر رسول الله ﷺ وابتلاهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الميتة وكان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمر الناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون كذا في «المعالم».

وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة الدخان: ١٠)

أنه دخان قريش هذا. والصحيح أنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيد. ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص، كذا في «المدارك» والحنيد المشوي على حد قوله تعالى: ﴿جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ (سورة هود: ٦٩) والخصاص: الخلل. يقال للفرج التي بين الأثافي خصاص. كذا في «الصحاح».

وعنه عليه السلام أن أول آيات الساعة الدخان وأنه يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين ليلة، أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام، وأما الكافر فيخرج من منخره وأذنيه ودبره. وقوله: ﴿كَانَتْ آمِنَةً﴾ أي من القتل والسبي، وقوله: ﴿مُطْمَئِنَّةٌ﴾ لا يزعجها خوف، لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ أي واسعاً، وقوله ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي من كل بلد على حد قوله تعالى: ﴿يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (سورة القصص: ٥٧) ومعنى الكلية: انكثرة. كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (سورة النمل: ٢٣) وقال تعالى مخاطباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ (سورة النمل: ٩١) قال المفسرون: معناه قل يا محمد إنما أمرت أن أخص الله تعالى بعبادتي وتوحيدي الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة المشرفة. وخصها بالذكر دون غيرها لأنها مضافة إليه وأحب البلاد وأكرمها عليه، وأشار إليها إشارة تعظيم لأنها موطن بيته ومهبط وحيه. ومعنى حرّمها، يعني جعلها حراماً آمناً لا يسفك فيه دم ولا يظلم فيه أحد، وقال تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (سورة البلد: ١، ٢) وقال تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (سورة التين: ٣) المراد مكة لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاماً.

ومعنى القسم به في الموضعين التنويه بشأنه والإبانة عن شرفه لما أنه مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد سيد المرسلين ومبعث خاتم النبيين.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهَدْيَ مَعَكَ نَتَّخِطُفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ (سورة القصص: ٥٧) قال المفسرون: المراد مكة، وسبب نزولها أن الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا لنعلم أن ما تقوله حق ولكن نخشى إن اتبعناك على دينك أن تخرجنا العرب من أرضنا يعني مكة.

وفى الصحيح أنه ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من نقابها إلا وعليه الملائكة صافين يحرسونها. والنقب - بفتح النون وضمها وسكون القاف - هو الباب وقيل الطريق وجمعه نقاب.

وفى رسالة «الحسن البصرى» رضي الله عنه التي كتبها لبعض إخوانه بمكة المشرفة يرغبه فى الإقامة بها حين بلغه أنه نوى التحول عنها، قال عليه السلام : خير بلدة على وجه الأرض وأحبها إلى الله عز وجل مكة.

وقال عليه السلام : من مات بمكة فكأنما مات فى السماء الدنيا. وقال عليه السلام : من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائة عام.

وقال عليه السلام : من مرض يوماً واحداً بمكة كتب له من العمل الصالح الذى كان يعمله فى غيرها عبادة ستين سنة.

وقال عليه السلام : ما أحد يخرج منها إلا ندم وما من أحد يخرج منها ثم يعود إلا والله عز وجل فيه حاجة.

وقال عليه السلام : المقام بمكة سعادة والخروج منها شقاوة، ثم ما أعلم اليوم على وجه الأرض بلدة يرفع منها الحسنات وأنواع البر كل واحد منها بمائة ألف ما يرفع من مكة^(١)، وما أعلم بلدة على وجه الأرض فيها شراب الأبرار ومصلى الأخيار غيرها.

(أقول): قد علمتهما فيما سبق فلا يحتاج إلى تكرارهما. انتهى.

ثم ما أعلم بلدة على وجه الأرض يصلى فيها حيث أمر الله نبيه عليه السلام إلا بمكة قال الله تعالى: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (سورة البقرة: ١٢٥).

ثم ما أعلم بلدة يصل فيها للانسان عن طاعات الله تعالى ما يصل إليه بمكة.

ثم ما أعلم بلدة على وجه الأرض إذا دعا أحد بدعاء أمنت الملائكة على دعائه إلا بمكة حول البيت الحرام. ثم ما أعلم بلدة يحشر منها من الأنبياء والصديقين والأبرار والفقهاء والزهاد والعباد والصالحين من الرجال والنساء ما يحشر من مكة، إنهم يحشرون آمنين يوم القيامة من عذاب الله^(٢).

(٢) رسالة الحسن البصرى ورقة ٤.

(١) رسالة الحسن البصرى ورقة ٤.

ثم ما أعلم بلدة ينزل فيها كل يوم من رائحة الجنة وروحها ما ينزل بمكة .
 وإياك يا أختي ، ثم إياك أن تخرج من مكة ، فلو أنه لم يدخل عليك كل يوم غير فلسين
 حلالا لكان خيرا لك من السفين في غيرها . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . انتهى ما
 نقل من «الرسالة» .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لولا الهجرة لسكنت مكة ، إنى لم أر السماء بمكان أقرب إلى
 الأرض منها بمكة ، ولم يطمئن قلبي ببلد قط ما اطمأن بمكة ، ولم أر القمر بمكان قط
 أحسن منه بمكة أخرجه الأزرقى .

ويروى أن قريشا وجدوا في الركن أو الكعبة كتابا بالسريانية فلم يدروا ما فيه حتى قرأه
 لهم رجل من اليهود فاذا فيه : أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض
 وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشابها مبارك
 لأهلها في الماء واللبن ، وفي رواية أخرى في الماء واللحم . والأخشبان هما جبلان : أبو
 قبيس والمقابل له ومكة بينهما .

فصل فيما يدل على افضلية مكة على غيرها من البلاد

(اعلم) أن العلماء أجمعوا على أن مكة والمدينة زادهما الله شرفا وتعظيما أفضل بقاع
 الأرض ، ويليها بيت المقدس ، ثم مكة أفضل من المدينة عندنا ، وعند الشافعية والحنابلة
 ووهب وابن حبيب من المالكية وهو قول الجمهور ، وروى عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم
 ويستدل على ذلك بأمور (منها) ما تقدم من الآيات .

(ومنها) أن الله تعالى اختار من ولد آدم الأنبياء بجملتهم ثم اختار منهم الرسل ، ثم
 اختار منهم أولى العزم وفيهم أقوال وهم خمسة على الأكثر ذكرهم الله في سورتي
 الأحزاب والشورى ، والمراد بالعزم الحزم والصبر كذا قاله المفسرون .

ثم اختار منهم خليله وحبيبه إبراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم واختار لهما من
 الأماكن خيرها وأشرفها وهي مكة جعلها الله مناسك لعباده ومشاعر لوفده وقصاده ،
 وأوجب الإتيان إليها من القرب والبعد ودخولهم إليها متواضعين متخشعين متذللين كاشفين
 رءوسهم مجردين عن لباس أهل الدنيا فهي خير البلاد وأشرفها .

لطيفة: إن قيل ما الحكمة في تجريد الناس في الإحرام؟ قيل: ليعلم أن باب الله جل وعلا على خلاف أبواب الملوك، لأن العادة جرت أن يتزين الناس باللباس الفاخر إذا قصدوا باب المخلوق ففرق بين بابه وباب غيره.

(وأيضاً) من أهدى إلى الملوك ما ليس في خزائهم يكون أرفع قدراً، وليس شيء إلا وهو في خزائن الله سوى الافتقار اللهم أغننا بالافتقار إليك، ولا تفقرنا بالاستغناء عنك يا رب العالمين.

(ومنها) حديث أبي سلمة عن عبد الله بن عدي بن الحمراء قال رأيت رسول الله ﷺ على راحلته واقفا بالحزورة يقول: والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت^(١). وهو حديث حسن أخرجه أصحاب السنن وصححه جماعة منهم الترمذي، وزاد الإمام أحمد واقف بالحزورة في سوق مكة، وقد دخل سوق مكة المذكور في المسجد بعد ذلك.

وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ وقف بالحزورة وقال: إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله عز وجل، ولو نرکت فيك ما خرجت منك. وفي أخرى عنه: والله لقد عرفت أنك أحب البلاد إلى الله وأكرمها على الله، ولولا أن قومي أخرجوني الحديث.

وفي رواية ابن عباس ما سكنت غيرك. قال بعض العلماء: الظاهر أن هذه المقالة كانت منه ﷺ في عمرة القضية حين سألت قرش النبي ﷺ أن يخرج من مكة بعد الثلاثة الأيام التي أقامها كما وقع الشرط. ولا يظن أحد أنه ﷺ قال ذلك حال خروجه للهجرة إلى المدينة، لأنه لم يكن بهذه الصفة حين هاجر، وإنما كان خروجه إليها مستخفياً كما هو معلوم لا راكباً على راحلته، إذا لو كان كذلك لأشعر بسفره.

وفي «تاريخ الأرقم» أنه ﷺ قال ذلك عام الفتح، فيحمل على أنه قاله مرتين إذ لا تنافي، ويكون فيه من تعظيم مكة ما لا يخفى.

والحزورة - بحاء مهملة مفتوحة وزاء معجمة - وعوام مكة يصحفونها ويقولون عزورة بعين مهملة - والحزورة: هي الراية الصغيرة جمعها حزاور، وكان عندها سوق الحناتين

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٩.

بمكة قديماً، وهي مخففة على وزن قسورة، والمحدثون يشددون الحزورة والحديبية، والصواب التخفيف كذا قال الشافعي والدارقطني.

ومنها: حديث ابن الزبير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في مسجدى» رواه أحمد.

قال ابن عبد البر في «التمهيد» إنه ثابت لا يطعن فيه أن مضاعفة الصلاة بالمسجد الحرام على مسجد النبي ﷺ بمائة مذهب عامة أهل الأثر. انتهى.

وذهب الإمام مالك وجمهور أصحابه إلى تفضيل المدينة، وهو مذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكثير من الصحابة وأكثر أهل المدينة، واستدلوا بقوله ﷺ: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، مع قوله ﷺ: موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها.

قال ابن عبد البر: هذا استدلال بالخبر في غير ما ورد فيه ولا يقاوم النص الوارد في فضل مكة. ثم ساق حديث أبي سلمة عن ابن الحمران المتقدم، وقال هذا نص في محل الخلاف فلا ينبغي العدول عنه.

وأما الحديث المروى: اللهم إنك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد إلى فأسكني أحب البلاد إليك. لا يختلف أهل العلم في نكارتة ووضعه، وسئل عنه الإمام مالك رضي الله عنه فقال لا يحل لأحد أن ينسب الكذب الباطل إلى رسول الله ﷺ. انتهى.

قال الطبري: وعلى تقدير صحته فلا دلالة فيه لأن قوله فأسكني في أحب البلاد يدل سياقه في العرف على أن المراد به بعد مكة، فإن الإنسان لا يسأل ما أخرج منه فإنه قال: أخرجوني فأسكني فدل على إرادة غير المخرج منه فتكون مكة مسكوتا عنها انتهى.

وأما الحديث الذي فيه المدينة خير من مكة لا يرد، لأنه ضعيف بل قيل موضوع. قال الجذ رحمه الله: فإن قلت ورد في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما بمكة من البركة، ودعوته ﷺ مستجابة بلا شك، وفيهما أيضاً أن الملائكة يحرسونها لا يدخلها الطاعون ولا الدجال.

قلت: هذه الأحاديث ونحوها تدل على فضيلة المدينة لا أفضليتها على مكة كما لا يخفى، وقوله ﷺ اللهم حبيب إلينا المدينة كحُبنا مكة أو أشد، وفي رواية وأشد لا دلالة فيه أما على رواية أو أشد فظاهر لوجود الشك، وأما على رواية وأشد بدون ألف أو بها وتكون بمعنى الواو فلأن سؤاله ﷺ حصول أشدية الحب للمدينة بعد وجود المانع من سكناه مكة تسلية عنها لا يلزم منه تفضيل المدينة على مكة بعد استحضار ما تقدم من قوله ﷺ لقد عرفت أنك أحب البلاد إلى الله وأكرمها على الله بشهادة التأمل. انتهى.

فصل

(واعلم) أن جميع ما سبق من الفضل فيما قدمته محله في غير الموضع الذي ضم أعضاء النبي ﷺ أما محل قبره فقد نقل القاضي عياض رحمه الله في «شرح مسلم» الإجماع على أنه أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة وأن الخلاف فيما سواه، ولقد أحسن وأبدع من قال في المعنى:

جزم الجميع بأن خير الأرض ما

قد حاط ذات المصطفى وحوها

ونعم لقد صدقوا بساكنها علت

كالنفس حين زكت ركا مأواها

قال بعض المحققين وقياسه أن يقال: إن الكعبة الشريفة أفضل من سائر بقاع المدينة قطعا ما عدا موضع القبر الشريف.

تنبيه: روى ابن عبد البر في «التمهيد» أن المرء يدفن في البقعة التي أخذ منها ترابه عندما خلق. قال شيخ الإسلام ابن حجر: وعلى هذا فقد روى الزبير بن بكار أن جبريل أخذ التراب الذي خلق منه النبي ﷺ من تراب الكعبة فعلى هذا فالبقعة التي ضمت أعضاءه ﷺ من تراب الكعبة فرجع الفضل المذكور إلى مكة إن صح ذلك والله أعلم. انتهى.

قال بعض العلماء: يؤخذ من قولهم المرء يدفن في البقعة التي أخذ منها ترابه أفضلية سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر على بقية الصحابة لدفنهما بالقرب من النبي ﷺ المقتضى لكون طينتهما التي خلقا منها من البقعة التي خلق منها النبي ﷺ.

قاعدة: قال ابن حريم النخعي المذكور لمكة ثابت لعرفة أيضاً وان كانت من الحل.

فصل

واعلم أن لمكة أسماء كثيرة^(١) قد ذكرها الله تعالى في ثمانية مواضع من القرآن العزيز وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى. قال النووي رحمه الله: لا يعلم بلد أكثر اسماً من مكة والمدينة لكونهما أفضل بقاع الأرض وذلك لكثرة الصفات المقتضية للتسمية.

فالأول: مما في التنزيل مكة، وذلك في سورة الفتح في قوله ﴿بِطَّنِ مَكَّةَ﴾.

الثاني: بكة وذلك في سورة آل عمران قوله تعالى ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ واختلف في هذين الاسمين هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين، فعن الضحاك ومجاهد أنهما بمعنى واحد. وصححه ابن قتيبة محتجاً بأن الباء تبدل من الميم كقولهم ضرب لازم ولازب وسبد رأسه وسمده إذا استأصله، واختلف القائلون بالثاني فقيل بكة بالياء موضع البيت. فانه ابن عباس وإبراهيم النخعي، وقيل ما بين الجبلين قال عكرمة وقيل الكعبة والمسجد قاله الجوهري وزيد بن أسلم وأما بالميم فقيل القرية، وقيل الحرم كله، وقيل ذى طوى، وقيل ما حوالى البيت واختلف فى اشتقاقها، فقيل سميت مكة لأنها تمك الجبابرة أى تهلكهم وتذهب نخوتهم وأنشدوا فى معناه:

يا مكة الفاجر مكي مكا

ولا تمكى مذحجاً وعكا

وقيل إنها تمك الفاجر عنها أى تخرجه، وقيل إنها تجهد أهلها ماخوذ من قولهم تمككت العظم إذا أخرجت مخه، والتمكك الاستقصاء. وقيل لأنها تجذب الناس إليها من قول العرب امتك الفصيل ضرع أمه: إذا امتصه، ولم يبق فيه شيئاً، وقيل لثقله مائها، وقيل لأنها تمك الذنوب أى تذهب بها ومكة لا تنصرف للعلمية والتأنيث. وأما بكة فقيل سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها ما قصدها جبار بسوء إلا قصمه الله وقيل لازدحام الناس فيها يبك بعضهم بعضاً، أى يزحمه فى الطواف قاله ابن عباس، وقيل لأنها تضع من نخوة المتكبرين.

(١) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ج ١ ص ٧٥ وما بعدها، منائح الكرم ج ١ ص ٢١٣.

الثالث: البلدة وذلك فى سورة النمل .

الرابع: البلد، وذلك فى سورة لا أقسم والتين .

الخامس: القرية، وذلك فى سورة النحل، وقد تقدم الكلام على هذه الآيات آنفاً

مستوفى .

السادس: أم القرى فى قوله تعالى فى سورة الشورى ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ الآية، وفى تسميتها بذلك أربعة أقوال: أحدها أن الأرض دحيت من تحتها قاله الحبر ابن عباس، وقال ابن قتيبة لأنها أقدم الأرض، ثانيها: لأنها قبله يؤمها الناس، ثالثها: لأنها أعظم القرى شأنًا. رابعها: لأن فيها بيت الله تعالى، ولما جرت العادة بأن الملك وبلده مقدمان على جميع الأماكن سميت أما لأن الأم متقدمة كذا فى القرى .

السابع: معاد بفتح الميم فى قوله تعالى فى سورة القصص ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أى مكة كما فى «صحيح البخارى» عن ابن عباس .

(الثامن) الوادى فى قوله تعالى فى سورة إبراهيم ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ المراد به مكة كما تقدم آنفاً فى تفسير الكواشى وأما ما ذكر من أسماء مكة (فى غير القرآن) فكثير (من ذلك) تسميتها بالناسة بالنون والسين المهملة المشددة ومعنى ذلك أنها تنس من الحد فيها أى تطرده وتنفيه . ذكره النووى وغيره (ومن ذلك) النساسة بالنون وتشديد السين الأولى - والمعنى فى ذلك كالمعنى فى النساسة، (ومن ذلك) الحاطمة لحطمها الملحدين ذكره الأزرقى، (ومن ذلك) صلاح - بصاد مهملة مفتوحة وحاء مهملة - وسميت بذلك منها، وقد جاء فى قول أبى سفيان بن حرب لابن الحضرمي^(١):

أبا مَطَرٍ هَلُمَّ إِلَىٰ صِلَاحٍ

فِيكَفِيكَ النَّدَامَىٰ مِنْ قَرِيشٍ

وَتَنْزُلِ بِلْدَةِ عَزَّتِ قَدِيمَا

وَتَأْمَنُ أَنْ يَزُورَكَ رَبُّ جَيْشٍ

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٠ .

وهو مبني على الكسر كسحذام وقطام وما وازنهما، وقد تصرف كما في شعر أبي سفيان .

(ومن) أسمائها (العرش) بعين مهملة مفتوحة وراء مهملة ساكنة ذكره ابن جماعة (ومن) أسمائها (العريش) بزيادة ياء مثناة من تحت ذكره ابن جماعة أيضاً وعزاه إلى قول ابن سيده^(١) .

(ومن) أسمائها (القادس) نقله الفاسي عن صاحب المطالع، وهو مأخوذ من التقديس أى التطهير يعنى أنها تطهر من الذنوب^(٢) .

ومن أسمائها (المقدسة) ذكره النووي وغيره والمعنى فيه كما فى الذى قبله .

ومن أسمائها (القادسة) ذكره العز بن جماعة ولم يعزه (أقول): ويكون المعنى والله أعلم الطاهرة، على حد الاسمين المتقدمين لمادة الاشتقاق اللغوى . انتهى .

ومن أسمائها (كوثى) ذكره الأزرقى^(٣) عن مجاهد . ونقله السهيلي أيضاً فى روضه وكذا صاحب المطالع إلا أنه قال: باسم بقعة منها منزل بنى عبد الدار . وأفاد الفاسي عن الفاكهى أن كوثى فى ناحية قُعَيْقَعَانَ . وقيل: إن كوثى جبل بسمى . وهى: بكاف مضمومة وثناء مثلثة^(٤) .

ومن أسمائها (الحرم) بحاء وراء مهملتين .

ومن أسمائها (برة) .

ومن أسمائها (المسجد الحرام) .

ومن أسمائها (المعطشة) ذكر هذه الأربعة العلامة ابن خليل فى «منسكه» فأما برة والمعطشة فلم يعزهما ولم يذكر لهما معنى . وفى القرآن العظيم ما يشهد لتسميتها بالمسجد الحرام كما نقله الممرجاني عن ابن مسدى (أقول): ولعله أراد قوله تعالى فى سورة الفتح ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ الآية (سورة الفتح: ٢٧) فإن المراد مكة كما ذكره المفسرون والله الموفق .

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٠ .

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٠ .

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٠ .

(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٨١ .

ومن أسمائها (الرتاج) - براء مهملة وتاء مثناة من فوق وألف ثم جيم - نقله المحب الطبري في «شرح التنبية» حسبما ذكره ابن جماعة.

ومن أسمائها (أم رحم) - براء مهملة مضمومة - كذا حكى عن مجاهد لأن الناس يتراحمون فيها ويتوادعون.

ومن أسمائها (أم زحم) بزاي معجمة من الازدحام. نقله الفاسي عن الرشاطي رحمهما الله^(١).

ومن أسمائها (أم صبح^(٢)) ومن أسمائها (أم روح) ذكرهما ابن الأثير في كتابه «المرصع».

ومن أسمائها (بساق) ذكره ابن رشيقي في «العمدة» مستدلاً بشعر لأمية بن حُرثان^(٣).
وقيل إن بساق بلدة بالحجاز وهو بياء موحدة وسين مهملة وألف وقاف.

ومن أسمائها (البيت العتيق) ذكره الأزرقى^(٤) وغيره.

قال الفاسي: ولعل ذلك من تسمية الكل باسم البعض، وهو مجاز شائع؛ لكن يرد على ذلك تسمية مكة بأسماء الكعبة كلها إذا لحظ هذا المعنى^(٥). انتهى.

(أقول): على هذا يكون لمكة في القرآن عشرة أسماء بل وأكثر عند التبعية والتدبير فتأمل والله الموفق.

ومن أسمائها (الرأس) ذكره النووي والسهيلي وغيرهما. والمعنى أنها أشرف الأرض ك رأس الإنسان فإنه أشرف أعضائه.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٨١.

(٢) تحريف في المطبوع إلى: «أم صبح» وصوابه لدى الفاسي.

(٣) تحريف في المطبوع إلى: «حرتاه» وصوابه لدى الفاسي، والشعر هو:

ساستعدى على الفاروق رباً

له عمَد الحجيج إلى بساق

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ١ ص ٢٨٠.

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٢.

ومن أسمائها (المكتان) ذكره الفاسى عن شيخه بالإجازة برهان الدين القيراطى ثم قال: ولعله أخذ ذلك من قول ورقة بن نوفل الأسدى:

يبطن المكتين على رجائى

حديثك أن رأى منه خروجاً^(١)

قال السهيلي بعد أن ذكر هذا البيت: ثنى مكة وهى واحدة لأن لها بطاحا وظواهر، وإنما مقصد العرب فى هذه الإشارة إلى جانبى كل بلدة، أو الإشارة إلى أعلى البلد وأسفلها فيجعلونها اثنتين على هذا المعنى، انتهى^(٢).

ومن شعر عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى فى حصار عثمان بن عفان رضي الله عنه:

أرى الأمر لا يزداد إلا تفاقماً

وأنصارنا بالمكتين قليل

وأسلمنا أهل المدينة والهوى

إلى أهل مصر والذليل ذليل^(٣)

ومن أسمائها (النايبة) بالنون والموحدة ذكره الشيخ عماد الدين ابن كثير فى تفسيره^(٤).

ومن أسمائها (أم الرحمن)^(٥) ومن أسمائها (أم كوئى) ذكرهما المرجانى وعزا بالأول إلى ابن العربى ولم يعز الثانى ولم يذكر له معنى^(٦).

ومن أسمائها (الباسة) - بالباء الموحدة والسين المهملة - لأنها تبس الملمحد فيها أى تهلكه من قوله تعالى ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ ومن أسمائها (النساسة) لأنها تنس الملمحد أى تطرده، وقيل لقلة مائها والنس اليبس ذكرهما ابن جماعة.

ومن أسمائها (الناشة)^(٧) بالنون والشين المعجمة.

(والبساسة) - بموحدة وسينين مهملتين بينهما ألف - والمعنى فيه ظاهر.

(٢) نقله الفاسى فى الشفاء ج ١ ص ٨٣.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٣.

(٥) فى المطبوع: «أم الرحمة» والمثبت رواية د، والفاسى والسنجارى.

(٧) تحرف فى المطبوع إلى: «الناشة».

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٢.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٣.

(٦) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٣.

(وطيبة) لطيبها .

(وسبوحه والسلام والعدراء ونادرة والعرش) بضم العين والراء المهملتين بعدهما شين معجمة (والعروش) بزيادة واو (والحُرمة) بضم الحاء المهملة (والحِرمة) بكسرها (والعروض والسيل ومخرج صدق وقرية الحمس وأم راحم) والمعنى ما تقدم في أم رحم (وقرية النمل ونقرة الغراب) والحمس: قريش فهذه ثمانية عشر اسما ذكرها العلامة مجد الدين الشيرازي مع ذكر غيرها أيضاً مما تقدم ومما سأتى مما ذكره غيره^(١) .

ومن أراد الوقوف على اشتقاق كل اسم مع ذكر شواهد وفوائده فليراجع «شرح صحيح البخاري» للقاضي مجد الدين المذكور إن وجده .

قال الفاسي رحمه الله قلت: قرية النمل ونقرة الغراب علامتان لموضع زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها، وعدَّهما بعضهم اسمين مجازاً. فإن كان شيخنا مجد الدين لحظ كونهما اسمين لزمزم وسمى بهما مكة من باب تسمية الكل باسم البعض وهو مجاز شائع فيصح على هذا أن يذكر في أسماء مكة الصفا والحروة والحزورة وغير ذلك من المواضع المشهورة بمكة، وقوله وقرية الحمس إن كان لحظ في تسميته مكة بذلك أن الحمس كانوا سكان مكة فيصح على هذا أن يذكر في أسماء مكة قرية العمالقة وقرية جرهم لكونهم كانوا سكان مكة قبل الحمس، اللهم إلا أن تكون تسمية مكة بقرية النمل ونقرة الغراب وقرية الحمس منقولة عن أهل اللغة، فلا يقاس عليه غيره، والله أعلم. انتهى ما قاله الفاسي^(٢) .

أقول: وهو كلام عظيم وبحث عظيم مستقيم لكن في تسمية مكة بقرية الحمس الذين هم قريش دون من ذكر من العمالقة وجرهم وغيرهم من سكانها قبلهم أوفى دليل على فضل قريش ومزيد شرفهم وذلك لتمييزهم بكونهم أهل الله . وتسميتهم بذلك وهم في حال الشرك لما ورد في حقهم من الآيات والأحاديث والأخبار التي ستقف عليها فيما سيأتي مفصلاً في محله . إن شاء الله تعالى، وكيف ومنهم سيد البشر محمد ﷺ انتهى .

ومن أسماء مكة أيضاً: (البنيَّة وفاران) ذكرهما ياقوت الحموي .

(١) انظر في ذلك: شفاء الغرام ج ١ ص ٧٥ وما بعدها .

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٧٦ .

وقد نظم القاضي أبو البقاء ابن الضياء الحنفى رحمه الله سبعة أبيات جمع فيها من أسماء مكة نحو ثلاثين اسما وهى :

لمكة أسماء ثلاثون عددتُ	ومن بعد ذلك اثنان منها اسم مكة
صلاح وكوثى والحرام وقادس	وحاطمة البلد العريش بقريّة
ومعطشة أم القرى رحم ناسة	ونساسة رأس بفتح لهمزة
مقدسة والقادسة ناشة	ورأس وتاج أم كوثى كبرة
سبوحه عرش أم رحمن عرشنا	كذا حرم البلد الأمين كبلدة
كذلك اسمها البلد الحرام لأنها	وبالمسجد الأسنى الحرام تسمت
وما كثرة الأسماء إلا لفضلها	حباها بها الرحمن من أجل كعبة ^(١)

وما أحسن ما أنشده بعض العلماء على لسان حال النبی ﷺ فى مكة شرفها الله تعالى .

أحب بلاد الله ما بين منهج
إلى وسلمى أن تصوب سحابها
بلاد بها نيطت على تمانى
وأول أرض مسّ جلدى ترابها

ولبعضهم من قصيدة طويلة فى المفاخرة بين مكة والمدينة :

لمكة مجد باذخ الركن والقنن	وفضل منيف باسق الدوح والفنن
ومكة فيها كعبة الحسن كله	وزينها فى خدها خالها الحسن
ومكة للمختار مسقط رأسه	وكان له فيها احتضان لمن حضن
وفى مكة منشأ أبيه وجده	وأعمامه والأصل والفرع والشجن
وفى مكة وافاء جسبريل أولا	وكلمه بالوحي فى السر والعلن

(١) منائح الكرم ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥ .

وفي مكة كانت مبادئ كلامه	وإنزاله القرآن والخير في قرن
وفي مكة أبدى الهدى نور وجهه	وكانت بها من قبل بشرى ابن ذى يزن
وفي مكة أسرى به الله ربه	وطاف به السبع السموات في سنن
وفي مكة فتح مبين تنزلت	به سورة بانث بفضل لها ابن
وفي مكة كسنت ولادة نسله	وما أنجبت منه خديجة في الحجن
وفي مكة موطن الخليل وداره	وزمزمه والحجر والمنزل الأغن

وهي طويلة وهذا بعض منها يستدل به على المراد.

قاعدة: إذا كتب بدم المرعوف على جبينه: مكة وسط الدنيا والله رهوف بالعباد انقطع الدم.

(ومن خصائص مكة شرفها الله تعالى) أن من واظب فيها على أكل اللحم وشرب الماء فقط لم يضر ذلك باطنه، وفي غيرها يحصل منه الضرر. أخرجه الأرقم.

(فرع) اختلف العلماء في المجاورة بمكة المشرفة: فذهب إمامنا أبو حنيفة رضي الله عنه وطائفة من العلماء منهم ابن رشد من المالكية والقاضي أبو الطيب من الشافعية إلى كراهة المقام بها لأسباب ثلاثة:

أحدها: خوف التقصير في حرمتها والتبرم إذ ملازمة المكان تفضي إلى قلة المهابة والتعظيم ولذلك كان عمر رضي الله عنه يأمر الحاج بالرجوع إلى أوطانهم.

الثاني: تهيج الشوق بالمفارقة لتبعث داعية العود كما قال بعض العلماء لأن تكون في بلد وقلبك مشتاق إلى مكة خير لك من أن تكون فيها وأنت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر.

الثالث: الخوف من ارتكاب الخطايا بها فإن ذلك محذور كبير. ومع ذلك فلا يظن أحد أن كراهة المقام بمكة يناقض فضل الكعبة لأن هذه كراهة سببها ضعف الخلق عن القيام بحقوق الله تعالى كذا قاله الغزالي.

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال: لخطيئة أصيبتها بمكة أعز علي من سبعين خطيئة بغيرها. وذهب الشافعي وأحمد وغيرهما من العلماء منهم أبو يوسف ومحمد من أصحابنا وابن القاسم من المالكية إلى استحباب المجاورة بها لما يحصل فيها من الطاعات التي لا تحصل في غيرها وتضعيف الصلوات والحسنات وغير ذلك والفتوى عندنا على قول الصحابين كما صرح به الفارسي في منسكه عن المبسوط والدليل على الاستحباب ما تقدم من حديث أبي الحمراء وقول عائشة فلا نعيده.

قائفة: قال ابن الجوزي في «مثير العزم» بلغ عدة من استوطن مكة من الصحابة أربعة وخمسين رجلا ومن التابعين جماعة كثيرة. وقد جاور بها عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم.

تنبيهان:

الأول: ما تقدم من الكلام محله في المجاورة فقط من غير سكنى، وأما السكنى والانقطاع فهو بالمدينة أفضل، ويشهد له ما ثبت من حديث ابن عمر أن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة. وفي الصحيحين: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة وأشد، وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها إلى الجحفة. وهي رابع، ولم يرد في سكنى مكة شيء من ذلك بل كرهه جماعة من العلماء كما سبق.

الثاني: روى عنه عليه السلام أنه قال: من مات بالمدينة كنت له شفيعاً يوم القيامة. وفي الترمذي من حديث عمر مرفوعاً: من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنني أشفع لمن يموت بها. فالموت حينئذ بالمدينة الشريفة أفضل من الموت بمكة لهذه الأحاديث، ولأنه من لازم أفضلية السكنى بها على السكنى بمكة المشرفة، وإن كان قد ورد ما يقتضي أن الموت بمكة فيه فضل عظيم كذا في «منسك» الجد نور الله ضريحه، والله تعالى أعلم.

الباب السابع

في فضل الحرم وحرمة والمسجد الحرام
وزيادة الثواب للعامل فيه على غيره وتضعيفه
وذكر شيء من خبر عمارته وتوسعته

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمْكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ الآية، وقد تقدم الكلام على أول هذه الآية في الباب الخامس.

لطيفة: قال النسفي: وإسناد الأمن المذكور إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم ومجاز، وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني أهل مكة ﴿أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ الآية.

(واعلم) أن حرم مكة المذكور هو ما أحاط بها من جوانبه، وقد جعل الله حكمه حكم مكة تشريفا لها، (وفي سبب) كون هذا القدر المخصوص حرما. أقوال: فقيل: إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض خاف على نفسه من سكان الأرض، وهم يومئذ الجن والشياطين، فبعث الله ملائكة يحرسونه فوقفوا في موضع أنصاب الحرم من كل جانب، فصار ما بينه وبين موقف الملائكة حرما، وقيل: إن الحجر الأسود لما وضعه الخليل عليه السلام في الكعبة حين بناها أضاء يمينا وشمالا وشرقا وغربا فحرم الله عز وجل من حيث انتهى النور. وقيل: أهبط الله البيت إلى آدم، وهو من ياقوتة حمراء تلتهب التهاجا، وله بابان شرقي وغربي، فأضاء نوره ما بين المشرق والمغرب ففرغ لذلك سكان الأرض ورقوا في الجو ينظرون من أين ذلك النور، فلما راوه من مكة أقبلوا إليه فأرسل الله حيثئذ الملائكة فقاموا في مكان الأنصاب فمنعتهم، فمن ثم ابتدا اسم الحرم، وقيل غير ذلك.

(وأول) من نصب أنصاب الحرم إبراهيم الخليل بتوقيف جبريل عليه السلام، ثم جدها قُصَى بن كلاب بعد ذلك. وقيل بل جدها إسماعيل عليه السلام بعد أبيه ثم قصي بعده. وقيل: إن أول من نصبها عدنان بن أد حين خاف أن يدرس الحرم ثم نزعها قريش بعد ذلك والنبي ﷺ إذ ذاك بمكة قبل هجرته فاشتد ذلك عليه، فجاءه جبريل عليه السلام وأخبره أنهم سيعيدونها فرأى عدة من قريش في المنام كأن قائلا يقول: حرم أعزكم

الله به ومنعكم، نزعتم أنصابه! الآن تتخطفكم العرب فأعادوها، فأخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ بذلك، فقال له ﷺ هل أصابوا في ذلك، فقال جبريل عليه السلام: ما وضعوا نصباً إلا بيد ملك، ثم جددت عام الفتح بأمره ﷺ، وجددت أيضاً في زمن عمر وعثمان ومعاوية وعبد الملك بن مروان والمهدي العباسي (١).

واختلف العلماء في مكة وحرمتها هل صار أمناً بسؤال الخليل عليه السلام؟ أم كان ذلك منذ خلق الله السموات والأرض. الصحيح الثاني، ويشهد له ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خطب يوم فتح مكة فقال: إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرّفها، ولا يختلي خلاه إلى آخر ما قاله ﷺ فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر (٢)، فإنه لقينهم وليوتهم (٣)، فقال: إلا الإذخر (٤). متفق عليه، وورد في لفظ في الصحيحين ولا يعضد شجرها، يعني مكة والمراد الحرم.

سؤال: إن قيل قد ثبت عنه ﷺ إن إبراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة فهذا تصريح بتحريم الخليل عليه السلام. أجيب عنه بأن إبراهيم عليه السلام إنما أظهر حكم التحريم بعد أن كان مهجوراً وسببه أن الطوفان لما وقع اندرس البيت الشريف ونسى ذلك الحكم وهجر، والذي تجدد بسؤال إبراهيم هو أن يجعله أمناً من الجذب والقشط وأن يرزق أهله من الثمرات. والعضد فيما تقدم القطع، والمراد من تنفير صيده أن لا يصاح عليه فينفر.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٨٦.

(٢) الإذخر: نبات عشبي، من فصيلة النجيليات، وله رائحة ليمونية عطرية، وأزهاره نستعمل منقوعاً كالشاي، ويقال له أيضاً: طيب العرب، والإذخر المكي من الفصيلة نفسها، جذوره من الأفاويه، ينبت في السهول وفي المواضع الجافة الحارة، ويقال له أيضاً: حلفاء مكة.

(٣) لقينهم وليوتهم: القين: هو الحداد والصانع، ومعناه يحتاج إليه القين في وقود النار، ويحتاج إليه في القبور لتسد به فرج اللحد المتخللة بين اللبنة، ويحتاج إليه في سقوف البيت، يجعل فوق الخشب.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الحج: باب تحريم مكة وصيدها وخلاتها... ج ٢ ص ٤٢٣ وانظر لذلك أيضاً: شفاء الغرام ج ١ ص ١٠٨.

أقول: إذا كان المراد من التنفير ما ذكر فمن باب أولى أن لا يضرب بعصا وحجر ونحوهما كما يفعله كثير من الناس لتأذيه بذلك أكثر ويستفاد من ذكر الصيد العموم، سواء كان من الحمام القاطن بمكة أو من غيره مما يدخل من الحل إليها، لأنه بالدخول استفاد الأمن كما صرح به علماؤنا في فروعهم. انتهى.

وعن عكرمة، تفسير الصيد: أن تنحيه من الظل وتنزل مكانه. والخلا - بفتح الخاء والقصر: الحشيش إذا كان رطباً فإذا يبس فهو حشيش وهشيم، والاختلاء القطع أيضاً، والإذخر نبت طيب الريح معروف عند أهل مكة. وفي حكم الإذخر: السنا ونحوه مما يحتاج إليه.

أقول: لقائل أن يقول: هذا إذا كان ما يحتاج إليه من الإذخر ونحوه لا ينبت إلا في الحرم فقط، وأما إذا نبت فيه وفي الحل فينبغي أن يترك ما في الحرم ويؤخذ مما في الحل أمثالاً للحديث وعملاً بمقتضاه، وإن كان في ذلك مشقة، لأنه حينئذ يكون أخذاً بالعزيمة والاستثناء في الحديث للرخصة. انتهى.

والقين: الحداد لأنه يحتاج إليه في عمل النار واحتياج البيوت لأجل السقوف واستنائه عليه السلام على الفور. تمسك به من الأصوليين من يقول بجواز الاجتهاد منه عليه السلام أو تفويض الحكم إليه. ثم قيل إن السبب في سؤال العباس رضي الله عنه كونه من أهل مكة، وقد علم أنه لا بد لهم منه.

أقول: غير العباس من قريش من أهل مكة أيضاً ولم يسأل، فلما لكونه لم يعلم أنهم لم يستغنوا عنه أو يكون ترك ذلك تأدباً مع العباس لمكانته وفضله وقربه منه عليه السلام فتأمل انتهى.

قال شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» ناقلاً عن ابن التين: والحق أن سؤال العباس كان على وجه الضراعة، وترخيص النبي عليه السلام كان تبليغاً عن الله إما بطريق الوحي أو الإلهام، ومن ادعى أن نزول الوحي يحتاج إلى أمد متسع فقد وهم. انتهى.

فصل

واعلم أن لهذا الحرم الشريف فضائل كثيرة وخصائص حميدة شهيرة تدل على شرفه وفضله وخيره ويمتاز بها على كثير من البلاد غيره .

فمن فضائله : ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كانت الأنبياء عليهم السلام يدخلون الحرم مشاة حفاة وعنه أيضاً أنه قال : حج الحواريون فلما بلغوا الحرم ، مشوا تعظيماً له .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما عقر ثمود الناقة وأخذتهم الصيحة لم يبق منهم أحد إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله عز وجل فمنعه الحرم ، فقالوا : من هو يا رسول الله ؟ فقال : أبو رغال أبو ثقيف . فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه ^(١) . رواه مسلم .

ورغال - بالغين المعجمة - وقوله : أبو ثقيف يعني جدهم ، ونقل الزمخشري أن النبي صالحاً عليه السلام وجه أبا رغال على صدقات فأساء السيرة فقتله ثقيف ، وهو الذي يرمم قبره بمكة . وقيل : إنه دليل أبرهة إلى البيت . انتهى .

ويقال : إن قبره بالمغمس باق إلى الآن والله أعلم . وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة إذا أراد قضاء حاجته يخرج إلى المغمس .

ونقل عن الشيخ أبي عمرو الزُّجَاجِيّ أحد مشايخ الصوفية المشهورين ، أنه أقام أربعين سنة بمكة لم يبل ولم يتغوط في الحرم ^(٢) . وأما خصائص الحرم المطهر فتجل عن الحصر .

ومنها : أنه لا يدخله أحد إلا بإحرام . وهل ذلك واجب أو مستحب ؟ فيه خلاف بين الأئمة رضي الله عنهم . والوجوب مذهبنا .

ومنها : تحريم صيده على جميع الناس ، سواء في ذلك أهل الحرم وغيرهم وسواء

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١١٦ .

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ص ٤٣١ .

المحرم منهم والحلال. بل يجب عندنا إرسال صيد الحل إذا دخل الحرم لاستفادته الأمن بدخوله، وإن ذبح حرم أكله.

ومنها: تحريم قطع شجره وحشيشه كما تقدم في خطبة الفتح.

ومنها: أن من دان بغير دين الإسلام منع من دخوله مقيماً كان أو ماراً كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى وجمهور الفقهاء، ما عدا إمامنا أبا حنيفة رضي الله عنه ورحمه فإنه جوز ذلك لمن لم يستوطن.

ومنها: أن لقطته لا تحل لتملك، وإنما تحل لمنشد وهذا مذهب الشافعي رضي الله عنه وأرضاه وعند الأئمة الثلاثة أن حكم لقطه الحرم كغيره من البلاد. والمذهب عندنا أنها تحل للمعرف بعد سنة. والمراد بالمنشد عندنا: المعرف. وعند الشافعي المالك.

ومنها: تحريم دفن المشرك فيه ولو دفن ينش ما لم يعلم تفسخه.

ومنها: تغليظ الدية بالقتل فيه بزيادة ثلثها سواء كان القتل عمداً أو خطأ عند الشافعية والحنابلة كما نقله ابن جماعة في «منسكه». قال الفاسي: وفيما نقله عن الشافعية نظر، لأن الصحيح عندهم أن التغليظ باعتبار التثليث بأن يكون ثلاثين حقة وثلاثين جذعة وأربعين خلفه، وهذا لا يفهم مما نقله ابن جماعة^(١). والله أعلم.

ومنها: تحريم إخراج أحجاره وتراجه إلى الحل سواء قل أو كثر كما هو مذهب الشافعي وعندنا إنما يحرم إخراج الكثير من ذلك المؤدى إلى التخريب، وأما إخراج القدر اليسير للتبرك فلا بأس به. ويكره إدخال ذلك من الحل إليه لئلا يحدث لها حرمة لم تكن له.

ومنها: أن ذبح دماء الهدايا والجبرانات مختص به ولا يجوز في غيره.

ومنها: أن المتمتع والقارن إذا كانا من أهله لأدمَ عليهما عند مالك والشافعي وأكثر العلماء، لكونهما من حاضري المسجد الحرام، وهذا بناء على جواز ذلك من أهل الحرم خلافاً لمذهبنا.

ومنها: أن الصلاة النافلة التي لا سبب لها لا تكره في وقت من الأوقات سواء في ذلك مكة وسائر الحرم، بخلاف خارج الحرم فإنها هناك مكروهة وهو مذهب الشافعي، وخالف

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١١٢.

أصحابنا في ذلك وأطلقوا الكراهة . واستدل الشافعي رحمه الله بما رواه جبير بن مطعم عن النبي ﷺ أنه قال: يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحدا يصلى عند هذا البيت أية ساعة شاء من ليل أو نهار^(١) . أخرجه الدارقطني .

وجوز البيهقي في المراد بالصلاة احتمالين: أحدهما أن يكون المراد بالصلاة صلاة الطواف خاصة قال: وهو الأشبه بالآثار . والاحتمال الآخر أن يكون المراد جميع الصلوات . قال ابن جماعة: ولفظ حديث الدارقطني يرد الاحتمال الأول الذي ذكره البيهقي وفيه بعد . ومنع بعضهم الاستدلال بهذا الحديث لعموم النهي كما هو مذهبنا . ومذهب المالكية والله أعلم أنه أشبه بالآثار وتناول بعضهم الصلاة على الدعاء .

ومنها: أن الإنسان إذا نذر قصده لزمه الذهاب إليه بحج أو عمرة كما هو مذهب الشافعي والإمامين أبي يوسف ومحمد من أصحابنا ، بخلاف غيره من المساجد فإنه لا يجب الذهاب إليه إذا نذره إلا مسجد رسول الله ﷺ ، والمسجد الأقصى على الأصح عند النووي ، وفيه خلاف بين العلماء .

ومنها: تضعيف الأجر في الصلاة بمكة وكذا سائر الحرم كما رجحه جماعة من أهل العلم ، وحكم سائر أنواع الطاعات في التضعيف حكم الصلاة وستقف عليه قريباً إن شاء الله تعالى .

ومنها: إذا نذر أن ينحر بمكة لزمه النحر بها والتصدق باللحم على مساكين الحرم فقط عند الشافعي . وعندنا يجوز على غيرهم أيضاً ، وقد تقدم . ولو نذر ذلك في بلد آخر لم يصح نذره على الراجح .

ومنها: تضاعف السيئة به كما نقله المحب الطبري في «القرى» عن مجاهد وأحمد بن حنبل ، وكذلك نقل عن غيرهما من العلماء . والصحيح من مذاهب العلماء أن السيئة بالحرم كغيره .

ومنها: أن المقيم بالحرم لا يجوز له إحرام الحج إلا منه .

ومنها: أن المستحب لأهل مكة أن يصلوا العيد في المسجد الحرام لا في الصحراء

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١١٠ .

بخلاف غيرهم، وذلك لفضيلة البقعة ومشاهدة الكعبة. وذهب جماعة من العلماء منهم الغزالي إلى أن حكم المسجد الأقصى في ذلك كمسجد مكة. ومال النووي إلى خلاف ذلك. قال لم يتعرض الجمهور له وظاهر إطلاقهم أنه كغيره.

ومنها: أن الإنسان يؤخذ بهمه بالسيئة بالحرم وإن كان بعيدا عنه كما يروى من حديث عبد الله بن مسعود في قوله عز وجل ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ﴾ الآية، أنه قال: لو أن رجلا هم فيه بالحاد وهو بعدن آيين لأذاقه الله عز وجل عذابا أليما، ووجه اختصاص الحرم بهذا الحكم أن غيره من البلاد إذا هم الإنسان فيه بسيئة لا يؤخذ بها إلا إذا عملها كما هو موجب حديث ابن عباس رضي الله عنهما فيما يرويه عن ربه عز وجل في كتابة الحسنات والسيئات، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة، وهذا الحديث في الصحيحين وظاهره يقتضى عموم البلاد في حق هذا الحكم فيدخل الحرم في ذلك لكن حديث ابن مسعود المتقدم آنفا يخص الحرم والله أعلم.

ومنها: وجوب قصده في كل سنة على طائفة من الناس لإقامة فريضة الحج.

ومنها: اختصاص حمام مكة في الجزاء بشاة من غير حكم إذا أصيب في الحرم كما هو مذهب مالك والشافعي رحمهما الله تعالى.

ومنها: أن الجارح يتبع الصيد فإذا دخل الحرم تركه. كذا نقله ابن الحاج عن بعض المفسرين.

ومنها: أن أهل الحرم لا يقاتلون إذا بقوا فيه عند بعض العلماء لكن يضيق عليهم حتى يكفوا عن ذلك وقال القفال من الشافعية أنه يمتنع أيضا قتال الكفار بالحرم إذا تحصنوا فيه وهو مقتضى مذهب مالك رحمه الله نص عليه ابن الحاجب في مختصره وذهب أكثر العلماء إلى جواز قتال الكفار والبغاة بمكة تقديمًا لحق الله تعالى كما صححه النووي، وأجابوا عن الأحاديث الصحيحة الواردة في تحريم القتال بمكة بأن معناها تحريم نصب القتال عليهم بما يعم كالمجنين وشبهه إذا أمكن إصلاح الحال بدون ذلك، بخلاف ما إذا

تحصن كفار في بلد آخر، فإنه يجوز قتالهم على كل وجه بكل شيء. وذكر أن الشافعي رحمه الله نص عن هذا التأويل.

ومنها: عند إمامنا أبي حنيفة أن القاتل عمداً والزاني المحصن والحربي الذي بغير أمان إذا لجأوا إلى الحرم لا يقتل الأول، والثالث ولا يقام الحد على الثاني ما داموا في الحرم، بل يضيق عليهن حتى يخرجوا منه ويستوفى من كل ما وجب عليه. وهذا إحدى الروايتين عن الإمام أحمد ومذهب مالك والشافعي أن الحرم لا يمنع من استيفاء القصاص والحد.

ومنها: على ما قال ابن الصلاح من الشافعية لا يجوز أخذ شيء من مساويك الحرم. وذكر ابن الحاج من المالكية أنه يجوز.

ومنها: أن المستنجد بحجارة الحرم مسمىء ويجزئه ذلك قاله الماوردي.

ومنها: أنه لا يحل حمل السلاح بالحرم لغير ضرورة عند مالك والشافعي لما رواه جابر في الصحيحين.

ومنها: أن الله تبارك وتعالى أوجب على أهلها التوسعة على الحجيج إذا قدموا مكة وأن لا يأخذوا منهم أجرا على نزولهم في مساكنها كما هو مفهوم كلام ابن عساكر في فضل منى. وفي كلام السهيلي ما يقويه أيضاً.

ومنها: أنه يمتنع على المهاجر منها الإقامة بها إلا ثلاثة أيام بعد الصدر كما هو معنى ما رواه ابن الحزم عن النبي ﷺ.

ومنها: أن الطاعون والدجال لا يدخلان الحرم ولا المدينة الشريفة كما ذكره الحافظ عمر بن شبة في «أخبار مكة» واستدل بحديث ورد في ذلك نقله العلامة ابن حجر في فتح الباري. وذكر أن رجاله رجال الصحيح ثم قال: وعلى هذا فالذي نقل أنه وجد في سنة تسع وأربعين وسبعمئة ليس كما ظن من نقل ذلك أو يجاب إن تحقق ذلك بجواب القرطبي وهو أن لا يدخلها من الطاعون مثل الذي في غيرها كطاعون عمواس والجارف، وهو جواب صالح على تقدير النزول أن لو وقع شيء من ذلك بها. انتهى.

ومنها: أن سيل الحل لا يدخل الحرم وإنما يخرج من الحرم إلى الحل، وإذا انتهى سيل الحل إلى الحرم وقف.

ومنها: أيضاً خصال خمس تتعلق بمنى:

الأولى: أن حصى الجمار على كثرته وتزايدته فى كل عام يمتحق ويرى على قدر واحد وقد ورد أن ما تقبل رفع ولولا ذلك لصار ركاباً.

الثانية: أن اللحوم فى أيام متى تشرق وتوضع على الجدران وعلى صخرات الجبال وأسطحة البيوت وهى محروسة بحراسة الله تعالى من خطف الطيور، وقد شوهد أن الحداة إذا رأت شيئاً أحمر بيد إنسان أو على رأسه انقضت عليه لكى تخطفه وهى تحوم على تلك اللحوم لا تستطيع أن ترزأ منها شيئاً. وقيل: إنما سميت أيام التشريق لهذا المعنى.

الثالثة: أن الذباب فى أيام منى لا يقع على الطعام بل يؤكل العسل ونحوه فلا يقع فيه، بل قل أن يحوم عليه هذا مع كثرة العفونات الجالبة لكثرة الذباب فإذا انقضت تلك الأيام تهافت الذباب على ذلك حتى لا يطيب للطاعم طعام وفى ذلك عبرة.

الرابعة: اتساعها للحجيج. روى أبو الدرداء رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله إن أمر منى لعجيب هى ضيقة فإذا نزلها الناس اتسعت، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: إنما مثل منى كالرحم إذا حملت وسعها الله تعالى.

الخامس: أن البعوض تكون كثيرة بمنى فى طول السنة إلا فى أيام الموسم فإنها تقل فيها جداً. ذكره أبو سعيد فى «الوفا».

أقول: بل لعل البعوض لا يوجد فى أيام الموسم بمنى، وإن وجد القليل منه فلا يؤذى وقد جربت ذلك والله الموفق.

فصل

وأما المسجد الحرام فاعلم أن له أربعة استعمالات:

أحدها: نفس الكعبة لقوله تعالى: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

الثانى: الكعبة وما حولها من المسجد. قال النووى: وهو الغالب، واستدل له بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ إذ المراد به نفس المسجد فى قول أنس بن مالك رضي الله عنه ورجحه الطبرى. وفى الصحيح ما يقويه وعليه فهل كان الإسراء

من الحجر أو من الحطيم قولان، وقيل أسرى به من بيت أم هانئ. وقيل من شعب أبي طالب فيكون المراد على هذا في هذه الآية مكة كما في القول الآتي.

قال ابن المنير: وهذه الآية لا تنافى شيئاً من هذه الروايات الأربع، لأن المسجد الحرام مكة بل الحرم بجملته وهذه البقاع كلها داخلة في اللفظ. انتهى.

الثالث: جميع مكة لقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ (سورة الفتح: ٢٧) قال ابن عطية: وأعظم القصد هنا مكة.

الرابع: جميع الحرم الذي يحرم صيده ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (سورة التوبة: ٧) وعهدهم إنما كان بالحديبية، وهي من الحرم وكذا قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ (سورة التوبة: ٢٨) وقوله كذلك: ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (سورة البقرة: ١٩٦) قال ابن عباس: إنه جميع الحرم. قال الماوردي: حيث ذكر الله المسجد الحرام في كتابه فالمراد به الحرم إلا في قوله تعالى: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (سورة البقرة: ١٤٤) فإن المراد به الكعبة شرفها الله تعالى.

استطراد مفيد

في الكلام على تعيين ليلة الإسراء^(١) ويومها الذي أسفرت عنه

ومكانه من العشر ومكان العشر من الشهر ومكان الشهر

من السنة ومكانها من السنين لأن الشيء بالشيء يذكر

وحيث ذكرت آية الإسراء رأيت أن أذكر ما يتعلق

بتاريخ الإسراء لما فيه من زيادة الفائدة مع بيان ما هو

المعتمد والمرجع فأقول

اعلم أن للعلماء في تعيين ليلة الإسراء أقوالاً كثيرة، فقليل: إنه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة قاله إبراهيم الحربي ورجحه ابن المنير كما ستقف عليه قريباً.

(١) تناولت كتب السيرة والتاريخ والتفسير موضوع الإسراء بشيء من التفصيل.

وقيل بعد السبعث بخمس سنين وقيل بعده بخمسة عشر شهرا. وقال ابن إسحاق: أسرى به ﷺ وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل. وقيل ليلة سبع وعشرين في رجب قاله الغزالي في الإحياء. وقال الحافظ مغلطاي بعد ذكر مقالة الحربى. وقيل في رجب إجمالا من غير تعيين وقيل غير ذلك. وفي مسلم في طريق شريك أنه قبل أن يوحى إليه.

قال العلامة المحقق المجتهد ناصر الدين أحمد بن المنير المالكي رحمه الله: ولا يصح هذا بوجه إلا على القول بأنه منام كما وقع لعائشة رضي الله عنها أنها قالت: إنه كان بالمدينة بعد الهجرة وأنه منام. وأصحها عندي ما قاله إبراهيم الحربى وقال ورجح القاضى عياض قول من قال إنه قبل الهجرة بخمس سنين. وقول ابن إسحاق على القول بأنه قبل الهجرة بسنة، وضعف هذا القول بأن خديجة صلت معه قبل أن تموت بلا خلاف بين أهل السير مضافا إلى أن خديجة رضي الله عنها ماتت قبل الهجرة بمدة أقل ما قيل فيها ثلاث سنين، ومضافا إلى أن الصلاة لم تفرض إلا في الإسراء.

وهذا عندي لا يلزم منه تخطئة القول بأنه قبل الهجرة بسنة لأن الصلاة التي صلتها خديجة معه ﷺ هي التي كان يصليها ﷺ قبل الإسراء غير محدودة ولا معدودة بعدد المكتوبات المستقرة، ألا ترى أن مسلما ذكر في حديث ابن حماد أنه صلى الله عليه وسلم صلى بيت المقدس ركعتين قبل أن يعرج إلى السماء، فدل أن الصلاة كانت مشروعة في الجملة وقد كان قيام الليل واجبا عليه صلى الله عليه وسلم باتفاق بل كانت الصلاة مشروعة في الملل السالفة لكن على غير هذا التحديد.

فظهر أن لا حجة في ذلك على القائل بما اخترناه، ثم الحجة لنا في ترجيحه أن كل قول سواه خرج مخرج التقدير لا التحديد، لأنه لم يعين فيه الشهر فضلا عن اليوم. وأما قول الحربى فإنه عين فيه الليلة بعينها من الشهر بعينه من السنة بعينها كما تقدم. وإذا تعارض خبران أحدهما أحاط راويه بتفصيل في القضية زائد على الإجمال الذي في غيره فالمحيط علما بالتفصيل أحضر ذهنًا وأوعى قلبًا من الآخر.

فإن قلت: هل يمكن تعيين اليوم الذي أسفرت عنه تلك الليلة بعينه من أيام الجمعة؟ قلت: يمكن ذلك بعون الله ويكون يوم الاثنين إن شاء الله تعالى، وذلك أنني استقرأته من

تاريخ الهجرة، وأصح قول فيها أنها كانت يوم الاثنين وثاني عشر شهر ربيع الأول أعني وصوله ﷺ إلى المدينة قبل ضحى، وقيل عند استواء الشمس وإذا كان الثاني عشر من الشهر الاثنين كان أوله الخميس قطعاً وإذا كان أوله الخميس كان أول شهر ربيع الأول من السنة التي فيها الإسراء: إما السبت أو الأحد أو الاثنين لأن بين كل يومين متقابلين من ستين متواليين إما ثلاثة أو أربعة أو خمسة، ولهذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم من الوقفة التي قبلها أو رابعه أو سادسه.

وأعدل الاحتمالات الخامس، فالجمعة تعقبها الثلاثاء والاثنين تعقبها الجمعة، وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب توالي التمامات في الشهور أو النقصانات فبنى من هذه الاحتمالات الثلاثة على الأقل، فيكون أول ربيع الأول من سنة الإسراء الاثنين، ويكون أول ربيع الآخر وهو شهر الإسراء الأربعاء لأننا فرضنا ربيعاً الأول تاماً وإذا كان أول شهر الإسراء كان السابع والعشرين منه يوم الاثنين وهو يوم الاثنين إن شاء الله تعالى الذي أسفرت عنه ليلة الإسراء.

وإنما رجحنا تمام الشهر ليوافق كون المولد يوم الاثنين، وكون المبعث يوم الاثنين، وكون الهجرة يوم الاثنين، وكون الوفاة كذلك. فإن هذه أطوار الانتقالات النبوية وجوداً ونبوة وهجرة ومراجة ووفاة، فهذه خمسة أطوار اتفقوا على أربعة منها أنها يوم الاثنين فيقرب جدا أن يكون الخامس أسوتها، ويكون هذه اليوم في حقه ﷺ كيوم الجمعة في حق آدم عليه السلام فيه خلق وفيه نزل إلى الأرض وفيه تيب عليه وفيه مات، وهذا نظر صحيح لا يحتاج إلا توفيقاً من القائل وإنصافاً من السامع. وقد تلج به الصدر إن شاء الله تعالى.

ويجوز أن تبنى أيضاً أن بين اليومين أربعة فيكون أول شهر ربيع الأول من سنة الإسراء الأحد، وأول شهر ربيع الآخر الثلاثاء فيكون السابع والعشرون منه الأحد، فوقع الإسراء في الليلة التي بين الأحد والاثنين على القول بأن الليلة تتبع اليوم الذي قبلها، فيصح أنها الليلة التي كان يسفر صباحها عن يوم الاثنين فاستقر على الاحتمالين تعلق الإسراء بيوم الاثنين.

ويدل على أن الليلة تتبع اليوم الذى قبلها أن ليلة عرفة هى التى بعد يوم عرفة ولهذا يجرى الوقوف فيها إلى طلوع الفجر ولا يجرى فى الليلة التى قبلها بالإجماع، وقد ورد أن الإسراء كان ليلة الجمعة وهذا نقل محض يطلب فيه الصحة ولم يعضد بأصول تقربه من الحق بخلاف ما قدمناه، فقد بينا الأصول التى تقتضيه نقلاً واستنباطاً.

وأمكن عندى على القول الذى اخترناه أن يكون ليلة الجمعة، وذلك بأن نفرض بين اليومين المتقابلين خمسة أيام فىكون الثانى سادس الأول. وقد اتفق هذا العام أن كانت الوقفة الأربعاء والوقفة التى قبلها الجمعة، فجاءت هذه سادس تلك، وإنما قلنا إنها ليلة الجمعة على هذا التقدير لأنه قد استقر أن ربيعاً الأول سنة الهجرة كان أوله الخميس ونفرضه ناقصاً ليكون ربيع الآخر من سنة الهجرة الجمعة، فىكون أول ربيع الآخر من السنة التى قبلها وهى سنة الإسراء الأحد، فىكون السابع والعشرون منه الجمعة، وهى ليلة الإسراء وهو لائق بالإسراء لأجل فضيلة ليلة الجمعة.

(تنكىت لطيف) يرجع ما قاله الحربى وذلك أن ليلة سبع وعشرين تضاهى فى العدد أقعد الليالى بليلة القدر، وهى ليلة سبع وعشرين من رمضان.

(تنكىت الطف من الأول) اعتبرت هذه الليالى الثلاث الفاضلات: ليلة نصف شعبان، وليلة سبع وعشرين من رمضان وهى ليلة القدر وليلة عرفة. فوجدتها لا تزال متواخية إن كانت واحدة منها الجمعة كان الكل الجمعة وكذلك غير الجمعة من الأيام، وإن لم توافق ليلة عرفة الليلتين المذكورتين فلا بد أن يوافقهما يوم التروية. انتهى ما قاله ابن المير باختصار، فرحمه الله من إمام محقق حرى أن يكتب كلامه بماء الذهب والله أعلم.

استطراد ثان

(فى الكلام على متن حديث الإسراء)

استحسن الإتيان به عقب آية الإسراء للمناسبة ولما سأذكره
بعد من فوائد جليلة يعز وجودها ترجع إلى الحديث المذكور،
وأولى ما يعتمد عليه حديث ثابت البناني عن أنس لأنه سالم مما
وقع فى ظاهر حديث غيره من التعارض فرأيت أن أذكره
أولا باختصار ليكون أصلاً، ثم أذكر ما سواه مما ورد من الطرق

تبعاً له باختصار أيضاً فأقول

روى مسلم فى «صحيحه»^(١) عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس رضي الله عنه،
أن رسول الله ﷺ قال: أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل،
يضع حافره عند منتهى طرفه. قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى
تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه
السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة^(٢).

ثم عرج^(٣) بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن
معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه.

ففتح لنا فإذا أنا بآدم عليه السلام فرحب بي ودعأ لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء
الثانية فاستفتح جبريل كما تقدم وقيل له كما تقدم، ففتح لهما فوجد رسول الله ﷺ ابني
الخاله عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا، فرحبا به ﷺ ودعوا له بخير.

ثم عرج كذلك إلى السماء الثالثة وقيل كما تقدم، فوجد ﷺ فيها يوسف عليه

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ج ١
ص ١٥٣.

(٢) الفطرة: الإسلام والاستقامة. (٣) عرج: أى صعد.

السلام وقد أُعطيَ شَطْرَ الحُسْنِ، فرحب به ﷺ ودعا له بخير. ثم عرجَ كذلك إلى السماء الرابعة وقيل كما تقدم، فوجد ﷺ فيها إدريس عليه السلام فرحب به ودعا له بخير. ثم عرج كذلك إلى السماء الخامسة فوجد فيها هارون فرحب به ودعا له بخير. ثم عرج كذلك إلى السماء السادسة فوجد فيها موسى عليه السلام فرحب به ودعا له بخير. ثم عرج به كذلك إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل كما سبق وقيل له كما سبق وفتح لهما كما تقدم.

فراى ﷺ إبراهيم عليه السلام مُسْنَدًا ظهره إلى البيت المعمور. ثم ذهب به إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى^(١) فأوحى الله تعالى إليه ما أوحى، ففرض عليه خمسين صلاة، ثم أرصده موسى عليه السلام إلى الرجوع إلى ربه ولم يزل ﷺ يرجع بين موسى وربه إلى أن استقر الأمر على خمس صلوات كل يوم وليلة.

وأخرج مسلم^(٢) أيضًا عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرجه ثم استخرج منه علقة وقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طستٍ من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه^(٣) ثم أعاده إلى مكانه.

(وفى طريق) بينا أنا فى المسجد الحرام. (وفى طريق) وأنا نائم. (وفى طريق) أنه كان بالحطيم بين النائم واليقظان. (وفى طريق) أنه أسرى به من بيت أم هانئ كما علمته آنفًا. (وفى طريق) فرج سقف بيتى فنزل جبريل ففرج صدرى. (وفى بعض طرق الاسراء) وذلك قبل أن يوحى إليه. وفيما تقدم عن ثابت كما رأيت أنه أتى باللبن والخمر تـجـبل العروج. (وفى بعض الطرق) أنه أتى بهما فى المـلأ الأعلى. (وفى طريق) أنه انتهى إلى سدرة المنتهى ثم إلى المستوى ثم فارقه جبريل. (وفى طريق) فرج بى فى النور وقال هانت وربك. وفى حديث ثابت، كما تقدم، أنه ﷺ صلى فى بيت المقدس قبل العروج. (وفى بعض الطرق) أنه صلى بالأنبياء فى السموات. (وفى طريق) فلم نزل على ظهره - يعنى البراق - أنا وجبريل. (وفى طريق) أنه استصعب البراق فقال له جبريل عليه

(١) سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهى إليها، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ.

(٢) كتاب الإيمان ج ١ ص ١٥٥.

(٣) لأمه: جمعه وضم بعضه إلى بعض.

السلام: أبعلم تستصعب؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه فافرض عرفاً. (وفى بعض الطرق) أنه رأى المعراج بصورة السلم كأحسن ما رأى. (وفى طريق) فانتهيت إلى سدرة المنتهى فغشيها ملائكة كأنهم جراد من ذهب فرأيت جبريل يتضاءل كالصعوة فتخلف وقال: وما منا إلا له مقام معلوم، فجاوزت سبعين حجاباً، ثم احتملني الرفرف إلى العرش فنوديت حتى ربك، فقلت: سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك إلى آخر ما هو مستوفى في محله، كإنكار قريش الإسراء، واستيضافهم بيت المقدس من النبي ﷺ فرفعه الله له فرصه وذكر لهم قضية لقيه العبر قاصدين مكة وشربه ما كان في القدح من الماء إلى غير ذلك فكان كل ذلك حقاً وصدقاً كما قال تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ﷺ وشرف وكرم والله أعلم.

فوائد: تتعلق بحديث الإسراء وفواضله وأسراره وفضائله:

الأولى: يؤخذ من قوله تعالى ﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ ما لا يؤخذ أن لو قيل بعث إلى عبده، لأن الباء تفيد المصاحبة أي صحبه في سراه بالألطف والعناية ويشهد لذلك قوله ﷺ: أنت الصاحب في السفر، وبنى على هذا من الفروع الفقهية أن من قال: لله على أن أحج بفلان يلزمه أن يحج معه، بخلاف ما لو قال: لله على أن أحج فلانا فإنما يلزمه أن يجهزه للحج من ماله، ولا يلزم الناذر أن يحج بنفسه، والفرق ما تعطيه الباء من المصاحبة.

الثانية: تخصيص الإسراء بالليل فيه من التعظيم ما لا يخفى لأنه وقت خلوة واختصاص عرفاً. وبين جليس الملك ليلاً وجليسه نهاراً فرق ظاهر والخصوصية بالليل.

الثالثة: لعل تخصيص ذلك بالليل ليزداد الذين آمنوا إيماناً بالغيب وليفتن بالذين كفروا زيادة على فتنتهم، إذ الليل أخفى حالاً من النهار ولعله لو عرج به نهار لفات المؤمن فضيلة الإيمان بالغيب ولم يحصل ما قدر من الفتنة على من شقى وجحد.

الرابعة: إن قيل ما وجه استصعاب البراق عليه ﷺ بعد التسخير؟ أجيب بأن ذلك تنبيه على أنه لم يدل قبل ذلك ولم يركبه أحد. وفي هذه النكتة خلاف، فمنهم من قال: ركبه الأنبياء قبل ذلك ومنهم من قال: لم يركبه أحد قبله. وحجة القائلين بركوبه قبل ذلك قول جبريل: فما ركبك أحد أكرم على الله منه، ويمكن الاحتجاج أيضاً بقوله فربطته

بالحلقة التي يربط بها الأنبياء . وأجيب عن الأول بأن معنى قول جبريل فما ركبك أحد البتة فكيف يركبك أكرم من محمد . ويمكن أن يجاب عن الثاني بأنه ليس في الحديث فربطته بالحلقة التي تربطه بها الأنبياء ، وإنما قال يربط بها الأنبياء وسكت عن ذكر المربوط ما هو فيحتمل أن يكون غير البراق . ويحتمل أن يراد ارتباط الأنبياء أنفسهم بتلك الحلقة أي تمسكهم بها ويكون من جنس العروة الوثقى .

الخامسة: يحتمل أن يكون استصعابه تيهها وزهوا بركوب النبي ﷺ ، وأراد جبريل بقوله أيمحمد تستصعب ، استنطاقه بلسان الحال أنه لم يقصد الصعوبة وإنما تاه ولهذا قال : فرفض عرقا ، فكأنه أجاب بلسان الحال فقبلاً من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب .

السادسة: إن قيل كان في قدرة الله تعالى أن يرفع نبيه بدون البراق خرقاً للعادة ، أجيب بأن في صورة الركوب على المركوب المعتاد تأنيباً في هذا المقام العظيم بطرف من العادة .

السابعة: لعل في الإسراء بالبراق إظهاراً للكرامة العرفية فإن الملك العظيم إذا استدعى خصيصاً به بعث إليه بمركوب منى ليصل عليه .

الثامنة: كون البراق بشكل البغل ولم يكن بشكل الفرس فيه تنبيه على أن المراد في سلم وأمن لا حرب وخوف ، أو لإظهار الآية في الإسراع العجيب من دابة ما توصف بالإسراع كما في الحديث يضع حافره عند منتهى طرفه ، أي يقطع ما انتهى إليه بصره في خطوة واحدة فعلى هذا يكون قطع من الأرض إلى السماء في خطوة واحدة لأن بصر من يكون في الأرض يقع على السماء فبلغ أعلى السموات في سبع خطوات .

التاسعة: لقائل أن يقول قد ركب النبي ﷺ بغلته في الحرب يوم حنين ، أجيب بأن ذلك كان لتحقق نبوته ﷺ في مواطن الحرب ولما خصه الله به من مزيد الشجاعة ، وإلا فمعلوم أن البغال عادة من مراكب الظمائية . وليعلم أن الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس .

العاشر: اختلف العلماء هل ركب جبريل عليه السلام مع النبي ﷺ على البراق أم لا؟ فقال بعضهم: ركب معه بظاهر قوله ﷺ : فما زلت على ظهره أنا وجبريل . قال ابن المنير رحمه الله: والأظهر عندي أنه ﷺ اختص بالركوب لأنه المخصوص بشرف

الإسراء . وفي قول جبريل أيضا أبعثتك فما ركبتك أكرم على الله منه ، دليل على اختصاصه ﷺ بركوبه ، وإنما كان جبريل هاهنا معه رسول بلاغ ودليل طريق ومستدعي حبيب . وقوله ﷺ : ما زلت على ظهره أنا وجبريل ، يسحمله قوله : وجبريل على أنه استئناف كلام كأنه قال وجبريل سائر معي ونحوه ولا يريد راكبا معي على البراق ، لأنه ليس في الكلام ما يعين ذلك .

الفائدة الحادية عشرة: دل قوله ﷺ : فصلت بيت المقدس ركعتين ، على أن الصلاة لم تنزل معهودة قبل أن تفرض ومعدودة مثني مثني ، وفرضت كذلك على ما عهدت كما قالت عائشة رضي الله عنها : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، فأقرت صلاة السفر وزيد صلاة الحضر .

الثانية عشرة: إن قيل ما الحكمة في نزول جبريل عليه السلام من سقف البيت ولم يدخل عليه من الباب مع قوله ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ ؟ الجواب : أن الحكمة في ذلك المبالغة في المفاجأة والتنبيه على الكرامة والاستدعاء كان بديها على غير ميعاد .

الثالثة عشرة: يحتمل أن يكون فرج السقف توطئة وتمهيدا للفرج عن الصدر ، فأراه جبريل بإخراجه عن السقف ثم التثامه على الفور كيفية ما يصنع به ، وقرب له الأمر في نفسه بالمثال المشاهد في بيته لطفًا في حقه وتثبيتًا لقلبه .

الرابعة عشرة: السر في العناية بتطهير القلب وإفراغ الإيمان والحكمة فيه تحقق مذهب أهل السنة في أن محل العقل ونحوه من أسباب الإدراكات كالنظر والفكر ، إنما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة .

الخامسة عشرة: إنما خص الطست بالغسل فيه دون بقية الأواني لأنه آلة للغسل عرفا ، وإنما كان من ذهب لأنه أعلى أواني الجنة ولأنه رأس الأئمان فهو إذا أصل الدنيا والإيمان أصل الدين ، فوقع التنبيه على أن أصل الدنيا آلة لأصل الدين وخدام له ووسيلة إليه .

السادسة عشرة: استدل بعض أصحاب مالك على جواز تحلية ما يعظم شرعا بالذهب كالمصحف أو ما هو آلة لطاعة كالسيف الذي هو آلة للجهاد بحديث الإسراء واستعماله طست الذهب .

السابعة عشرة: يرد على ذلك بأن الذي اختص بالنبي ﷺ من طست الذهب إنما هو تفرغ ما فيه من الإيمان والحكمة في قلبه ﷺ، والتفرغ ترك لا فعل، ولا خلاف أن آنية الذهب إذا حصل فيها طعام له حرمة شرعية، كان تفرغ ذلك منها مشروعاً بخلاف وضعه فيها، ولا يعد التفرغ استعمالاً. ويتقرر هذا الفقه بحكاية لطيفة وهي أن الحسن البصرى وفرقداً السبخي اجتمعا في وليمة دعيا إليها، وكان الحسن عالماً وفرقداً عابداً، وكان في الوليمة صحاف من الذهب والفضة قد جعل فيها الخبيص، فأما الحسن فإنه جلس على الطعام وصار يأخذ الخبيص ويفرغه من الصحفة ويضعه على الخبز ويأكل. وأما فرقداً فاعتزل ولم يأكل فالتفت إليه الحسن وقال: يا فريقداً، هلاً صنعت هكذا؟ فرأى الحسن أن التفرغ ليس استعمالاً بل تركاً وإزالة للمنكر، فاجتمع له بفقهاء إقامة سنة الوليمة بالأكل وجبر قلب الداعي وإزالة المنكر وتعليم الأحكام الخفية، ولهذا قال يا فريقداً، فصغر اسمه في النداء تعريضاً له بالإنكار إذ تصرف في الترك بغير اقتداء وكان عليه أن يسأل كيف يصنع ليسلم مما وقع فيه من فوات المقاصد التي اجتمعت للحسن رضي الله عنه. وينبني على هذا من الفروع الفقهية أن من كان في رمضان أو أراد الصيام في غيره وطلع عليه الفجر وهو أكل فعلم بذلك وألقى الطعام من فيه لا شيء عليه، فهذا من جنس كون التفرغ ليس استعمالاً ولا إشكال في ذلك.

الثامنة عشرة: لقائل أن يقول لا يتم الاستدلال على جواز استعمال الذهب بحديث الإسراء، لأن العادة انخرقت فيه من حيث ما وعى فيه من الإيمان ومن أنه من الكون أو من الجنة، وإذا انخرقت العادة تغيرت الأحكام المنوطة بها.

التاسعة عشرة: يحتاج المستدل على استعمال الذهب لحديث الإسراء أن يثبت أنه كان بعد تحريم استعمال الذهب، ولا يقدر على ذلك، فإن النبي ﷺ تختم بالذهب ثم ألقى الخاتم فألقى الناس خواتمهم، وما كان النسخ والتحريم إلا بالمدينة. وقد تقدم أن الإسراء متقدم على الهجرة على المختار.

الفائدة العشرون: تقدم في حديث ثابت أنه ﷺ قدم له الأنية، قبل العروج، وفي طريق آخر أنه بعد العروج فيجمع بينهما ويكون التقديم مرتين ويكون تكرار جبريل عليه السلام للتصويب، حيث اختار اللبن تأكيداً للتحذير مما سواه.

الحادية والعشرون: إن قيل ما المراد بالفطرة في قول جبريل اخترت الفطرة؟ فاعلم أن الفطرة تطلق تارة، ويراد بها الإسلام، وتطلق تارة على أصل الخلقة، فمن المعنى الأول: قوله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه. ومن المعنى الثانى قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى مبتدئ خلقهما، فقول جبريل: اخترت الفطرة أى اخترت اللبن الذى عليه تثبت الخلقة، وهى نبت اللحم ونشر العظم.

أقول: فيكون من باب ذكر المسبب وإرادة السبب فتأمل انتهى. أو اخترته لأنه الحلال المستمر فى دين الإسلام، وأما الخمر فحرام فيما يستقر عليه الأمر.

الثانية والعشرون: يحتمل أن يكون فى تقديم إناء اللبن إشارة إلى أنه شعار العلم فى التعبير، كما ورد أنه ﷺ قال: أريت كائى آيت بقدرح من لبن فشربت حتى أرى الرى يخرج من أظفارى، ثم ناولت فضلى عمر. فقالوا: يا رسول الله، ما أولته؟ قال: العلم. والإسراء وإن كان يقظة إلا أنه ربما وقعت فى اليقظة إشارات على حكم القائل تعبر كما يعبر المنام.

الثالثة والعشرون: فى استفتاح جبريل عليه السلام لأبواب السماء دليل على أنه صادق أبوابها مغلقة، مع أنه ﷺ كان قد استدعى، فعمل والله أعلم الحكمة فى ذلك التنويه بقدره، وأن السموات لم تفتح أبوابها إلا من أجله ولو صادفها مفتوحة لم يتحرر أنها فتحت من أجله ولا بد.

الرابعة والعشرون: ينبغى للمستأذن إذا قيل له من هذا، أن لا يقول أنا، فإن جبريل لم يقل أنا عند الاستفتاح ثم وإنما سمي نفسه، وقد أنكر النبى ﷺ على الذى استأذن عليه، فقال ﷺ من هذا، فقال أنا، فجعل النبى ﷺ يكرر لفظة أنا إنكاراً.

الخامسة والعشرون: إنما كرهت هذه الكلمة لوجهين:

أحدهما: أن فيها إشعاراً بالعظمة، وفى الكلام السائر أن أول من قال أنا إبليس. فشقى حيث قال أنا خير منه، ثم فرعون فتعس حيث قال أنا ربكم الأعلى.

الثانى: أنها مبهمة لافتقار الضمير إلى العود فهى غير كافية فى البيان.

فإن قيل: قد اتفق النحاة على أن المضمرة أعرف المعارف وأعرفها أنا. فهذه الكلمة في الغاية القصوى في التعريف، فكيف كان العلم أعرف منها، وإنما اختلف النحاة في اسم الإشارة والعلم لا في المضمرة. فالجواب أن المضمرة إذا عاد وتعين مظهره فهو أعرف المعارف حيثئذ، والمستأذن محجوب عن المستأذن عليه غير متعين عنده فكأنه أحاله على جهالة.

(حكاية لطيفة استطرادية): تنبه على رعاية الأدب مع الله تعالى جل وعلا: حكى أن سيويه رحمه الله رثى في المنام بعد وفاته، فقيل له ماذا لقيت؟ فقال خيرا كثيرا، فقال له بماذا؟ فقال: سئلت في الدنيا عن أعرف المعارف، فقلت اسم الله عز وجل فشكر الله لى ذلك.

السادسة والعشرون: قول الخازن لجبريل، ومن معك؟ قال: محمد، فيه دليل على أن الإذن لواحد لا يتناول غيره، وإن كان في صحبته ولهذا استفهم الخازن حتى يكون لمن معه إذن مستقل، وهو عرف الناس إذا أذن لأحد وكان في صحبته غيره أن يقول ومن معي، فيستأنف الاستئذان لمن معه، وقونه وقد بعث إليه؟ أراد به الاستفهام فحذفت الهمزة للعلم بها، وأصل الكلام أوقد بعث إليه. والنحاة يمنعون حذف الهمزة فيحمل كلامهم على المنع حيث لا دليل على المحذوف، وإلا فالحديث حجة عليهم.

السابعة والعشرون: لم يرد الخازن بقوله وقد بعث إليه أصل الرسالة، فإن الظاهر أنه كان معلوما عندهم، وإنما أراد البعث للمعراج.

الثامنة والعشرون: موقع قول الخازن أوقد بعث إليه، استنطاق جبريل بالسبب الموجب للإذن والفتح، لأنه مجرد قول جبريل عليه السلام معي محمد لا يوجب الإذن إلا بواسطة البعث من صاحب الإذن جل وعلا.

التاسعة والعشرون: إن قيل: لم لم يخاطبه الخازن بصيغة الخطاب فيقول مرحبا بك، وإنما أورد التحية بصيغة الغيبة؟ أجيب بأنه حياه قبل أن يفتح الباب وقبل أن يصدر من النبي ﷺ خطاب، ولهذا قال الخازن لجبريل: ومن معك بصيغة الخطاب، لأن جبريل خاطب الملك فارتفع حكم الغيبة بالتخاطب من الجانبين.

الفائدة الثلاثون: يجوز أن يكون حياه بغير صيغة الخطاب تعظيماً له، لأن هاء الغيبة ربما كانت أفخم من كاف الخطاب. والله أعلم.

انتهت الفوائد ملخصة بعضها باللفظ وبعضها بالمعنى من إملاء العلامة ابن المنير رحمه الله، والله أعلم.

عدنا إلى المقصود: اعلم أن الله تبارك وتعالى قد ذكر المسجد الحرام في كتابه العزيز في نحو خمسة عشر موضعاً فإذا تقرر هذا فقد اختلف في المراد بالمسجد الحرام الذي تتعلق به المضاعفة في قوله عليه السلام في حديث ابن الزبير السابق، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدى. فقيل: جميع بقاع الحرم وقيل: المراد الكعبة وما في الحجر من البيت ويؤيده ما أخرجه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه: صلاة في مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا الكعبة. وقيل المراد الكعبة وما حولها من المسجد وجزم به النووي، وقال إنه الظاهر. وقيل: المكان الذي يحرم على الجنب المكث فيه. ونقل عن الإمام تقي الدين ابن أبي الصيف اليمنى أن المضاعفة تختص بالمسجد المعد للطواف لأنه المنصرف عند الإطلاق في العرف، قال: ولا يضر رواية الكعبة. ولهذا قال الغزالي: لو نذر صلاة في الكعبة فصلى في أرجاء المسجد جار. انتهى.

ورجح الطبري رحمه الله أن المضاعفة مختصة بمسجد الجماعة وقال: إنه يتأيد بقوله عليه السلام: مسجدى هذا، لأن الإشارة فيه إلى مسجد الجماعة، فينبغى أن يكون المسثنى كذلك، فإنه قيل قد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن حسنات الحرم كلها حسنة بمائة ألف، فعلى هذا يكون المراد بالمسجد الحرام في حديث الاستثناء الحرم كله.

قلنا نقول بموجب حديث ابن عباس أن حسنة الحرم مطلقاً بمائة ألف، لكن الصلاة في مسجد الجماعة تزيد على ذلك، ولهذا قال: بمائة صلاة في مسجدى ولم يقل حسنة، وصلاة في مسجده بألف صلاة كل صلاة بعشر حسنات، فتكون الصلاة في مسجده عليه السلام بعشرة آلاف حسنة، وتكون في المسجد الحرام بألف ألف حسنة، وعلى هذا يكون حسنة الحرم بمائة ألف وحسنة المسجد الحرام بألف ألف ويلحق بعض الحسنات ببعض أو يكون ذلك مختصاً بالصلاة الخاصة فيها. والله أعلم. انتهى بنصه.

قال الجد رحمه الله: وحاصل هذه العبارات مع اختلافها يرجع إلى ترجيح هذا القول. ثم قال: وهذا التضعيف يحصل بصلاة المنفرد وتزيد الحسنات بصلاة المكتوبة في جماعة على ما جاء أنها تعدل سبعا وعشرين درجة، وهذا فيما يرجع إلى الثواب ولا يتعدى ذلك إلى الإجزاء عن الفوائت حتى لو كان عليه صلاتان فصلى في المسجد الحرام صلاة لم تجزئه عنهما وهذا لا خلاف فيه. انتهى.

وقد اختلف العلماء في هذا الفضل، هل يعم الفرض والنفل أو يختص بالفرض؟ فمذهبنا ومشهور مذهب مالك أنه يختص بالفرض، والتعميم مذهب الشافعي رحمته الله كما صرح به النووي رحمه الله تعالى.

فإن قيل لا عموم في لفظ الحديث لما أنه نكرة في سياق الإثبات ويؤيده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة، أجيب بأنه وإن كان نكرة في سياق الإثبات فهو عام لأنه في معرض الامتتان.

قال الجد رحمه الله: فإن قيل كيف يقال إن المضاعفة تعم الفرض والنفل وقد تطابقت نصوص الأصحاب ونص الحديث على أن فعل النافلة في بيت الإنسان أفضل إلا ما استثنى كالعيد وركعتي الطواف؟ فالجواب ما قيل لا يلزم من المضاعفة في المسجد أن يكون أفضل من البيت إذ فضيلة المسجد المذكور من حيث التضعيف، وفضيلتها في البيت من حيثية أخرى تربو على التضعيف. انتهى.

أقول: هذا التفضيل بالنسبة إلى الرجال، وأما الإناث فالصلاة في البيت مطلقاً لهن أفضل لا سيما في هذا الزمان لكثرة الفساد سواء كانت المرأة عجوراً أم شابة.

ونقل الشيخ ولي الدين العراقي في شرح تقريب الأسانيد أن التضعيف في المسجد الحرام لا يختص بالمسجد الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، بل يشمل جميع ما زيد فيه لأن المسجد الحرام يعم الكل. بل المشهور عند أصحابنا أن التضعيف يعم جميع مكة بل جميع الحرم الذي يحرم صيده كما صححه النووي.

وأما المدينة فيختص بالتضعيف بالمسجد الذي كان في زمنه صلى الله عليه وسلم، ثم قال: لكن يشكل على هذا ما في تاريخ المدينة أن عمر رضي الله عنه لما فرغ من الزيادة في مسجد النبي

ﷺ قال: لو انتهى إلى الجبانة لكان الكل مسجد رسول الله ﷺ وفي رواية أخرى: لو مد إلى ذى الحليفة لكان منه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو زيد في هذا المسجد ما زيد لكان الكل مسجدي. وفي رواية أخرى أو بنى إلى صنعاء، وفي أخرى ما زيد في مسجدي فهو منه ولو بلغ ما بلغ. فإن صح ذلك فهو بشرى حسنة انتهى باختصار.

فائدتان:

الأولى: قد حسب النقاش المفسر فضل الصلاة في المسجد الحرام على مقتضى حديث تفضيل الصلاة فيه على غيره بمائة ألف، فبلغت صلاة واحدة في المسجد الحرام عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة. وصلاة يوم وليلة، وهي خمس صلوات في المسجد الحرام عمر مائتي سنة وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليالٍ^(١). انتهى كلامه.

الثانية: قال الشيخ بدر الدين ابن الصاحب الإشاري: إن كل صلاة في المسجد الحرام فرادى بمائة ألف صلاة كما ورد في الحديث، وكل صلاة فيه جماعة بألفي ألف صلاة وسبعمائة ألف صلاة، والصلوات الخمس فيه بثلاثة عشر ألف ألف صلاة وخمسمائة صلاة، وصلاة الرجل منفرداً في وطنه غير المسجدين المعظمين، كل مائة سنة بمائة ألف وثمانين ألف صلاة، وكل ألف سنة بألف ألف صلاة وثمانى مائة ألف^(٢).

فتلخص من هذا أن صلاة واحدة في المسجد الحرام جماعة يُفضّل ثوابها على ثواب من صلى في بلدة فرادى، حتى بلغ عمر نوح النبي عليه السلام بنحو الضعف، وسلام على نوح في العالمين. وهذه فائدة تساوي رحلة^(٣) ثم قال: هذا إذا لم يُضف إلى ذلك شيئاً آخر من أنواع العبادات، فإن صام يوماً وصلى الصلوات الخمس جماعة، وفعل فيه أنواعاً من البر وقلنا بالمضاعفة، فهذا مما يعجز الحساب عن حصر ثوابه^(٤) انتهى.

تكملة: قال بعض العلماء: إن السيئات بالحرم تتضاعف كتضاعف الحسنات، وهو

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١٣١.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ١٣١.

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «دجلة».

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ١٣١.

مذهب ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما، وقال به مجاهد أيضاً والإمام أحمد بن حنبل ولهذا كان مقام ابن عباس بغير مكة، والصحيح عند جماهير أهل العلم عدم المضاعفة لكن السيئة فيه أعظم منها في غيره بلا ريب. ثم على قول أن السيئة تتضاعف فقليل تضعيفها كتضعيف الحسنات بالحرم، وقيل بل كخارجة وحرر بعض العلماء النزاع في هذه المسألة فقال القائل بالمضاعفة أراد مضاعفة مقدارها أي غلظها لا كميتها في العدد، فإن السيئة جزاؤها سيئة، لكن السيئة تتفاوت فالسيئة في حرم الله وبلده على بساطه أكبر وأعظم منها في غيره، وليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في موضع بعيد عنه، فإنه قيل يرجع النزاع أيضاً إذ لا فرق بين أن تكون السيئة مغلظة وهي واحدة وبين أن تكون مائة ألف سيئة عدداً. فالجواب أنه قد جاء من زادت حسناته على سيئاته في العدد دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته في العدد دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته عدداً كان من أهل الأعراف.

فصل في ذكر مبدأ عمارة المسجد الحرام

وتوسعته وذرعه وذكر شيء من أخباره

ذكر الأزرقى والإمام أبو الحسن الماوردى وغيرهما من الأئمة المعتمدين: أن المسجد الحرام كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما وليس عليه جدار يحيط به، وكانت الدور محذقة به من كل جانب وبين الدور أبواب يدخل منها الناس، فلما أن استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترى دوراً وهدمها ووسع بها المسجد، وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن وتمنع^(١) من البيع فوضعت أثمانها في خزانة الكعبة فأخذوها بعد ذلك. وقال لهم عمر: أنتم نزلتم على الكعبة ولم تنزل عليكم الكعبة، إنما هو فناؤها. ثم جعل سيدنا عمر على المسجد جداراً قصيراً محيطةً به دون القامة، وكانت المصابيح توضع عليه فكان عمر رضي الله عنه أول من اتخذ للمسجد جداراً^(٢).

فلما كان زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه وكثر الناس اشترى دوراً ووسع بها المسجد الحرام،

(١) في د، والمطبوع: «وامتنع» والمثبت رواية الأزرقى.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٦٨.

وأبى قوم أن يبيعوا فهدم عليهم فصاحوا به، فقال لهم: إنما جراكم على حلمي عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به أحد، ثم أمر بهم إلى الحبس حتى شفح فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأخرجهم وجعل عثمان للمسجد أروقة فكان أول من اتخذ الأروقة له^(١).

ولم يذكر الأزرقى السنة التي وسع فيها عمر رضي الله عنه المسجد الحرام وهي سنة سبع عشرة من الهجرة، ولا السنة التي وسع فيها عثمان رضي الله عنه وهي سنة ست وعشرين من الهجرة.

ثم قال الأزرقى: فلما كان زمن عبد الله بن الزبير زاد في المسجد زيادة كبيرة واشترى دوراً من جملتها بعض دار الأزرقى جد الأزرقى صاحب «تاريخ مكة» واشترى ذلك البعض ببضعة عشر ألف دينار، ثم عمره عبد الملك بن مروان ولم يزد فيه لكنه رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة وجعل في رأس كل أسطوانة خمسين مثقالاً^(٢) ذهباً.

ثم إن الوليد بن عبد الملك المتقدم وسع المسجد ونقض عمل أبيه وعمله عملاً محكماً، وسقفه بالساج المزخرف وأزر المسجد من داخله بالرخام، وجعل له شرقاً، وجعل في وجوه الطيقان من أعلاها الفسيفساء وهو أول من جعلها بالمسجد الحرام وأول من نقل إليه أساطين الرخام^(٣).

تنبيه: قول الأزرقى: الوليد أول من نقل إليه أساطين الرخام. قال الفاسي رحمه الله: قد نقل الأزرقى ما يفهم خلاف ذلك لأنه ذكر في عمل عبد الملك أنه جعل في رأس كل أسطوانة خمسين مثقالاً من الذهب وهذا يقتضى وجود الأساطين قبل الوليد فتكون من عمل ابن الزبير أو عبد الملك. وعلى كلا الأمرين فهو مخالف لما ذكره الأزرقى من أن الوليد بن عبد الملك أول من حمل إليه ذلك^(٤). والله أعلم بالصواب. انتهى بمعناه.

أقول: يمكن الجمع بين كلامي الأزرقى وترتفع المخالفة التي ذكرها الفاسي، وذلك أن الأزرقى رحمه الله لم يذكر أن الأساطين التي في رءوسها المئاقيل الذهب في أيام عبد الملك كانت من رخام ليتجه ما قاله الفاسي، ولا خصوصية أيضاً لتسمية الأساطين بما كان من الرخام فيحتمل أنها كانت من آجر أو من حجارة أو من خشب ويؤيد ذلك ما تقدم في

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٦٩ وما بعدها.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٦٢.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٦٩.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٧١.

الباب الأول من هذا الكتاب عند ذكر فضائل البيت الشريف، فيما أخرجه الفاكهي عن السهمي عند قوله فعابت أسطوانة. قال شيخ الإسلام ابن حجر: والأسطوانة من خشب وما سيأتي قريباً من كلام الفاسي نفسه عند ذكره لما عمره القاضي محمد بن موسى من بناء الزيادة التي بدار الندوة في قوله وجعل ذلك بأساطين حجارة مدورة عليها ملاين ساج^(١). وفي قوله عند بناء ما كان احترق من الجانب الغربي وبعض الشامي من المسجد الحرام في عام اثنين وثمانمائة ما صورته: إن الأساطين التي بالجانب الغربي حجارة منسحوتة هذا كلامه. وأما الأساطين من الأجر فعمل منها كثير في المساجد وغيرها فإذا علم ذلك فقول الأزرقى رحمه الله إن الوليد أول من نقل إلى المسجد الحرام أساطين الرخام ليس فيه مخالفة مع الاحتمال المذكور فتأمل والله الموفق.

ثم لما أفضت الخلافة إلى أبي جعفر العباسي ثاني خلفاء بني العباس وسع المسجد الحرام من جانبه الشامي ومن جانبه الغربي ولم يجعل فيما وسعه من الجانبين إلا رواقاً واحداً. وكان ابتداءه في المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة والفراغ منه في ذي الحجة سنة أربعين ومائة^(٢).

وكان الذي زاده المنصور النصف مما كان عليه قبل ذلك.

ثم إن المهدي بن أبي جعفر وسع المسجد الحرام بعد موت أبيه من أعلاه ومن الجانب اليماني ومن الموضع الذي انتهى إليه أبوه في الجانب الغربي حتى صار على ما هو عليه اليوم، ما عدا الزيادتين فإنهما أحدثتا بعده^(٣) كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

وكانت عمارة المهدي في نوبتين: الأولى في سنة إحدى وستين ومائة، وزاد فيما زاده أبوه رواقين. والثانية سنة سبع وستين وكان أمر بها لما حج حجته الثانية في سنة أربع وستين، ورأى الكعبة في شق من المسجد فكره ذلك وأحب أن تكون متوسطة في المسجد، فدعا المهندسين وشاورهم في ذلك فقدروا ذلك، فإذا هو لا يستوي لهم من أجل الوادي والسييل، وقالوا: إن وادي مكة له سيول قوية العزم ونخشي إن حولنا الوادي عن مكانه أن لا يتم لنا على ما نريد. فقال المهدي لا بد لي من سعة المسجد بحيث تكون

(٢) إخبار الكرام ص ١٨١.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٦٤.

(٣) إخبار الكرام ص ١٨١.

الكعبة في وسط المسجد على كل حال ولو أنفقت فيه جميع ما في بيوت المال، وعظمت نيته في ذلك وقوى عزمه على ذلك فقدر المهندسون ذلك وهو حاضر ونصبوا الرماح على الدور من أول موضع الوادى إلى آخره ثم ذرعوه من فوق الرماح حتى عرفوا ما يدخل في المسجد من ذلك وما يبقى في الوادى^(١).

ثم خرج السهمدي إلى العراق وخلف الأموال فاشتروا من الناس دورهم ووسعوا المسجد، ولم يكمل ذلك إلا في خلافة ابنه موسى الهادي لمعالجة المنية للمهدي^(٢).

وكان مما عمل بعد موته بعض الجانب اليماني وبعض الغربي وأنفق المهدي رحمه الله في ذلك أموالاً عظيمة بحيث صار ثمن كل ذراع في ذراع مكسر مما دخل في المسجد الحرام خمسة وعشرين ديناراً، وثمن كل ذراع مكسر مما دخل في الوادى خمسة عشر ديناراً ونقل إلى المسجد الحرام أساطين الرخام من مصر وغيرها في السفن حتى أنزلت بجدة، وحملت منها على العجل إلى مكة^(٣).

قال الأزرقى: ووسع المهندسون باب بنى هاشم الذي يستقبل الوادى، وجعلوا الباب الذي بإزائه من أسفل المسجد يعنى من الجانب الغربى يستقبل خط الحزامية، يقال له باب البقالين وهو معروف. وقالوا: إذا جاء سيل عظيم ودخل المسجد خرج من ذلك الباب^(٤) انتهى بمعناه.

هذا عمل المهدي في النوبة الثانية واستمر كذلك إلى يومنا هذا والله أعلم.

أقول: باب بنى هاشم الذي ذكره الأزرقى باب على الآن به على ذلك الفاسى.

وباب البقالين لعله المعروف الآن بباب الحزورة، فإن الفاسى رحمه الله عرف باب الحزورة بأن الغالب عليه باب الحزامية، وقال: لأنه يلى خط الحزامية لا باب إبراهيم. لأن الأزرقى لم يذكره وإنما حدث بعده. وأيضاً قول الأزرقى: وجعل الذي بإزائه، يؤيد أنه باب الحزورة لأنه بإزاء باب على بمعنى مقابله.

(١) إخبار الكرام ص ١٨٢.

(٢) إخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٨٠، إخبار الكرام ص ١٨٣.

(٣) إخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٨٠.

(٤) إخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٨٠.

وأما باب إبراهيم فقد أدركته وهو واطئٌ جداً وإنما رفع وعمل له هذه الدرجة في حدود سنة خمسة عشر أو ستة عشر وتسعمائة في دولة الأشرف الغوري على يد الأمير خاير بك المعروف بالمعمار. وقد شاهدت عمارته وأنا إذ ذاك في المكتب وكانت السيول إذا دخلت المسجد إنما تخرج منه، والآن كذلك إنما يخرج السيل من القبو الذي تحته لأنه لما رفع جعل تحته العقود بالحجارة المنحوتة لمصرف السيل. انتهى.

فصل في ذكر الزيادتين وخبر عمارتهما

وذرعهما وذرع المسجد الحرام وعدد منائره وأبوابه

اعلم أنه لم يزد في المسجد الحرام بعد عمارة المهدي رحمه الله سوى هاتين الزيادتين دار الندوة التي في الجانب الشامي من المسجد، وزيادة باب إبراهيم في الجانب الغربي منه.

أما زيادة دار الندوة فسيبها كما نقله الفاسي عن إسحاق الخزاعي أن بعض أهل الخير كتب إلى وزير الخليفة المعتضد العباسي يحثه^(١) على جعل ما بقى من دار الندوة مسجداً ويقول: إن هذه مكرمة لم تنهياً لأحد من الخلفاء بعد المهدي. فلما بلغ ذلك المعتضد عظمت رغبته وأخرج لذلك مالا عظيماً فأخرجت القمام من دار الندوة وجعلت مسجداً ووصلت بالمسجد الكبير، وعمره بأساطين وطاقات وأروقة مسقفة بالساج المزخرف ثم فتح لها في جدار المسجد الكبير اثني عشر باباً بعقود ستة كبار وبينهم ستة صغار، وجعل في هذه الزيادة ثلاثة أبواب بابان طاقان طاقان: وباب طاق واحد شارعاً إلى الطريق التي حولها، وجعل سقفها مسامتا لسقف المسجد الكبير، وبنى فيها منارة وشرقاً وفرغ من ذلك في ثلاث سنين^(٢).

قال الفاسي رحمه الله: ولم يبين إسحاق الخزاعي السنة التي فرغ فيها من عمارة هذه الزيادة، ولعل ذلك كان في سنة أربع وثمانين ومائتين على مقتضى ما ذكره إسحاق، من أن الكتابة إلى المعتضد بسبب إنشائها كانت في سنة إحدى وثمانين^(٣) ومائتين.

ثم ذكر أن القاضي محمد بن موسى لما كان إليه أمر البلد غير الطاقات التي كانت في

(١) تحرف في المطبوع إلى: «تحية».

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٦٣.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٦٣.

جدار المسجد الكبير وجعل ذلك بأساطين حجارة مدورة عليها ملاين ساج يعقود من الأجر والجص الأبيض، ووصله بالمسجد الكبير وصولاً أحسن من الأول، حتى صار من في دار الندوة من مصلٍّ ومستقبل يرى القبلة كلها، وكان ذلك في سنة ست وثلاثمائة^(١).

وأما الزيادة التي بالجانب الغربي المعروفة بزيادة باب إبراهيم، فنقل الفاسي رحمه الله أنه لما كانت أيام جعفر المقتدر بالله أمير المؤمنين أمر أن يجعل هذا المحل مسجداً ويوصل بالمسجد الكبير، فعمل على ما هو عليه اليوم فاتسع^(٢) الناس به وصلوا فيه، وذلك في سنة ست أو سبع وثلاثمائة. انتهى.

والسبيل الذي بالزيادة المذكورة من عمل الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، أنشأه في حدود سنة تسع وخمسين وسبعمائة أو في التي بعدها^(٣).

وأما ما وقع في المسجد من العمارة والتجديد فكثير، منها العمارة الكبيرة التي كانت في سنة أربع وثمانمائة، وإنما ذكرتها دون ما كان قبلها وبعدها من العمائر لكونها أعظم من غيرها مما عمر بعد الخلفاء، ولما ظهر من همة الأمير المباشر لذلك وقوة العزم. وسبب ذلك أن في ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة ظهرت نار من رباط رامشت المعروف الآن برباط ناظر الخاص عند باب الحزورة المصحف بباب عزورة بالجانب الغربي من المسجد الحرام، فلم يكن غير لحظة حتى تعلقت بسقف المسجد وعم الحريق الجانب الغربي وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامي بما في ذلك من السقوف والأساطين الرخام وصارت قطعاً، وانتهى الحريق إلى محاذاة باب العجلة، فصار ما احترق أكواماً عظيمة تمنع من الصلاة في موضعها ومن رؤية البيت الشريف. ثم من الله تعالى بعمارة ذلك في مدة يسيرة على يد الأمير بسوق الظاهري وكان قدومه لذلك في موسم سنة ثلاث وثمانمائة، فلما رحل الحاج من مكة شرع في رفع تلك الأكوام حتى فرغت، ثم ابتداء في العمارة حتى عاد ذلك كما كان، وكان الفراغ من عمارة ذلك في أواخر شعبان سنة أربع وثمانمائة^(٤).

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٦٤.

(٢) لدى الفاسي: «فانتفع».

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٦٤.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٦٥.

وعجب الناس كثيرا من سرعة العمارة في هذه المدة لأن من رأى ذلك قبل العمارة كان يقطع بأن هذه العمارة إنما تتم في مدة سنين باعتبار العادة في العمارة، فسهل الله فراغها في تلك المدة، وجعلت الأساطين التي في الجانب الغربي كلها من حجارة منحوتة وكذلك الجانب الشامي ما خلا أساطين يسيرة في مقدمه، فإنها رخام مكسر ملصق بالحديد، وهذا كله ظاهر بين ولم يبق من ذلك إلا سقف الجانب الغربي لتعذر خشب الساج. ثم عمل ذلك من خشب العرعر في أوائل سنة سبع وثمانمائة - بتقديم السين - على يد الأمير بيسق المذكور، وكانت العمارة المدورة في أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق^(١).

ذكر منائر المسجد الحرام

في المسجد الحرام الآن ست منائر: أربعة في الأركان، والخامسة في زيادة دار الندوة، والسادسة بمدرسة السلطان الأشرف قايتباي رحمه الله تعالى المجاورة لباب السلام على يسار الداخل إلى المسجد. وعمرت في حدود الثمانين وثمانمائة. والخمس المنائر قديمة، أما منارة زيادة دار الندوة فعمرت مع الزيادة المذكورة من قبل المعتضد العباسي كما تقدم وأما الأربعة التي بالأركان، فالأولى تعرف بمنارة عزورة لأنها على باب عزورة، والثانية على باب على وتعرف بمنارة على، والثالثة على باب العمرة وتعرف بمنارة باب العمرة، والرابعة تسمى بمنارة باب السلام لأنها على باب السلام، ولم أقف على من أنشأ هذه الأربع المنائر^(٢). غير أن الفاسي رحمه الله ذكر أن المنصور عمر منارة باب العمرة، وعمر ابنه المهدي المنائر الثلاث التي على باب السلام والتي على باب على، والتي على باب الحزورة. (أقول) المفهوم من كلام الفاسي بقوله عمر المنصور منارة باب العمرة، وعمر ابنه المهدي إلى آخره^(٣)، أن مراده بذلك الترميم والتجديد لا الإنشاء بدليل قوله بعد ذلك: وعمر الجواد جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني وزير صاحب الموصل منائر المسجد. وكذا قوله: وعمرت منارة باب الحزورة في زمن الأشرف شعبان صاحب مصر، وكانت سقطت في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة. وكذا قوله: وعمرت منارة باب بني شيبه

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٦٦، إخبار الكرام ص ١٨٧.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٨٦.

(٣) إخبار الكرام ص ١٨٨.

فى زمن الناصر فرج، وذلك بعد أن سقطت فى سنة تسع وثمانمئة لأن السقوط استدعى تقدم البناء قبل ذلك^(١).

ولو وقف الفاسى على من أنشأ ذلك لذكره كما هو دأبه فى استيفاء الكلام وتبيين الأمور على أحسن الوجوه وأكملها. انتهى.

وكانت منائر آخر فى غير المسجد الحرام على رهوس الجبال يؤذن فيها، نقله الفاسى عن الفاكهى. فمن ذلك على جبل أبى قبيس أربع منائر، وعلى رأس الجبل^(٢) الأحمر المقابل له منارة، وعلى الجبل المشرف على شِعْب ابن عامر منارة ومن ذلك منارة تشرف على المجزرة، ومنارة على جبل تفاعحة، ومنارة على جبل خليفة بن عمر البكرى، ومنارة على كُدَيْ بضم الكاف تشرف على وادى مكة. (فهذه المنائر) كلها تنسب إلى عبد الله بن مالك الخزاعى من خدام أمير المؤمنين هارون الرشيد. ولبغا مولى أمير المؤمنين عدة منائر أيضاً من ذلك منارة على رأس الفلق، ومنارة على الأحمر، ومنارة على جبل خليفة كما لعبد الله، ومنارة على جبل المقبرة، ومنارة على جبل الحزورة، ومنارتان على جبل عمر بن الخطاب ولعله المسمى بالنوبى، ومنارة على جبل الأنصار الذى يلى أجياد، ومنارة على ثنية أم الحارث المشرف على الحصاحص، وسيأتى تعريفه وموضعه فيما بعد إن شاء الله تعالى، ومنارة على الجبل المشرف على الخرمانية، ومنارة مشرفة على الخضير أو بئر ميمون، ومنارة بمنى عند مسجد الكبش، فهذه كلها لبغا وكان لهذه المنائر فيما مضى أناس يؤذنون للصلاة تجرى عليهم الأرزاق فى كل شهر. ثم قطع ذلك لتغيير الأحوال وتناول الألمان. والله أعلم^(٣).

ذكر ذرع المسجد الحرام والزيادتين

نقل الأزرقى أن ذرع المسجد الحرام مكسراً مائة ألف ذراع وعشرون ألف ذراع^(٤). وأما طول المسجد الحرام وعرضه فقد حرره الفاسى رحمه الله بذراع الحديد، فكان طوله من وسط جداره الغربى الذى هو جدار رباط الخوزى - بضم الخاء المعجمة وبعدها واو ثم زاء معجمة - إلى وسط جداره الشرقى الذى عند باب الجنائز مع المرور فى نفس الحجر

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٨٦.

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٨٧ و ٣٨٨.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٨١.

- بكسر الحاء - واللصوق بجدار الكعبة الشامي ثلاثمائة ذراع وستة وخمسين ذراعا وثمان ذراع بالذراع المذكور، ويكون ذلك بذراع اليد أربعمائة ذراع وسبعة أذرع. وكان عرضه من وسط جداره القديم الذي يدخل منه إلى زيادة دار الندوة إلى وسط جدار المسجد اليماني فيما بين بابي المسجد باب الصفا وباب أجياد مارا كذلك فيما بين مقام إبراهيم والكعبة وأنت إلى المقام أقرب مائتي ذراع وستة وستين ذراعا بذراع الحديد، ويكون ذلك بذراع اليد ثلاثمائة ذراع وأربعة أذرع، وكان تحريره لذلك في ليلة الخميس السابع والعشرين من ربيع الأول سنة أربع عشرة وثمانمائة^(١).

فائدة: أخرج الأزرقى بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: إنا لنجد في كتاب الله تعالى أن حد المسجد الحرام من الحزورة إلى المسعى. وأخرج أيضا بسنده إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: أساس المسجد الحرام الذي وضعه إبراهيم عليه السلام من الحزورة إلى المسعى إلى مخرج سيل أجياد. ثم قال: والمهدى وضع المسجد على المسعى انتهى^(٢).

ذكر ذرع زيادة دار الندوة

أما ذرعها طولا وذلك من جدار المسجد الكبير إلى الجدار المقابل له الشامي الذي عنده باب المنارة أربعة وسبعون ذراعا - بتقديم السين - إلا ربع ذراع بذراع الحديد، وذرع عرضها من وسط جدارها الشرقي إلى وسط جدارها الغربي سبعون ذراعا ونصف - بتقديم السين - وهذا ذرع الأروقة مع الصحن، وأما ذرع الصحن وحده فطوله من الأساطين التي في مقدم الجانب الجنوبي مما يلي المسجد الكبير إلى الأساطين التي في مقدم الجانب الشمالي سبعة وثلاثون ذراعا - بتقديم السين - وعرضه كذلك بزيادة سدس ذراع بذراع الحديد^(٣).

(١) تحرف في المطبوع إلى: «وثلاثمائة» وصوابه من د، والقاسي، وانظر الخبر لديه ج ١ ص ٣٦٩ و٣٧٠.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٦٢.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٧٢.

ذكر ذرع زيادة باب إبراهيم

أما طولها وذلك من الأساطين التي تلى المسجد الكبير إلى العتبة التي فيها باب هذه الزيادة فسبعة وخمسون ذراعاً إلا سدس ذراع - بتقديم السين - وأما عرضها من جدار رباط الخوزى - بضم الخاء وكسر الزاى المعجمتين بينهما واو - إلى جدار رباط رامشت المقابل له فاثان وخمسون ذراعاً وربع وذلك ذرع الأروقة من الصحن، وذرع الوسط وحده طولاً من الأساطين الشرقية التي تلى المسجد الكبير إلى باب إبراهيم ستة وثلاثون ذراعاً وربع وثمان. وذرع عرضاً ثلاثة وثلاثون ذراعاً ونصف بالحديد. هذا تحرير الفاسى رحمه الله

أقول^(١): كان ذرع زيادة باب إبراهيم كما ذكره الفاسى، وأما فى وقتنا هذا فينقص ذرع هذه الزيادة بعض أذرع يسيرة، بمقتضى تغيير الباب ورفعها، وما أحدثه الأمير خاير بك المعروف بالمعمار الجركسى من البلاط والدرج البارزة إلى نفس المسجد وزوال تلك العتبة الأولى كما قدمته آنفاً. انتهى والله الموفق.

ذكر كيفية المقامات

التي هي الآن فى زمننا موجودة بالمسجد الحرام

وبيان مواضعها وكيفية الصلاة فيها وما فى المسجد من القباب

والسقايات وغيرها

أما المقامات فأربع: مقام الشافعى، وصفته بترتان^(٢) عليهما عقد لطيف مشرف من أعلاه مبيض بالنورة وخشبة معترضة للقناديل، وهو خلف مقام الخليل عليه السلام. وأما مقام الحنفى فكان قديماً أربع أساطين من حجارة عليها سقف مدهون مزخرف وأعلاه مما يلى السماء مطلى بالنورة، وبين الأسطوانتين المقدمتين محراب مرخّم، وكان ابتداء عمله على هذه الصفة فى أواخر سنة إحدى وثمانمائة، وانتهى فى أوائل سنة اثنين وثمانمائة كذا ذكره الفاسى^(٣).

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) البتر: القوائم.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٩١.

ثم قال وأنكر عمله على هذه الصفة جماعة من العلماء منهم الشيخ العلامة زين الدين الفارسكوري الشافعي، وألف في ذلك تأليفاً حسناً، والشيخ سراج الدين البلقيني وولده الإمام العلامة قاضي القضاء بالديار المصرية شيخ الإسلام جلال الدين، وكان إذ ذاك متولياً وباقي القضاء، وأفتوا بهدم هذا المقام وتعزير من أفتى بجوار بنائه على هذه الصفة، ورسم ولي الأمر بهدمه، فعارض في ذلك بعض ذوى الهوى فلم يتم الأمر^(١).

وسبب الإنكار ما حصل من شغل الأرض بالبناء وقلة الانتفاع بموضعه وما يتوقع من إفساد أهل اللهو فيه لأجل سترته لهم انتهى^(٢).

وسبب المعارضة أن جماعة من علماء الحنفية إذ ذاك أفتوا بجواز بقاءه على هذه الصفة لما فيه من النفع لعامة المسلمين من الاستظلال من حر الشمس والتوقى من البرد والمطر، وأن حكمه حكم الأروقة والأساطين الكائنة بالمسجد الحرام. ثم فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة كشف الأمير سودون المحمدى سقف المقام المذكور وعمره وزخرفه أحسن مما كان، ووضع عليه من أعلاه قبة من خشب مبيضة تظهر من فوق ولا أثر لها من داخل المقام، وفرش فيه حجارة حمرا تقرب من حجر الماء، ولم يكن هذا فيه قبل ذلك، ثم جدّد بعد ذلك مرارا آخرها فى حدود عام سبعة عشر وتسعمائة، وقد أدركته، وهو على هذه الصفة، واستمر كذلك إلى عام أربعة وعشرين وتسعمائة.

فلما حج الأمير مصلح الدين الرومى فى موسم سنة ثلاث وعشرين فى أول ولاية مولانا السلطان سليم بدا له أن يهدمه، فهدمه فى أول عام أربعة وعشرين وجعله قبة كبيرة شامخة على أربع بتر عراض جدا بأربع عقود كل ذلك من حجر يعرف عند أهل مكة بحجر الماء، يؤتى به من جهة الحديدية أحمر وأصفر منحوت، وزاد فى طوله وعرضه، وأراد إيصاله بالمطاف فعرف بأن ذلك يؤدى إلى قطع الصف الأول الذى يصلى خلف إمام الشافعية، فاقصر وانتهى بمحراه إلى إفريز حاشية المطاف، واستمر الأول متصلاً، واستمرت هذه القبة كذلك نحو خمس وعشرين سنة فلما كان فى عام تسعة وأربعين وتسعمائة برز أمر مولانا سلطان الإسلام بهدم هذه القبة لما أنهى إليه من شموخها وأخذها جانباً كبيراً من المسجد.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٩٢.

(٢) شفاء الغرام ج - ص ٣٩٢.

وكان هدمها من كرامات الشيخ محمد بن عراق رحمه الله، فإني سمعت من غير واحد عن الشيخ المذكور أنه كان يقول: لا بد أن تهدم هذه القبّة، وكان كذلك وكرامات الولي حق. فلما برز الأمر بذلك بادر إلى هدمها الأمير خشقلدي، صاحب الهمم العالية، مزيل المنكرات، وموسع الطرقات، نقمة الله على أهل المفاسد، نائب جدة المحروسة ومباشر العمائر السلطانية المأنوسة. أعزه الله تعالى، وكان له وأحسن إليه. فبادر إلى امتثال الأمر وحضر بنفسه على جاري عادته في علو الهمة وهدم القبّة المذكورة وذلك في أوائل شهر رجب أحد شهور عام تسعة وأربعين وتسعمائة.

ثم شرع في بناء مقام عظيم في الشهر المذكور وصفته أربع بتر لطاق في الأركان من أنقاض القبّة الأولى من حجر الماء وستة أعمدة من حجر الصوان شئمة كل عمود قطعة واحدة. فمن ذلك عمودان بين البترتين المقدمتين إلى جهة القبلة، وعمودان بين البترتين المؤخرتين، وعمود بين البترتين من ناحية باب العمرة، وعمود بين البترتين من جهة باب السلام مقابل له، وعلى ذلك عشرة عقود لطاق وشقة ثلاثة منها إلى جهة القبلة وثلاثة منها إلى جهة آخر المقام مقابلة للثلاثة الأولى وعقدان إلى جهة باب العمرة عن يمين من كان جالساً في المقام مستقبل القبلة وعقدان مقابلان لهما إلى جهة باب السلام وفوق ذلك سقف مزخرف من خشب الساج بصناعة ظريفة وكان تركيب هذا السقف في يوم الخميس غرة شعبان أحد شهور العام المذكور آنفاً.

ثم جعل فوق هذا السقف ظلة للمبلغين بأربع بتر وستة أعمدة الطف من الأعمدة التحتانية على حكم ما جعل أسفل، عليها سقف مزخرف بعمل محكم وفوق هذا السقف جملون عليه رصاص إلى جهة السماء لدفع المطر، وفي أرض السقف الأول طاقة في وسطه يرى المبلغ منها الإمام وجعلت درجة لطيفة يصعد منها المبلغ إلى الظلة في وقت المكتوبات.

وكان ابتداء تركيب سقف الظلة في يوم الثلاثاء رابع شهر رمضان وانتهى بعد الترصيص في ثالث عشر رمضان من العام المذكور^(١).

وأما مقام المالكي والحنبلي فكان قديماً كمقام الشافعي المتقدم بترتان عليهما عقد،

(١) إخبار الكرام ص ١٩٥ و ١٩٦.

وفى أعلاه نحو ثلاث شراريف غير أن بين البترتين من أسفل جدارا لطيفا فيه محراب فى هذين المقامين فقط .

ونقل الفاسى رحمه الله فى كتابه «شفاء الغرام» أن ابتداء عمارة هذه الثلاث المقامات على هذه الصفة المذكورة كان فى سنة سبع وثمانمئة، ثم قال: وقد ذكرنا صفتها القديمة فى أصل هذا الكتاب يعنى به أصل «شفاء الغرام» ولم يوجد هذا الأصل بعد الفاسى ولا عثر عليه مطلقاً. فما كان من مقام الشافعى فهو كذلك إلى يومنا هذا.

وأمام مقام المالكى والحنبلى فقد أدركتهما كذلك ثم غيرا بعد الثلاثين وتسعمائة قبل تأليفنا لهذا الكتاب بأحسن مما كانا عليه فى أيام مولانا الخنكار^(١) الأعظم سلطان الإسلام خان أدام الله أيامه، ورفع بالنصر والتأييد أعلامه، وصفتهما الآن كل مقام بأربع أساطين مثمثة الشكل كل أسطوانة قطعة واحدة من الحجر الصوان المكى، وتحت كل أسطوانة قاعدة منحوتة بتربيع وتثمين وفوقها أخرى كذلك من الحجر الصوان وفوق ذلك سقف من الخشب المدهون المزخرف وفوقه إلى جهة السماء أخشاب هيئة جملون عليها صفائح الرصاص لأجل المطر، وفى كل مقام محراب فيما بين الأسطوانتين المقدمتين إلى جهة التبلة وهما كذلك إلى هذا التاريخ، وكان المباشر لذلك عبد الكريم البارجى الرومى والله أعلم.

ذكر كيفية صلاة الائمة

بهذه المقامات وبيان مواضعها من المسجد الحرام

أما كيفية الصلاة فإنهم فى زماننا هذا يصلون مرتين، الشافعى فى مقام الخليل عليه السلام ثم الحنفى إمام الحنفية بعده فى مقام الحنفية، ثم إمام المالكية بعده فى مقامه المتعين له، ثم إمام الحنابلة بعده فى مقامه، وهذا فى الأربع الفروض الفجر والظهر والعصر والعشاء وأما صلاة المغرب فكان فيما أدركناه قريباً صلى الحنفى والشافعى معاً فى وقت واحد، فحصل بذلك التخليط والتشويش على المصلين من الطائفتين بسبب اشتباه أصوات المبلغين فأنهى ذلك إلى مولانا السلطان سليمان، فبرز أمره بالنظر فى ذلك وإزالة هذا التخليط.

(١) الخنكار: بمعنى المرفق، وهى لقب لسلاطين الدولة العثمانية.

فاجتمع القضاة والأمير علي بك نائب جدة في الحطيم واقتضى رأيهم أن الحنفى يتقدم فى صلاة المغرب وعند التشهد يدخل إمام الشافعى وكان هذا فى حدود إحدى وثلاثين وتسعمائة، واستمر ذلك إلى وقتنا هذا عام تسعة وأربعين وتسعمائة فجزى الله الساعى فى ذلك خيراً، وأما المالكى والحنبلى فلا يصلون المغرب فيما أدركناه.

وأما كيفية الصلاة فيما تقدم من الزمان فكانوا يصلون مرتين كما فى الأربع الفروض المتقدمة إلا أن المالكى كان يصلى قبل الحنفى مدة، ثم تقدم عليه الحنفى بعد التسعين - بتقديم التاء على السين - وسبعمائة ونقل الفاسى عن ابن جبير ما يقتضى أن كلا من الحنفى والحنبلى كان يصلى قبل الآخر، أما صلاة المغرب فكانوا يصلونها جميعاً أعنى الأربعة الأئمة فى وقت واحد فيحصل للمصلين بسبب ذلك لبس كثير من اشتباه أصوات المبلغين واختلاف حركات المصلين، فأنكر العلماء ذلك وسعى جماعة من أهل الخير عند ولى الأمر إذ ذاك وهو الناصر فرج بن برقوق الجركسى صاحب مصر فبرز أمره فى موسم سنة إحدى عشرة وثمانمائة بأن الإمام الشافعى بالمسجد الحرام يصلى المغرب بمفرده فنفذ أمره بذلك^(١).

واستمر الحال كذلك إلى أن تولى الملك المؤيد شيخ صاحب مصر، فرسم بأن الأئمة الثلاثة يصلون المغرب كما كانوا قبل ذلك، فابتدأوا بذلك فى ليلة السادس من ذى الحجة عام ستة عشر وثمانمائة^(٢) واستمروا يصلون كذلك إلى...^(٣).

وأما وقت حدوث صلاة الأئمة المذكورين على كيفية المتقدمة، فقال الفاسى رحمه الله: لم أعرفه تحقيقاً، ثم نقل ما يدل على أن الحنفى والمالكى كانا موجودين مع الشافعى فى سنة سبع وتسعين - بتقديم السين، فى الكلمة الأولى والتاء فى الثانية - وأربعمائة وأن الحنبلى لم يكن موجوداً فى ذلك الوقت، وإنما كان إمام الزيدية. ثم قال: ووجدت ما يدل على أن إمام الحنابلة كان موجوداً فى عشر الأربعين وخمسمائة^(٤) والله تعالى أعلم.

وأما بيان محل المقامات المذكورة من المسجد الحرام:

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٩٤.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٩٥.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٩٣.

(٣) بياض بالأصلين.

فإن مقام الشافعي خلف مقام الخليل ولكن ما يصلى إمام الشافعية إلا في مقام الخليل قديماً وحديثاً، ومقام الحنفي بين الركنين الشامى ويسمى العراقى أيضاً، والغربى عن يمين مقام الخليل في جهة الشام تجاه جدار الكعبة الذى فيه الميزاب قريب من حاشية المطاف، ومقام المالكي بين الركنين الغربى، واليمانى قريب من الحاشية، ومقام الحنبلى تجاه الحجر الأسود وقربه من المطاف كقرب مقام الحنفي.

ذكرها في المسجد الحرام من القبب وغيرها

فيه الآن قبتان كبيرتان متقاربتان جدا إلى جانب بئر زمزم من جهة المشرق: إحداهما وهى التى تلى زمزم معدة لمصالح المسجد كالمصاحف والربعات الموقوفة وحفظ الفوائس والشمع والشمعدانات النحاس والمسارج النحاس والكراسى الخشب التى ترفع عليها الرباع، وما أشبه ذلك من الأشياء الموقوفة لمصالح المسجد الحرام. ولم أقف على ابتداء عمارتها متى كانت (وقد) جددها الناصر العباسى، وكانت موجودة قبله^(١).

وذكر الفاسى رحمه الله ما يدل على أنها قديمة لأنه نقل عن ابن عبد ربه أنه ذكرها في «العقد»^(٢) وأن ابن عبد ربه توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ونقل أيضاً عن ابن جبير أنه ذكر هذه القبة في أخبار «رحلته»^(٣) وذكر أنها تنسب لليهودية ولم يبين سبب هذه النسبة.

(والقبة الثانية) هى سقاية العباس عمرت فى سنة ٨٠٧، وخلف سقاية العباس ملاصقاً لجداره محل لطيف مسقوف فيه آلات الرقادة كالعيدان التى يتزل بها القناديل ويسرج بها، وكالقصب المجوف الذى يطفأ به المصابيح، وبعض شىء من الزيت الذى يحتاج إليه لوقيد الشهر، وبعض شىء من القناديل الزجاج والحراريق التى توقد على المقامات فى الليالى المباركة كليلة أول المحرم وليلة العشر منه وليلة النصف من شعبان وليلة أوائل الشهر وغير هذا.

ومنها: فى المسجد الحرام بئر زمزم، ومحلها تجاه الحجر الأسود فى محل مرخم عليه سقف وفوقه ظلة مسقفة بالخشب المزخرف، وفوقه جمالون بقبة فى الوسط مصفح بالرصاص وقد جدد ذلك فى عام ثمانية وأربعين وتسعمائة، على يد الأمير خشقلدى كان

(١) أخبار الكرام ص ١٨٩ وما بين حاصرتين منه.

(٢) العقد الفريد ج ٦ ص ٢٥٨.

(٣) رحلة ابن جبير ص ٧٦.

الله له، تجديدا حسنا، وفي هذه الظلة خزانة لطيفة فيها مناكيب زجاج لمعرفة أوقات الصلاة، وإلى جانبها مزولة يعلم بها الماضي والباقي من النهار، وفي الظلة يؤذن رئيس المؤذنين ويبلغ خلف إمام الشافعية في الصلوات الخمس.

هذا وفي زيادة باب إبراهيم حاصلان مسقوفان باباهما في نفس الزيادة معدان لحفظ أخشاب المسجد المنكسرة والمناثر الدائرة والرصاص المستقلع وغير ذلك من الانقاص، عمرا في حدود عام سبعة عشر وتسعمائة أو في الذي قبله في زمن السلطان الغوري على يد الأمير خاير بك العلاني المعروف بالعمار. هذا ما في المسجد الحرام مما أعد لمصالحه.

ومما أحدث لمصالح المسجد الحرام حاصلان كبيران في زيادة دار الندوة على يسار النازل من باب سويقة أحد أبواب المسجد الحرام أحدثهما الجناب الكريم ذو الهمة العظيمة والرأي المستقيم الأمير خشقلدى أعز الله جنابه وأجزل أجره وثوابه، وكان مبدأ عمارتهما في شهر رجب أيضاً عام تسعة وأربعين وتسعمائة، وكانت عمارتهما في هذا المحل في غاية الصواب لأن محلهما كان به دكة عالية وربما يحصل فيها أو قد حصل من المفساد ما الله أعلم به، فانصان ذلك المحل بعمارة هذين الحاصلين وزال ما يتوقع من المفساد ونقل الزيت المتعلق بالمسجد من محله الأول الذي كان خارج المسجد إلى أحد هذين الحاصلين، وصار ذلك أحفظ له كل هذا بهمة الأمير المذكور وحسن رأيه جزاه الله تعالى خيرا والله أعلم.

ذكر عدد أبواب المسجد الحرام^(١)

وأسمائها وبيان محلها من المسجد

للمسجد الحرام الآن من الأبواب تسعة عشر بابا بثمانية وثلاثين منفذا، فمن ذلك بالجانب الشرقي أربعة أبواب بأحد عشر منفذا:

الأول: باب السلام ويعرف قديماً بباب بنى شيبة وهو ثلاثة منافذ.

الثاني: باب الجنائز، وسمى بذلك لأن الجنائز قديماً كان يُخرج بها منه وهو منفذان.

(١) انظر في عدد أبواب المسجد الحرام: شفاء الغرام ج ١ ص ٣٨١، إخبار الكرام ص ١٩٨.

وعرفه الأزرقى بباب النبي ﷺ لأنه كان يخرج منه إلى منزله دار خديجة زوجته ويدخل منه .

الثالث: باب العباس بن عبد المطلب لأنه يقابل داره التي بالمسعى وهو ثلاثة منافذ .

الرابع: باب على وهو ثلاثة منافذ أيضاً، وعرفه الأزرقى بباب بنى هاشم وبياب البطحاء أيضاً .

(ومن ذلك) بالجانب الشامي خمسة أبواب بستة منافذ:

الأول: باب الدرية منفذ واحد على يمين الداخل إلى المسجد من باب السلام .

الثاني: باب سويقة في صدر زيادة دار الندوة منفذان .

الثالث: باب الزيادة غربى الزيادة المذكورة على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب سويقة وهو منفذ واحد .

الرابع: باب العجلة وسمى بذلك لكونه عند دار كانت تسمى قديماً دار العجلة ولم أدر ما هذه العجلة وهو منفذ واحد .

الخامس: باب السدة لكونه سد ثم فتح . وعرفه الأزرقى بباب عمرو بن العاص رضي الله عنه، وسكن مؤلف هذا الجامع على يسار النازل من هذا الباب إلى المسجد الحرام بجوار المسجد فله الحمد على اختصاصى بجوارين وهو منفذ واحد .

(ومن ذلك) بالجانب الغربى ثلاثة أبواب بأربعة منافذ:

الأول: باب العمرة لأن المعتمرين من جهة التنعيم يخرجون منه ويدخلون منه في الغالب وسماه الأزرقى باب بنى سهم وهو منفذ واحد .

الثاني: باب إبراهيم منفذ واحد كبير أكبر أبواب المسجد في الزيادة التي بهذا الجانب . قال الفاسى: وإبراهيم المنسوب إليه هذا الباب كان خياطاً عنده على ما قيل كما ذكره البكرى في كتاب «المسالك والممالك» وأن العوام نسبوه إليه، ووقع للمحافظ أبى القاسم ابن عساكر وابن جبير وغيرهما من العلماء ما يقتضى أنه الخليل عليه السلام، وهو بعيد لا وجه له . والله أعلم . انتهى .

الثالث: باب الحزورة المصحف الآن بعزورة - بالعين المهملة - وهو منفذان وعرفه الأزرقى بباب بنى حكيم بن حزام - بالحاء المهملة المكسورة والزاي المعجمة - وبياب بنى الزبير بن العوام أيضا ثم قال: والغالب عليه باب الحزامية لانه يلى خط الحزامية .

(ومن ذلك) بالجانب الجنوبي سبعة أبواب بسبعة عشر منفذا:

الأول: باب أم هانئ بنت أبي طالب وبذلك عرفه الأزرقى وهو منفذان .

وذكر الفاسى أنه يسمى بباب الملاعبة، لأنه بحذاء دار تنسب للقواد الملاعبة يعنى فى زمنه . وعرفه الأقسهرى بباب الفرج ونسبته إلى أم هانئ هو الأشهر إلى يومنا هذا، لأن ما يليه من المسجد كان دارا لأم هانئ وكان عندها بئر جاهلية فدخلت الدار والبئر فى المسجد فى زيادة المهدي الثانية . فحفر المهدي عوضا بئر على باب البقالين فى حد ركن المسجد الحرام نبه عليه الأزرقى .

أقول: لعل هذه البئر التى هى عند باب الحزورة على يسار الخارج من المسجد الحرام يغسل منها الأموات الطرحاء الفقراء الآن، فإننى لا أعلم هنا بئرا غيرها . وفى هذا دلالة على أن باب البقالين هو باب الحزورة كما سبق التنبيه عليه . انتهى .

الثانى: باب مدرسة الشريف عجلان لأنها بجانبه، كذا عرفه الفاسى . وعرفه الأزرقى بباب بنى تيم^(١) وهو منفذان .

الثالث: باب المجاهدية لأن عنده مدرسة المالك المجاهد صاحب اليمن، كذا عرفه الفاسى ويقال له باب الرحمة . وما عرفت سبب هذه التسمية . وذكر الأزرقى أنه من أبواب بنى مخزوم وهو منفذان .

الرابع: باب أجياد الصغير منفذان كذا عرفه ابن جبير . وعرفه أيضا بباب الخلقين^(٢) ولم أعرف ما المراد بذلك . وعرفه الأزرقى بباب بنى مخزوم .

الخامس: باب الصفا خمسة منافذ . وعرفه الفقهاء فى المناسك بباب بنى مخزوم وكذا

(١) اخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٩٠ .

(٢) فى المطبوع: «الخلقين» وفى د: «الخليفتين» والمثبت رواية ابن جبير، والخير لديه ص ٨١ .

عرفه الأزرقى أيضًا وسبب تعريف هذه الأبواب بينى مخزوم كونهم كانوا ساكنين فى تلك الجهة.

السادس: باب البغلة - بياء موحدة وغين معجمة - وهو منفذان كذا عرفه الفاسى ولم أدر ما سبب هذه الشهرة. وعرفه الأزرقى بباب بنى سفيان.

السابع: باب باران كذا سماه الفاسى، وقال: لأن عين مكة المعروفة بباران عنده وعرفه الأزرقى بباب بنى عائد وهو منفذان.

أقول: فى عبارة الفاسى بعض تسامح، لأن باران هو المحل الذى تمر فيه عين مكة ينزل إليه بدرج لا نفس العين الجارية، وكل محل ينزل إليه بدرج ويكون مستطيلاً يسمى باران فى عرف أهل هذا الزمان. وفى مكة الآن ثلاثة أماكن الثالث بغير درج والظاهر أن درجة أزيلت فيحتمل أن عين مكة كانت تسمى فى ذلك الوقت باران. وسمى هذا المحل باسم العين ويحتمل أن يكون من باب تسمية الحال باسم المحل. انتهى. فهذه عدة أبواب المسجد الحرام الموجودة الآن والله أعلم.

الباب الثامن

في فضل أهل مكة واحترامهم

ومزيد شرفهم وإكرامهم وذكر شيء من فضل قريش

ونسبة النبي ﷺ وأصحابه العشرة

روى الأزرقي في «تاريخه» عن وهب بن منبه، أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض استوحش لما رأى من سعتها ولم ير فيها أحدا غيره، فقال: يا رب أما لأرضك هذه عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيري؟ فقال له: سأجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لي، وسأجعل فيها بيوتا لذكري ويسبحني فيها خلقي، وسأبوئك فيها بيتا اختاره لنفسي وأنتصه بكرامتي، وأوثره على بيوت الأرض كلها باسمي فأسميه بيتي وأنطقه بعظمتي وأجوزه بحرمتي، وأجعله أحق بيوت الأرض كلها وأولها بذكري، وأجعله في البقعة التي اخترت لنفسي، فإني اخترت مكانه يوم خلقت السموات والأرض، وأجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما وأمنا، أحرم بحرmates ما فوقه وما تحته وما حوله، فمن حرمه بحرمتي فقد عظم حرمتي، ومن أحله فقد أباح حرمتي، ومن آمن أهله فقد استوجب بذلك أمانتي، ومن أخافهم فقد أخفرني في ذمتي، ومن عظم شأنه عظم في عيني، ومن تهاون به فقد صغر في عيني، ولكل ملك حيازة مما حواليه، وبطن مكة خيرتي وحيارتي وجيران بيتي وعمارها وفدى وأضيافني في كنفى ضامنون على في ذمتي وجواري، فأجعله أول بيت وضع للناس وأعمره بأهل السماء وأهل الأرض يأتون أفواجا شعشا غربا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق، يعجبون بالتكبير عجيجا ويرجون بالتلبية رجيجا، ويتعجبون بالبكاء نحيبا.

فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني ووفد إلى ونزل بي، ومن نزل بي فحقيق على أن أتخفه بكرامتي وحق على الكريم أن يكوم وفده وأضيافه وأن يسعف كل واحد منهم بحاجته.

تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم تعمره من بعدك الأمم والقرون والأنبياء أمة بعد أمة وقرن

بعد قرن ونبي بعد نبي حتى ينتهي ذلك إلى نبي من ولدك وهو خاتم النبيين، فأجعله من عماره وسكانه وحماته وولاته وسقائه، يكون أميناً عليه ما كان حياً.

وأجعل اسم ذلك البيت وذكره وشرفه لنبي من ولدك قبل هذا النبي وهو أبوه يقال له إبراهيم، أرفع له قواعده وأقضى على يديه عمارته، وأنيط له سقايته، وأريه حله وحرمة ومواقفه، وأعلمه مشاعره ومناسكه وأجعله أمة واحدة قانتاً لي قائماً بأمرى اجتبيه وأهديه إلى صراط مستقيم، أستجيب له في ولده وذريته من بعده.

وأشفعه فيهم فأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحماته وسقائه وخدامه وخزانه وحجابه حتى يتدعوا ويغيروا.

فإذا فعلوا ذلك فأنا الله أقدر القادرين على أن أستبدل من أشياء بمن أشياء أجعل إبراهيم إمام أهل ذلك البيت وأهل تلك الشريعة، يأتهم به من حضر تلك المواطن من جميع الإنس والجن يطئون فيها آثاره ويتبعون فيها سنته ويقتدون فيها بهديه.

فمن فعل ذلك منهم أو في نذره واستكمل نسكه ومن لم يفعل ذلك منهم ضيع نسكه وأخطأ بغيته، فمن سأل عنى يومئذ في تلك المواطن أين أنا؟ فأنا مع الشعب الغير الموفين بنذرهم المستكملين مناسكهم المبتهلين إلى ربهم الذي يعلم ما يريدون وما يكتُمون.

وليس هذا الخلق وهذا الأمر الذي قصصت عليك شأنه يا آدم بزائد في ملكي ولا عظمتي ولا سلطاني ولا شيء مما عندي إلا كما زادت قطرة من رشاش وقعت في سبعة أبحر، تمدها من بعدها سبعة أبحر لا تحصى بل القطرة أزيد في البحر من هذا الأمر في شيء مما عندي ولو لم أخلقه لم ينتقص شيء من ملكي ولا عظمتي ولا مما عندي من الغنى والسعة إلا كما نقصت الأرض ذرة وقعت في جبالها وترابها وحصاها ورمالها وأشجارها، بل الذرة أنقص للأرض من هذا الأمر لو لم أخلقه لشيء مما عندي وبعد هذا من هذا مثلاً للعزيز الحكيم. انتهى^(١) بنصه.

وجاء في الحديث أن سفهاء مكة حَسُّوا الجنة، كذا نقل عن أبي العباس الميوقى. ووقع بين عالَمين منازعة في الحرم المكى في تأويل هذا الحديث وسنده فكابر أحدهما

(١) الخبر بطوله لدى الأزرقى ج ١ ص ٤٦ - ٤٨.

وطعن في سند الحديث ومعناه، فأصبح وقد طعن أنفه واعوجج، وقيل له: إى والله سفهاء مكة من أهل الجنة، سفهاء مكة من أهل الجنة ثلاثا. فأدركه روع وخرج إلى الذي كان يكابره في الحديث من علماء عصره، وأقر على نفسه بالكلام فيما لا يعنيه وفيما لم يحط به خيرا^(١).

قال القاضي تقي الدين الفاسي رحمه الله: بلغنى أن الرجل المنكر للحديث هو الإمام تقي الدين محمد بن اسماعيل بن أبي الصيف اليمنى الشافعى نزيل مكة ومفتيها، وأنه كان يقول: إنما الحديث أسفاء مكة أى المحزونون فيها على تقصيرهم، والله أعلم. انتهى^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لمقبرة مكة: نعم المقبرة هذه. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المقبرة يعنى مقبرة مكة وليس فيها يومئذ مقبرة قال: يبعث الله عز وجل من هذه البقعة أو من هذا الحرم سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر، فقال أبو بكر رضي الله عنه ومن هم يا رسول الله؟ قال: هم الغرباء. قال الجد رحمه الله بعد أن ذكر هذا الحديث فى «منسكه»: وإنما ذكرت هذا الحديث فى فضل أهل الحرم، لأن الغرباء المدفونين فى الحرم صاروا من أهل الحرم فى الجملة، ويروى أن أهل مكة كانوا يلقبون فيما مضى بأهل الله، وهذا من أهل الله، ذكره الأزرقى وغيره.

أقول: المراد بأهل مكة قريش وبما مضى حال شركهم وكفرهم كما ذكره أهل السير، فبالأولى أن يقال لهم بعد أن أكرمهم الله بدين الإسلام وأعزهم بنبيه صلى الله عليه وسلم، فطوبى لأهل مكة ثم طوبى. انتهى.

وعنه صلى الله عليه وسلم، أنه سأل الله عما لأهل بقيع الغرقد؟ فقال لهم الجنة، فقال يا رب ما لأهل المعلأة؟ قال: يا محمد سألتنى عن جوارك فلا تسألنى عن جوارى، والغرقد - بالغين المعجمة -.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١٣٩.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ١٣٩.

على مكة قال له: هل تدري إلى من أبعثك؟ أبعثك إلى أهل الله. زاد الأزرقى: فاستوص بهم خيراً. يقولها ثلاثاً^(١).

وأخرج الأزرقى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عزل عامله رافع بن حارث الخزاعي لاستعماله على أهل مكة مولاه عبد الرحمن بن أبزى، واشتد غضبه عليه لذلك، ولم يسكن غضبه عن رافع إلا حين أخبر أن ابن أبزى قارئ لكتاب الله تعالى عالم بالفرائض، وتواضع حينئذ عمر رضي الله عنه، وقال: لئن كان كذلك فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يرفع بهذا الدين أقواماً ويضع به آخرين، وفي رواية بهذا القرآن^(٢).

أقول: ما تقرر من الفضل المذكور لأهل مكة، فهو على سبيل العموم للمصالح منهم والطلالح كما دل عليه سياق الكلام الذي هو في مقام الامتنان. ويشهد لذلك الحديث المتقدم آنفاً سفهاء مكة حشور الجنة. وهذا مما لا يخفى على من له أدنى تأمل، وهذا الفضل لا يشاركون فيه أحد بل تميزوا به وشاركوا غيرهم في أعظم الأمور، وهو الإسلام، وكذلك الحج. فإن الواحد منهم منذ سقط رأسه وإلى حين وفاته يحج هذا البيت إذا كان مقيماً فإن أحرم عنه وليه في كل عام إلى حين بلوغه، فلا ريب في تسميته حاجاً وحصول ثواب الحج النفل، وإلا فقد شهد المشاعر العظام ولا يتهيأ هذا لغيرهم، وهذا حال أكثرهم فله الحمد والمنة على ذلك.

فلو خصص الله أحداً منهم بزيادة نخلة - بفتح الخاء - وهي الخصلة من خصال الخير، إما علم أو ورع أو زهد أو تقوى أو صلاح، فلا ريب حينئذ في زيادة شرفه وعلمه ومقامه.

وأما من جمع الله فيه هذه الخصال فبسخ بخ له، وأين ذلك، فإن كان من قريش واجتمع فيه ما تقدم من النعوت فلا كلام حينئذ في زيادة شرفه لما أن كثرة الخصال الحميدة والأوصاف المجيدة مما يدل على شرف القائم بها وزيادة فضله، لا سيما إذا كان ثابت التوالد بمكة هو وأبوه وأجداده جاهلية وإسلاماً، وذلك لفضل قريش مطلقاً على جميع العرب ولما خصهم الله به من سني المجد ورفيع النسب. انتهى والله الموفق.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ١٥١.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ١٥٢.

فصل

فيما ورد في حق قريش من الآيات والاحاديث والآثار

قال الله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ (سورة قريش)
قال الكواشي: أصل الرحلة السير على الراحلة ثم استعمل لكل سير وقرئ بضم الراء،
وهي الجهة يرحل إليها، وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد للعلم به لأن قريشاً كانت
ترتحل كل عام للتجارة رحلتين رحلة شتاء إلى اليمن لأنه أدفا، ورحلة صيف إلى الشام
يستعينون بهم على المقام بمكة. وقريش من ولد النضر بن كنانة، ومن لم يلد له فليس
بقريش. انتهى. والأشهر أن كل من كان من ولد فهر بن مالك فهو قريش، ومن لم يكن
من ولده فليس بقريش، وهو جماع قريش بأسرها، والدليل على صحة ذلك أنه لا يعلم
قريش من كتب النسب اليوم أن قريشاً تنسب إلى أب فوق فهر، وفهر لقب له والذي سمته
به أمه قريش.

وسياتي آنفاً سبب تسميته بذلك بأبسط من هذا إن شاء الله تعالى. قال صاحب
«المدارك» وكانت قريش في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم
يفار عليهم. والتتكير في جوع وخوف لشدتها يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد
كانوا فيه قبلهما، وآمنهم من خوف عظيم، وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف
في بلدهم ومسيرهم. وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم. انتهى ملخصاً.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (سورة الزخرف: ٤٤) قيل في تفسيرها يقال، ممن
هذا الرجل؟ فيقال: من العرب. فيقال: من أيهم؟ فيقال رجل من قريش.

وعن ابن عباس: وإنه لذكر لك ولقومك شرف لك ولقومك. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ
أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠) أي فيه شرفكم وقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْذِرْ
عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (سورة الشعراء: ٢١٤) المراد قريش، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ
مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي كريم يعني قريشاً، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ
عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (سورة الشورى: ٢٣) أي لا أسألكم أجراً إلى ما أدعوكم

إليه إلا أن لا تؤذوني بقرايتي منكم وتخفطوني بها ولا تكذبوني قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله صلوات الله عليه أوسط النسب في قريش ليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده.

ما ورد في حق قريش من الأحاديث

وأما ما ورد في حقهم من الأحاديث فكثيرة من ذلك في «صحيح البخاري» قوله صلوات الله عليه: الناس تبع لقريش. وفيه أيضاً: إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين، وفيه لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان. وفي «الفائق» بلفظ ما بقي في الناس اثنان.

قال العلامة السيوطي في شرح هذا الحديث: هو خبر بمعنى الأمر وإلا فقد خرج الأمر عنهم من أكثر من مائتي سنة، ويحتمل أن يكون على ظاهره وأنه مقيد بقوله في الحديث الآخر: ما أقاموا الدين ولم يخرج عنهم إلا وقد انتهكوا حرمانه انتهى.

وفي «الفائق» عنه صلوات الله عليه: أذق اللهم آخر قريش نوالاً كما أذقت أولهم وبالا. وفيه عنه صلوات الله عليه: استقيموا لقريش ما استقاموا لكم. وفيه عنه صلوات الله عليه: خير نساء صلح نساء قريش أحناهن على ولد وأرعاهن لزوج. وفيه عنه صلوات الله عليه: خيار قريش خيار الناس. وفيه عنه صلوات الله عليه: دخلت الجنة فرأيت قصراً من ذهب فقلت لمن هذا؟ فقيل: لرجل من قريش. وفيه عنه صلوات الله عليه: ذروا فعل قريش وخذوا بقولهم.

أقول: يحتمل أن هذا قاله صلوات الله عليه في ابتداء الأمر قبل إسلام قريش وهو الظاهر من فحوى الكلام، وفيه من التنويه بشأنهم ما لا يخفى حيث كانت أقوالهم سديدة معتبرة وهم في تلك الحال المطبوع على قلوبهم فيها، ومع ذلك فقد أمر صلوات الله عليه بالأخذ بقولهم ويحتمل أن ذلك بعد إسلامهم ويحمل على بعض منهم كانت أفعالهم غير مستقيمة ويحتمل أن يكون ذلك في واقعة مخصوصة اقتضاها الحال وهذا منى على سبيل البحث وما أدى إليه الفهم وإلا لم أقف على كلام في ذلك. انتهى.

وفيه عنه صلوات الله عليه: شرار قريش خير شرار الناس. وفيه عنه صلوات الله عليه: قريش أهل الله وخاصته. وفيه عنه صلوات الله عليه: أسرع الناس فناء قريش. وفيه عنه صلوات الله عليه: قريش هم الأنصار ليس لهم دون الله ورسوله مولى قرت عين من أطعم الناس الطعام.

أقول: قوله في آخر الحديث: فرت عين من أطعم الناس الطعام، يحتمل أن يكون الكلام راجعاً إلى قريش ويصير المعنى من أطعم أحداً من قريش الطعام فرت عينه ويكون فيه حث على قراء الأضياف ومكارم الأخلاق، لأن العرب قديماً وحديثاً يفتخرون بذلك ويتمادحون به وهذا هو الأشبه الذي سبق إليه الفهم، ويحتمل أن يرجع إلى غيرهم ممن يكرم قريشاً ويقربهم ويطعمهم. وعلى كلا التقديرين ففيه إشارة لهم ومدحة. انتهى.

وفيه عنه عليه السلام: قدموا قريشاً ولا تتقدموهم. وفيه عنه عليه السلام: من أهان قريشاً أهان الله وفيه عنه عليه السلام: من يرد إهانة قريش يهنه الله.

فتأمل هذه الكرامة التي أكرمهم الله بها وأن بمجرد النية جوزى بالإهانة على حد قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُؤَدِّ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (سورة الحج: ٢٥) فسبحان من فضل بعض الناس على بعض. وفيه عنه عليه السلام: لا يبغض قريشاً رجل يؤمن بالله واليوم الآخر. وفيه عنه عليه السلام قال: إني امرؤ من قريش فمن نال من قريش شيئاً فقد نالني رواه الزبير بن بكار. وعنه عليه السلام أنه قال: صلب الناس قريشاً وهل يمشى الرجل بغير صلب. وعنه عليه السلام أنه قال: قريش كالملاح فهل يطيب طعام إلا به ولولا أن تطفى وفي رواية أن تبطر قريش لا خبرتها بما لها عند الله عز وجل. وعنه عليه السلام: أمان لأهل الأرض من الاختلاف الموالاة لقريش أهل الله فإذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب إبليس رواه أبو نعيم.

وعنه عليه السلام: اللهم فقه قريشاً في الدين. وعنه عليه السلام: لا تسبوا قريشاً فإن عالمها يملأ الأرض علماً. قال بعض العلماء: إن هذا العالم هو الإمام الشافعي رحمته الله لأن علمه قد ظهر وانتشر في البلاد وكتبت كتبه كما كتب المصاحف ودرسها المشايخ والشبان واستظهروا أقاويله وأجروها في مجالس الحكام والقراء والأمراء، وهذه صفة لا نعلمها قد أحاطت بأحد إلا بالإمام الشافعي، إذ كل واحد من قريش من علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم وإن كان علمه قد ظهر وانتشر لكنه لم يبلغ مبلغاً يقع تأويل هذه الرواية عليه، وإلى مثل هذا التأويل ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله.

وعنه عليه السلام أنه قال: لا تعلموا قريشاً وتعلموا منها فإن أمانة الأمين من قريش تعدل أمانة الاثنين من غيرهم. وللقريشي قوة الرجلين من غير قريش وعقل الرجل من قريش عقل رجلين من غيرهم. وعنه عليه السلام أنه قال: إن قريشاً أهل أمانة وصدق فمن بغى لهم

الغوائل - وفي رواية العوائر^(١) - أکبه الله لوجهه في النار يوم القيامة. وعنه عليه السلام أنه قال: أحبوا قريشا فإن من أحبهم أحبه الله تعالى. وعنه عليه السلام أنه قال لأبي الدرداء: يا أبا الدرداء إذا فاخرت ففاخر بقريش. وعنه عليه السلام أنه قال لعائشة إن أول من يهلك من الناس قومك. فقالت: فما بقاء الناس بعدهم؟ فقال عليه السلام: هم صلب الناس إذا هلكوا هلك الناس. وفي رواية أنها قالت: فكيف الناس بعد ذلك أو عند ذلك؟ فقال عليه السلام: دباء يأكل شداده ضعافه حتى تقوم الساعة. والدباء التي لم تنبت أجنحتها من الجراد.

وعنه عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى فضل قريشا بسبع خصال لم يعطها أحدا قبلهم ولا بعدهم، فضلهم بأنى منهم وأن النبوة فيهم والحجاجة فيهم والسقاية فيهم ونصرهم على القيل وعبدوا الله عشر سنين لم يعبدوا فيها أحد غيرهم. وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يشركهم فيها أحد غيرهم يعني ﴿لإيلاف قريش﴾.

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جا. من بدر سمع رجلا من الأنصار وهو يقول: وهل لقينا إلا عجائز كالجزر المعلقة فنحرنائها، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال عليه السلام: لا تقل ذاك يا بن أخى أولئك الملا الأكبر من قريش، أما إنك لو رأيتهم فى مجالسهم بمكة هبتهم، فوالله لقد أتيت مكة فرأيتهم قعودا فى المسجد فى مجالسهم فما قدرت أن أسلم عليهم من هبتهم.

وعنه عليه السلام أنه قال: عبد مناف عز قريش، وأسد بن عبد العزى عضدها وركحها وزهرة الكبد، وتيم وعدى رثتها، ومخزوم فيها كالأراكة فى نضرتها وجمع وسهم جناحها وعامر ليونها وفرسانها، وكل تبع لولد قصى والناس تبع لقريش وركحها بكسر الراء المهملة ثم كاف ثم حاء مهملة. والأحاديث فى فضلهم كثيرة لا يحملها هذا التعليق، وفيما ذكرته مقنع.

ما ورد فى حق قريش من الآثار

وأما ورد فى حقهم من الآثار، فروى عن عروة بن الزبير أنه قال: كانت قريش فى أيام الجاهلية تدعى العالمية للعلم. رعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: لما أمر عثمان رضي الله عنه زيد ابن ثابت وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم

(١) فى المطبوع: «العوائر».

أن ينسخوا المصحف من الصحف التي جمع فيها القرآن في خلافة الصديق رضي الله عنه. قال لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من القرآن فاكتبوها بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا فلما بلغوا ذكر التابوت قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: التابوه بالهاء، وهي لغة الأوس والخزرج، فاختلفوا. فأمر عثمان أن يكتب بالهاء بلغة قريش قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ (سورة إبراهيم: ٤) وعن هشام بن عروة بن الزبير أنه قال: كان لقريش في ذلك ضابط كمملكة فارس، وليس لهم ملك، وإنما كان ذلك بأحلامهم، وكان كالسلطان الضابط وكان يقال لهم قطين الله. وذكر أن العربي من غير قريش كان فيما مضى لم يقدر على الخروج من دار قومه في غير الأشهر الحرم إلا في جماعة. وكان القرشي يخرج وحده حيث شاء وأنى شاء. فيقال رجل من أهل الله عز وجل، فلا يعرض له عارض، ولا يريه أحد ولم يعهد أن الحرم غزى ولا سببت قرشية في جاهلية ولا إسلام قط.

ويروى أن كنانة بن خزيمة بن مدركة أتى في منامه وهو في الحجر، فقيل له: تخير يا أبا التضر بين الصهيل والهدرة أو عمارة الجدار عز الدهر، فقال: كلا يا رب فصار كل هذا من قريش، وكانت قريش على إرث من دين أبويهم إبراهيم وإسماعيل صلوات الله عليهما من قرى الضيف ورفد الحاج وتعظيم مكة المكرمة، ومنع الملح والباغى فيها وقمع الظالم ونصر المظلوم غير أن أوائلهم دخلت فيهم أحداث غيرت أصول الحنيفية دين إبراهيم وطال الدهر حتى أفضى بهم ذلك إلى الجهل بشعار الدين والضلال عن سنن التوحيد، فمحا الله عز وجل ذلك كله بنبيه محمد خاتم الأنبياء صلوات الله عليهم فأنقذهم به من الضلالة وهداهم من العمية والجهالة.

استطراد مهم

حيث ذكرت شيئاً من فضائل قريش رأيت أن أذكر نسب سيد قريش وصميمها وغلصمتها^(١) وعظيمها سيدنا محمداً خاتم النبيين وحبيب رب العالمين، ونسب أصحابه العشرة الكرام البررة وذكر شيء من مناقبهم وأحوالهم على سبيل الاختصار لتشمل بركتهم

(١) الغلصمة: رأس الحلقوم، وهو الموضع الناتج في الحلق.

هذا المؤلف ويسطر ثواب ذلك في صحائف المؤلف، لما أن العشرة عليه السلام كلهم من قريش ونسبهم متصل بنسبه عليه السلام فأقول:-

أما نسبه ^(١) عليه السلام فهو (سيدنا محمد بن عبد الله الذبيح) وسيأتي سبب تسميته بذلك قريباً في فضل زمزم إن شاء الله تعالى.

(ابن عبد المطلب): واسمه شيبه الحمد، وقيل عامر، وإنما قيل له شيبه الحمد لشيبه كانت في ذؤابته ظاهرة، وكنيته أبو الحارث بابن له، وإنما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشما قال لأخيه المطلب وهو بمكة حين حضرته الوفاة: أدرك عبدك بيثرب، فسمى عبد المطلب لهذا، وقيل: إن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه، وهو بهيئة غير لائقة فسألوه عنه فقال: هو عبدى حياء أن يقول هو ابن أخى، وهو بتلك الحالة، فلما أدخله وأحسن من حاله أظهر أنه ابن أخيه فلذلك قيل له عبد المطلب، وقيل: إنه كان أسمر اللون فلما جاء به مردفه خلفه ظن الناس أنه عبده فقالوا قدم المطلب بعبد، فلزمه ذلك.

(ابن هاشم) واسمه عمرو العلاء، وإنما سمي هاشما لأنه كان يهشم الثريد لقومه في أيام الجذب والمجاعة، وفيه يقول القائل.

عمرو الذى هشم الثريد لقومه

ورجال مكة مستنون عجاف

وبلغ في الكرم مبلغا عظيما حتى أنه كان يطعم الوحش والطير فينحر لهما في رءوس الجبال، وإذا وقع القحط أطعم الناس، وأمر الموسرين من أهل مكة بالإنفاق على فقرائهم حتى يأتى الله بالغيث. ثم إنه وفد الشام على قيصر فأخذ كتابا بالأمان لقريش، وأرسل أخاه المطلب إلى اليمن فأخذ من ملوكهم كتابا أيضا ثم أمر بذلك تجار قريش برحلتى الشتاء والصيف، فكانوا يرحلون في الصيف إلى الشام، وفي الشتاء إلى اليمن كما تقدم، فاتسعت من يومئذ معيشتهم بالتجارة، وأنقذهم الله من الخوف والجوع ببركة هاشم.

(ابن عبد مناف) وكان يسمى قمر البطحاء لصباحته، وهو الذى قام مقام أبيه قصى بالسيادة وسقاية الحاج، وكان يسمى المغيرة على ما قيل، وكنيته أبو عبد شمس.

(١) انظر في نسب الرسول ومن بعده من الصحابة كتب السير وكتب تراجم الصحابة وكتاب الطبقات الكبير لابن سعد، وسير اعلام النبلاء للذهبي وغيرها.

(ابن قصى) واسمه زيد، وقيل يزيد، وإنما قيل له قصى لأنه ذهب مع أمه فاطمة بنت سعد من بنى عذرة ونشأ مع أخواله، وبعد عن مكة فسمى لذلك قصبًا مأخوذ من القاصى، وهو البعيد، وكان يدعى مجمعا لأنه لما كبر وعاد إلى مكة جمع قريشًا من البوادي، وردها إلى مكة بعد أن تفرقت، وأخرج خزاعة منها فلذا سمي مجمعا، وفيه يقول الفضل بن عباس بن أبى لهب:

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا

به جمع الله القبائل من فهر

(ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر) واسمه قريش، وبه سميت قريش على أحد الأقوال، وقيل أول من سمي قريشًا قصى، وهو ضعيف وسيأتى قريبًا ما عليه الاعتماد فى ذلك إن شاء الله تعالى.

(ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة) واسمه عامر وقيل عمرو، وإنما سمي مدركة على ما قيل لأنه جرى خلف أرنب فأدركها فسماه أبوه مدركة.

(ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان): هذا هو المجمع عليه، وكان عليه السلام إذا وصل إلى عدنان أمسك وقال كذب النسابون فيما وراء ذلك. (وأباؤه عليهم السلام كلهم سادات ما منهم إلا من هو سيد قومه فى عصره) وما أحسن ما قيل فى هذا المعنى:

فأولئك السادات لم تر مثلهم	عين على متتابع الأحقاب
لم يعرفوا رد العفأة وطال ما	ردوا عداتهم على الأعقاب
زهر الوجوه كريمة أحسابهم	يعطون سائلهم بغير حساب
حللوا إلى أن لا تكاد تراهم	يوما على ذى هفوة بغضاب
وتكرموا حتى أبوا أن يجعلوا	بين العفأة وما لهم من باب
كانت تعيش الطير فى أكنافهم	والوحش حين يشح كل سحاب
وكفاهم أن النبى محمدا	منهم فمدحهم بكل كتاب

وأمه عليها السلام أمية بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى

بن غالب بن فهر القرشية الزهرية فهو عليه السلام أصيل الطرفين كريم الأصلين زاده الله شرفا وكرما، حملت به في شعب أبي طالب وولد بمكة في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج في شعب بنى هاشم وسيأتي ذكرها ومحلها في الخاتمة عند عد الأماكن المباركة التي تزار بمكة إن شاء الله تعالى .

وكانت ولادته يوم الاثنين على الصحيح لاثني عشر من ربيع الأول عام الفيل على الصحيح وقيل لليلتين خلتا منه . وقيل لثمان ليال وقيل لعشر خلون منه . وقيل أول اثنين منه وذلك بعد قدوم الفيل بشهر وقيل بأربعين يوما وقيل بخمسين يوما وكان قدوم الفيل على ما قيل يوم الأحد السابع عشر من المحرم سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ الإسكندر ذى القرنين ، ووافق يوم ولادته عليه السلام يوم عشرين من شهر نيسان أحد شهور الروم . وكانت ولادته عليه السلام بعد هبوط آدم بستة آلاف سنة وثلاث وأربعين سنة في ولاية كسرى أنوشروان سنة سبع عشرة منها بعد رفع عيسى بن مريم عليه السلام بخمسمائة وثمان وأربعين سنة . كذا ذكره العلامة الحافظ عبد الرحيم الأسيوطي الشافعي في ورفات له .

وكان له عليه السلام من الأولاد سبعة : ثلاثة ذكور وأربع إناث ، فالذكور : القاسم وبه كان يكنى عليه السلام ، وعبد الله الطاهر ويقال الطيب أيضا ، وإبراهيم ، والإناث : رقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة ، وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فإن أمه مارية القبطية التي أهداها له المقوقس القبطى صاحب مصر .

وتوفى عليه السلام يوم الاثنين بلا اختلاف وقت الضحى ثانی عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة لتمام عشر سنين من الهجرة وسنه ثلاث وستون سنة ، ودفن يوم الثلاثاء وقيل يوم الأربعاء عليه السلام وشرف وكرم .

(وأما نسب أبي بكر الصديق) رضي الله عنه فهو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة واسمه عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . ومن هنا يجتمع نسبه بالنبي عليه السلام وينسب إلى تيم فيقول التيمي ، وهو في العدد إلى مرة مثل رسول الله عليه السلام ، لأن كل واحد بينه وبين مرة ستة آباء فهذه موافقة بينهما في النسب كما في العمر على أصح الأقوال .

(أمه): أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بنت عم أبيه كذا! ذكره جمهور أهل النسب أسلمت قديماً في دار الأرقم بن أبي الأرقم وسيأتي تعريفها فيما بعد إن شاء الله تعالى، وبايعت النبي ﷺ وماتت مسلمة. وكان اسم أبي بكر الصديق عبد الكعبة فلما أسلم سماه النبي ﷺ عبد الله، وقيل كان اسمه عتيقاً لعناقة وجهه وجماله. والعتق - بالتحريك - الجمال، وقيل بل لقبته به أمه لأنها كانت لا يعيش لها ولد فلما ظهر استقبلت به الكعبة ثم قالت: اللهم إن هذا عتيقك من الموت فهبه لي فعاش فلزمه ذلك، وقيل له أخوان عتق وعتيق فسمى باسم أحدهما. وقيل: لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به. وقيل: لأنه قديم في الخير والعتيق القديم. وقيل: لأن رسول الله ﷺ قال: من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا فسدى عتيقاً لذلك.

واختلف في تليقبيه بالصديق لأى معنى: قيل كان هذا اللقب قد غلب عليه في الجاهلية لأنه كان من رؤساء قريش، وكانت إليه الذيات إذا تحمل دية قالت قريش صدقوه وامضوا حمالته وحمالة من قام معه، وإذا تحملها غيره لم يصدقوه. وقيل: لتصديقه النبي ﷺ في خبر الإسراء. وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: إن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق.

(صفته) كان أبيض نحيفاً خفيف العارضين غائر العينين وأحنى لا يستمسك إزاره معروق الوجه، ناتئ الجبهة عارى الأشاجع، وقيل أسمر، وأحنى - بالحاء المهملة غير مهموز - يعنى منحنيًا وأحنًا - بالجيم والهمز - بمعناه أيضاً. يقال فلان أحنأ الظهر. ومعنى معروق الوجه أى قليل اللحم، والأشاجع جمع أشجع: وهى أصول الأصابع المتصلة بعصب ظاهر الكف، وكان يخضب بالحناء والكتم.

(خلافته) كانت خلافة الصديق ﷺ سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام.

(سنه) كان عمره يوم مات ثلاثاً وستين سنة كسن النبي ﷺ.

(أولاده) كان له من الأولاد عبد الله وعبد الرحمن ومحمد وعائشة وأسماء.

(وفاته) قال أهل السير: توفى أبو بكر ﷺ ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان

بقيين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وقيل يوم الجمعة لتسع بقيين من

الشهر المذكور. والأول أصح لما ورت عائشة رضي الله عنها أن الصديق لما ثقل قال: أي يوم هذا؟ قلنا له: يوم الاثنين، قال اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أرجو فيما بيني وبين الليل، يعنى يرجو الموت، وكان كذلك.

(وأما نسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه) فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب يجتمع نسبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في كعب وينسب إلى عدى فيقال له العدوى.

(أمه): حنمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ولم يزل اسمه في الجاهلية والإسلام عمر، وكناه النبي صلى الله عليه وسلم بأبي حفص، وكان ذلك يوم بدر، وسماه الفاروق وسببه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلم: ألسنا على الحق يا رسول الله إن متنا وإن حيننا؟ قال: بلى فقال عمر: فقيم الاختفاء؟ والذي بعثك لنخرجن، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفين من المسلمين حمزة في أحدهما وعمر في الآخر، وله زفير حتى دخل المسجد فنظرت قريش إلى عمر وحمزة وقد أصابتهم كآبة، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق. وقيل: إن رجلا من المنافقين ويهوديا اختصما فقال اليهودى، ننتقل إلى محمد ابن عبد الله، وقال المنافق بل إلى كعب بن الأشرف، فأبى اليهودى وجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودى فلما خرجا قال المنافق ننتقل إلى عمر بن الخطاب فأقبلا عليه فقصا عليه القصة فدخل البيت ثم خرج والسيوف في يده فضرب عنق المنافق وقال: هكذا أفضى على من لم يرض بقضاء النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل فقال: إن عمر فرق بين الحق والباطل، فسمى الفاروق وقيل بل سماه الله تعالى بذلك في السماء.

(صفته): أبيض أمهق وهو الذى لا يكون له دم ظاهر كذا وصفه أهل الحجاز، ووصفه الكوفيون بأنه أسمر، وكان طوالا أصلح أجلع شديد حمرة العينين خفيف العارضين. واختلف هل كان يصبغ أم لا؟ قولان. وكان رضي الله عنه من رؤساء قريش وأشرفهم وإليه كانت السفارة في الجاهلية وهى أن قريشا كانوا إذا وقع بينهم حرب بعثوه سفيرا وإن نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافرا ومفاخرا.

(خلافته): قال ابن إسحاق: كانت مدة ولاية عمر عشر سنين وستة أشهر وخمسة أيام وكان يحج بالناس كل عام غير سنتين متواليتين.

(سنه): اختلف أهل السير في سن عمر ف قيل ثلاث وستون سنة كسن النبي ﷺ وأبى بكر روى ذلك عن معاوية والشعبي وقيل خمس وخمسون سنة روى ذلك عن سالم ابن عبد الله بن عمر، وقال الزهري أربع وخمسون سنة ذكر جميع ذلك الحافظ أبو عمر والسلفي وغيرهما. وعن ابن عمر قال سمعت عمر يقول قبل موته بستين أو ثلاث: أنا ابن سبع أو ثمان وخمسين.

(عدة أولاده): قال أهل السير كان له ثلاثة عشر ولدا تسعة بنين وأربع بنات بعضهم أشقاء وبعضهم من أمهات.

(وفاته): توفي عمر رضي الله عنه مقتولا شهيدا لأربع بقين من الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وقيل: بل طعن لأربع بقين. ومات في آخر شهر ذي الحجة. واتفقوا على أنه أقام بعد ما طعن ثلاثا. ثم مات وروى أن عثمان وعلياً استبقا على الصلاة عليه فقال لهما صهيب: إليكما عنى فقد وليت من أمركما أكثر من الصلاة عليه وأنا أصلى بكما المكتوبة فصلى عليه صهيب. وروى أن ملك الموت لما دخل على عمر سمعه عمر وهو يقول لملك آخر معه: هذا بيت أمير المؤمنين ما فيه شيء كأنه القبر، فقال له عمر: يا ملك الموت من تكون أنت خلفه هكذا يكون بيته.

(وأما نسب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه) فهو عثمان بن عفان بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ في عبد مناف وينسب إلى أمية فيقال الأموي.

(أمه) أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية أسلمت أمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ شقيقة أبي طالب.

(صفته): كان رجلا ربع القدر ليس بالقصير ولا بالطويل حسن الوجه بوجتته آثار جدري ألقى رقيق البشرة عظيم اللحية طويلها أسمر اللون كثير الشعر له جملة أسفل من أذنيه ولكثرة شعر رأسه ولحيته سماه أعداؤه نعتلا - بالنون ثم العين المهملة ثم تاء مثناة من فوق - ضخم الكراديس بعيد ما بين المنكبين أصلع، وكان يصفر لحيته ويشد أسنانه بالذهب، وكان محبباً في قريش، وفيه يقول قائلهم: أحبك الرحمن حب قريش عثمان.

(خلافته) كانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً قاله ابن إسحاق . وقيل كانت إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً .

(سنه) اختلف أهل السير في سن عثمان رضي الله عنه فقيل ثمانون سنة وقيل ثمان وثمانون، وقيل اثنتان وثمانون، وقيل ست وثمانون، وقيل تسعون .

(عدة أولاده) كانت أولاده ستة عشر ولداً تسعة ذكور وسبع إناث .

(وفاته) قال ابن إسحاق: كان قتل عثمان يوم الأربعاء بعد العصر ودفن يوم السبت قبل الظهر، وقيل يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع عشرة نخلت من ذي الحجة، وقيل في وسط أيام التشريق، وقيل مصدر الحاج سنة خمس وثلاثين، وروى أنه مكث مطروحاً يومه إلى الليل، وقيل ثلاثة أيام ثم دفن وصلى عليه جبير بن مطعم، وقيل المسور بن مخرمة، وقيل حكيم بن حزام، وقيل الزبير، وكان عثمان رضي الله عنه أوصى بالصلاة عليه، وقيل بل صلى عليه ابنه عمرو الذي كان يكنى به، وشاهد الناس الملائكة وهي تصلى عليه رضي الله عنه وأرضاه، ومن خصائصه أنه لا يحاسب . روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله: من أول من يحاسب يوم القيامة؟ قال: أبو بكر . فقال علي: ثم من يا رسول الله؟ قال: ثم عمر ثم أنت يا علي، قلت يا رسول الله: أين عثمان؟ قال: إني سألت عثمان حاجة سرا فقضاها سرا فسألت الله أن لا يحاسبه . كذا في «الرياض» للمحب الطبري .

(وأما نسب سيدنا أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه): فهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب أقرب العشرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد المطلب الجد الأول وبعده في القرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وينسب إلى هاشم فيقال القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(أمه) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية أول هاشمية ولدت هاشمياً أسلمت وتوفيت بالمدينة وصلى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وتولى دفنها وكانت ربت النبي صلى الله عليه وسلم وكناه النبي صلى الله عليه وسلم بأبي تراب لأنه نام في المسجد فسقط رداؤه عن ظهره ومسه التراب فرآه النبي صلى الله عليه وسلم وهو بتلك الحال فمسح التراب عن ظهره وقال له: اجلس أبا تراب ويكنى بأبي الحسن وهو أشهر .

(صفته) ربع القامة أدعج العينين عظيمهما حسن الوجه عظيم البطن أصلع ليس في رأسه من الشعر إلا شيء يسير من خلفه كثير شعر اللحية. ومن خصائصه كرم الله وجهه أنه أول من يقرع باب الجنة بعد النبي ﷺ، وأول من يجشو بين يدي الله عز وجل يوم القيامة للخصومة.

(خلافته) كانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر، فمدة خلافة الأربعة على الصحيح تسعة وعشرون سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام، وقد قال ﷺ: الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا فإما أن يكون أطلق على ذلك ثلاثين لقربه منها أو تكون مدة ولاية الحسن محسوبة منها وهي تكملتها.

أقول: يشكل ذلك بما رواه سهل بن أبي حثمة أنه ﷺ قال بعد كلام: إلا وإن الخلفاء بعدى أربعة والخلافة بعدى ثلاثون سنة نبوة ورحمة، ثم خلافة ورحمة، ثم ملك، ثم جبرية وطواغيت، ثم عدل وقسط إلا وإن خير هذه الأمة أولها وآخرها أخرجه أبو الخير القزويني الحاكمي. ووجه الإشكال: التصريح بأن الخلفاء أربعة بعده ﷺ فكيف تحسب مدة الحسن؟ ويمكن أن يجاب عنه بأن مدة الحسن لما كانت يسيرة لم يعده خامسا، وإنما عد الأربعة لطول مدتهم ومعظم خلافتهم هذا على تقدير صحة هذه الرواية وتسليمها وإلا فلا يرد الإشكال من أصله.

(عدة أولاده): ثلاثة وثلاثون ولدا: خمسة عشر ذكرا، وثمانى عشرة أنثى وقيل: إن الذكور أربعة عشر.

(وفاته): كان قتله في صبيحة يوم سبعة عشر في رمضان وقيل ليلة الجمعة لثلاث عشرة منه، وقيل لإحدى عشرة ليلة خلت منه أو بقيت، وقيل: لثمان عشرة ليلة منه سنة أربعين من الهجرة ومات من يومه ودفن بالكوفة ليلا. واختلف هل قتل وهو في الصلاة أو قبل الدخول فيها أقوال. وهل استخلف من أتم الصلاة على القول بأنه قتل وهو فيها أو أتمها هو، فالأكثر أنه استخلف جعدة بن هبيرة وجهل موضع قبره، وكان ذلك حكمة من الله وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر صلى عليه ابنه الحسن. وروى أنه كان عنده مسك فاضل من حنوط رسول الله ﷺ أوصى أن يحنط به ذكره البغوى. ولما بلغ عائشة موته قالت: لتصنع العرب ما شاءت فليس لها أحد ينهاها. وعن أنس رضي الله عنه قال

سمعت رسول الله ﷺ يقول: أخبرني جبريل أن الله تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح في جسده أمرني أن آخذ تفاحة من الجنة فأعصرها في خلق آدم فعصرتها فخلقك الله يا محمد من النقطة الأولى وخلق من الثانية أبا بكر ومن الثالثة عمر ومن الرابعة عثمان ومن الخامسة عليا. فقال آدم: يا رب من هؤلاء الذين أكرمتهم؟ فقال الله تبارك وتعالى: هؤلاء من ذريتك وهم أكرم عندي من جميع خلقي. فلما عصى آدم ربه قال يا رب بحرمة أولئك الخمسة الذين فضلتهم إلا تبت علي فتاب الله عليه أخرجه الطبري في «الرياض» وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج» أخرجه الملا في «سيرته».

(وأما نسب طلحة رضي الله عنه): فهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة ويكنى بأبي محمد يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ في مرة بن كعب ومع أبي بكر في عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وينسب إليه كابي بكر فيقال القرشي التيمي. أمه الصعبة بنت عبد الله بن عباد بن ملك بن ربيعة الحضرمي أخت العلاء بن الحضرمي أسلمت.

(صفته): أسمر اللون كثير الشعر حسن الوجه وكان لا يصبغ شعره مربوعا إلى القصر أقرب. ومن خصائصه بروكه للنبي ﷺ حتى صعد على ظهره إلى الصخرة فبشره رضي الله عنه أن جبريل لا يراه في القيامة في مهم إلا أنقذه منه.

(سنه): ستون سنة وقيل اثنتان وستون وقيل أربع وستون، وقيل غير ذلك.

(عدة أولاده): كان له من الأولاد أربعة عشر ولدا عشر ذكور وأربع إناث.

(وفاته): كان مقتل طلحة رضي الله عنه يوم الجمل وكان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة.

(نسب الزبير رضي الله عنه): هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ في قصي بن كلاب وينسب إلى أسد بن عبد العزى فيقال القرشي الأسدي.

(أمه): صفية بنت عبد المطلب عمسة رسول الله ﷺ أسلمت وهاجرت. روى عنه

أنه قال لابنه عبد الله: يا بني كانت عندي أمك أسماء بنت أبي بكر وعند رسول الله ﷺ أختها عائشة خالتك وعمة أبي أم حبيبة بنت أسد جدته ﷺ، وأمي صفية عمته وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف وأختها هالة بنت وهب بن عبد مناف جدتي وخديجة بنت خويلد زوجته عمتي.

(صفته): ليس بالطويل ولا بالقصير، وقيل كان طويلا يخط رجلاه في الأرض إذا ركب خفيف اللحية أسمر اللون أشعر، وكان لا يغير شيبه، وهو أول من سل سيفاً في سبيل الله فدعا له النبي ﷺ بالخير ودعا لسيفه.

(سنه): سبع وستون سنة، وقيل ست وستون، وقيل أربع وستون، وقيل ستون، وقيل واحد وستون، وقيل خمس وسبعون وقيل بضع وخمسون.
(أولاده): كان أولاده عشرين ولداً أحد عشر ذكراً وتسع بنات.

(وفاته) قتل فُوتِحَ يوم وقعة الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة.

(نسب سعد رضي) هو سعد بن مالك بن أبي وقاص بن وهب وقيل وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة. يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ في كلاب بن مرة. ويجتمع هو وعبد الرحمن بن عوف في زهرة كما سيأتي، وينسب إلى زهرة بن كلاب فيقال القرشي الزهري. ومن فضائله رضي شهادة النبي ﷺ بنسبه. روى عنه أنه قال للنبي ﷺ: من أنا يا رسول الله ﷺ؟ قال: أنت سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة، من قال غير ذلك، فعليه لعنة الله.

(أمه) حَمَنَةُ بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، ولم يزل اسمه في الجاهلية والإسلام سعداً، وكنيته أبو إسحاق.

(صفته) كان رجلاً قصيراً غليظاً ذا هامة، أسمر اللون جعد الشعر أشعر الجسد ويخضب بالسواد. وقيل: إنه كان طويلاً، وهو أول من رمى سهماً في سبيل الله، وكان مجاب الدعوة لدعاء النبي ﷺ له بذلك حيث قال: اللهم استجب لسعد إذا دعاك. وقوله

عليه السلام : اللهم سدد سهمه وأجب دعوته وجمع له النبي ﷺ بين أبويه ولم يجمع لأحد غيره، وذلك أنه جعل يقول له يوم أحد ارم يا سعد فذاك أبي وأمي.

(سنه) كان له من العمر يوم مات بضع وستون سنة، وقيل بضع وسبعون، وقيل بضع وثمانون وقيل بضع وتسعون.

(أولاده) كان له من الأولاد أربعة وثلاثون ولدا، سبعة عشر ذكرا، وسبع عشرة أنثى.

(وفاته) توفي رحمه الله سنة خمس وخمسين من الهجرة، وقيل أربع وخمسين، وقيل ثمان وخمسين وكف بصره في آخر عمره، وكان آخر العشرة موتا.

(نسب سيدنا سعيد) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عد العزّي بن رباح^(١) بن عبد الله بن قرط بن رزّاح بن عدّي بن كعب بن لؤي يجتمع نسبه بالنبي ﷺ في كعب بن لؤي ومع سيدنا عمر في نفيل بن عبد العزّي المتصل بكعب. وينسب إلى عدّي فيقال القرشي العدوي وعمر بن الخطاب ؓ ابن عم أبيه، ولم يزل اسمه في الجاهلية والإسلام سعيدا ويكنى بأبي الأعور.

(أمه) فاطمة بنت بعجة بن ملح الخزاعية.

(صفته) كان أسمر اللون طويلا أشعر.

(سنه) كان سنه بضعاً وسبعين سنة بتقديم السين. قال أهل السير: كان له من الأولاد واحداً وثلاثون ولدا، ثلاثة عشر ذكرا وثمان عشرة أنثى.

(وفاته) توفي رحمه الله بالعقيق وحمل إلى المدينة ودفن بها سنة خمسين من الهجرة أو إحدى وخمسين في أيام معاوية.

(نسب سيدنا عبد الرحمن) هو عبد الرحمن بن عثمان بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ في كلاب بن مرة ويجتمع هو وسعد في زهرة وينسب إليه فيقال القرشي الزهري.

(أمه) الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث الزهرية ابنة عم أبيه، أسلمت وهاجرت كان

(١) تحرف في د والمطبوع إلى: رباح.

اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل عبد الحرب وقيل عبد الكعبة، فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن وكان يصفه بالصادق البار.

(كنيته): أبو محمد.

(صفته): كان طويلا حسن الوجه رقيق البشرة أبيض اللون مشربا بحمرة وكان لا يصبغ لحيته فسخم الكفين غليظ الأصابع أثنى جعد الشعر له جمرة من أسفل أذنيه ساقط الثنيتين وبه عرج من جراحة أصيب بها يوم أحد، ومن خصائصه صلاة النبي ﷺ خلفه في بعض الأحوال.

(سنه): كان عمره خمسا وسبعين سنة وقيل ثلاثا وسبعين وقيل اثنتين وسبعين. ودفن بالبقيع وقبره معروف. وصلى عليه عثمان بن عفان وكان أوصاه بذلك.

(أولاده): كان له من الأولاد ثمانية وعشرون ولدا عشرون ذكورا وثمان إناث.

(وفاته): قال أهل السير: توفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه سنة إحدى وثلاثين من الهجرة النبوية وقيل سنة اثنتين وثلاثين منها، وكان ذا مال عظيم ودنيا طائلة حتى روى أن إحدى زوجاته صولحت عن نصيبها من الميراث على ثمانين ألف دينار.

(نسب سيدنا عامر): هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن منه بن الحارث بن فهر، وهو قرشي يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ في فهر بن مالك الذي هو جماع قريش وينسب إلى فهر فيقال القرشي الفهري وهو أبعد العشرة نسبا من رسول الله ﷺ.

(أمه) من بني الحارث بن فهر أسلمت ولم يزل اسمه في الجاهلية والإسلام عامرا.

(وكنيته) أبو عبيدة.

(صفته) كان رجلا طويلا نحيفا أترم الثنيتين خفيف اللحية يخضب بالحناء والكتم وسبب خروج ثنيتيه أنه انتزع سهمين من جبهة رسول الله ﷺ يوم أحد وقيل إن المنتزع حلقتا الدرع. قال الطبري: ويجوز أن يكون السهمان أثبتا حلقتي الدرع فانتزع الجميع.

ونقل أنه ما رثى أهتم كان أحسن منه ﷺ والأهتم والآثرم بمعنى واحد. ومن خصائصه شهادة النبي ﷺ بأنه أمين هذه الأمة.

قاعدة: قال العلماء: إذا شهد الرسول ﷺ لبعض أصحابه بفضيلة عليهم وجب القطع بأنه أفضل منهم في تلك الفضيلة، فيجب أن يقطع بأن أبا عبيدة أفضل من أبي بكر وعمر وغيرهما في فضيلة الأمانة. وأن أبا ذر أفضل منهم جميعاً في تحرى الصدق حيث قال فيه ﷺ: أصدقكم لهجة أبو ذر، وأن علياً كرم الله وجهه أفضاهم حيث قال: أفضاكم على، وأن معاذاً أعلمهم بالحلال والحرام حيث وصفه بذلك والفضل المطلق لأبي بكر الصديق بلا خلاف. انتهى.

(سنه): كان له من العمر يوم مات [ثمان وخمسين سنة^(١)].

هذا تمام نسب العشرة الكرام ﷺ فما خرج أحد منهم عن قريش وكلهم نسبه ثابت من قريش من الجهتين من جهة أبيه ومن جهة أمه ما عدا طلحة وسعيد بن زيد فإن أميهما غير قرشيتين لأن أم طلحة بنت الحضرمي وأم سعيد خزاعية كما تقدم.

ذكر وصف كل واحد من العشرة

ﷺ بصفة حميدة

عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: أرحم امتي بامتى أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأشدهم حياء عثمان، وأفضاهم على بن أبي طالب، ولكل نبي حوارى، وحوارىي طلحة والزبير وحيث ما كان سعد بن أبي وقاص كان الحق معه، وسعيد بن زيد من أحبباء الرحمن، وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن، وأبو عبيدة بن الجراح أمين الله وأمين رسوله، ولكل نبي صاحب سر، وصاحب سرى معاوية بن أبي سفيان، فمن أحبهم فقد نجا، ومن أبغضهم فقد هلك.

(وعنه) ﷺ أنه قال: أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة إلى تمام العشرة. وعن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: من أحسن القول في أصحابي فقد برئ من النفاق ومن

(١) مكان ما بين حاصرتين بياض بالأصلين، والتكلمة عن الاستيعاب ج ٤ ص ١٧١١.

أساء القول في أصحابي كان مخالفاً لستى وماواه النار وبش المصير: وهذا عام في جميع الصحابة فحصل الفضل للعشرة خصوصاً وعموماً.

وروى أن الله تعالى جمع بين أرواح العشرة قبل خلقهم وخلق من أنوار تلك الأرواح طائراً واحداً وهو في الجنة. أخرجه الملا في «سيرته» وغيره فانظر كيف جمع الله بينهم أرواحاً قبل خلقهم أشباحاً ثم جمع بينهم أشباحاً وأرواحاً في النسب والصحبة والإخاء والتوَادد والتراحم في محبة رسول الله ﷺ ثم في الجنة، فالسعيد من تولى جملة منهم وجملة جميع الصحابة ولم يفرق بين أحد منهم واهتدى بهديهم وتمسك بحبلهم. والشقي من تعرض للخوض فيما شجر بينهم وأتبع نفسه هواها في سب أحد منهم فله الحمد والمنة والفضل أن أعاذنا من ذلك ونسأله تمام هذه المنة ودوامها إلى الممات مع حسن الخاتمة آمين. عدنا لما نحن بصدده.

(اعلم): أنه قد اختلف في قريش لم سميت قريشا، فقيل: سميت باسم دابة تسكن البحر يقال لها القريش تشببها لهم بها لشدتهم ومنعتهم^(١)، لأن هذه الدابة تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلق. قال في «المدارك» وهي دابة عظيمة تعبت بالسفن فلا تطاق إلا بالنار والتصغير للتعظيم انتهى، وفي شعر اللهي:

وقريش هي التي تسكن البحر
مر بها سميت قريش قريشا
تأكل الفث والسمين ولا تتد
مرك فيه لدى الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حى قريش
ياكلون البلاد أكلا قشيشا
ولهم آخر الزمان نبي
يكثر القتل فيهم والخموشا^(٢)

والقشيش مصدر قشت الحية، وهو صوتها من جلدها، وقيل سميت بقريش بن يخلد ابن غالب بن فهر، وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ١٠٥.

(٢) الشعر لدى الأزرقى في أخبار مكة ج ١ ص ١٠٩.

قريش . وقيل : إن قصيا قرشها أي جمعها من الأقطار وردّها إلى مكة ولذلك سمي مجمعا كما تقدم في شعر الفضل بن عباس بن عتبة ، ومن شعره أيضا :

نحن كنا سكانها من قريش

وبنا سميت قريش قريشًا

وقيل : بل كان اسم قصي قريش فسميت به والأشهر أن اسمه زيد كما تقدم ، وقيل : لأنهم كانوا يتقرشون في البياعات أي يتكسبون ، والتقرش التكسب ، وقيل : إن الضر كان يقال له القرشي فسموا باسمه ، وقيل : لأنهم كانوا يقرشون عن خلة الحاج فيسدونها ، والتقرش : التفتيش ويدل لذلك قول الحارث بن حلزة^(١) اليشكري :

أيها الناطق المقرش عنا

عند عمرو فهل لنا إيفاء

أي المفتش . واعلم أن قريشا ثلاثة أصناف : صنف منهم قريش الأباطح ويسمون أيضا قريش البطاح ، وصنف منهم قريش الظواهر ، والصنف الثالث ليسوا من الأباطح ولا من الظواهر . أما قريش الأباطح : فبنو عبد مناف وأسد بن عبد العزى بن قصي ، وزهرة وتيم ، وبنو مخزوم وبنو سهم وجمع وعدى وبنو حسل^(٢) بن عامر بن لؤى ، وبطنان من بنى الحارث بن فهر . وأما قريش الظواهر : فبنو الأدرم بن غالب ، وبنو محارب ، وبنو فهر الأبطنين ، وبنو معيص^(٣) بن عامر بن لؤى . وأما غير هؤلاء من قريش فليسوا من الأباطح ولا من الظواهر وذلك لأنهم خرجوا عن مكة فتنحوا عن البلاد . منهم ساسة بن لؤى وقع بعمان ، وجشم بن لؤى ، وهو خزيمة وقع باليمامة فهم في بنى هزّان من غنزة^(٤) وبنانة في شيبان وهم بنو سعد بن لؤى ، وهم في شيبان ، وبنو الحارث بن لؤى وهم أيضا في بنى أبي ربيعة بن شيبان بن ذهل بن شيبان ، وإنما سموا الأباطح لأن قصيا أدخلهم معه إلى بطن مكة وأقام الآخرون بالظواهر كذا في «الغاية» للإتقاني ، وعزاه إلى «شرح ديوان كثير» لمحمد بن حبيب .

(١) تحرف في الأصل والمطبوع إلى : «خلدة» وصوابه في المفضليات ١٣٢ ، الشعر والشعراء ج ١ ص

(٢) تحرف في المطبوع إلى : «حنيل» .

(٣) تحرف في الأصلين إلى «بنو معيص» وصوابه لدى ابن هشام ج ٢ ص ٥٩٢ .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : «عتر» وصوابه من : د وجمهرة ابن حزم ص ١٣ .

ثم اعلم أن طبقات العرب: ست شعب وقبائل وعمارة وبطون وأفخاذ وفصائل فخزيمة
شعب ركنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة، وسميت شعوبا
لأن القبائل تتشعب منها، والشعب - بفتح الشين - والعمارة - بفتح العين المهملة - وفي
«معالم التنزيل» قيل: إن الشعوب من العجم والقبائل من العرب، والأسباط من بني
إسرائيل انتهى. قال القرطبي في «تفسيره» وقد نظمها بعضهم فقال:

قبيلة قبلها شعب وبعدهما
عمارة ثم بطن بعده فخذ
وليس يؤوى الفتى إلا فصيلته
ولا سداد لسهم ما له قذذ

انتهى. والقذذ بالذال المعجمة. قال في «القاموس»: والفصائل هي العشائر واحدها
عشيرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ أي عشيرته التي تضمه.

فرعان:

الأول: يعتبر التفاضل عندنا بين قريش في حق الكفاءة لقوله ﷺ: قريش بعضهم
أكناء لبعض حتى لو تزوجت هاشمية قرشيا غير هاشمي صح عقدها، وإن تزوجت عربيا
غير قرشي فللأولياء حق الرد إلا أن يكون الولي هو الأب أو الجد فإن لهما تزويج الصغيرة
بغير كفاء وبغبن فاحش في المهر عند أبي حنيفة رضي الله عنه خلافا لصاحبيه، والتعليل من
الطرفين مقرر في محله. ألا ترى رسول الله ﷺ زوج بنته رقية وأم كلثوم من عثمان
ولهذا لقب بذي النورين، وكان أمويا لا هاشميا، وزوج علي ابنته أم كلثوم من عمر بن
الخطاب وكان عدويا لهاشميا فثبت أن قريشا كلهم سواء في حق الكفاءة.

الثاني: مذهب الإمام محمد بن الحسن من أصحابنا أن التفاضل إنما يعتبر فيما بين
قريش إذا كان النسب مشهورا في الحرمة كأهل بيت الخلافة، حتى لو تزوجت قرشية من
بنات الخلفاء قرشيا ليس من أولاد الخلفاء يكون للأولياء حق الرد، وكأنه قال هذا لتسكين
الفتنة وتعظيم أمر الخلافة لا لانعدام أصل الكفاءة كذا نقله الإقناني في «الغاية» والله تعالى
أعلم.

الباب التاسع

في ذكر مبدأ بئر زمزم^(١) وسبب حفر عبد المطلب لها

وفضل مائها وأفضليته وبركته وخواصه وما ورد في ذلك

اعلم أن بئر زمزم تنسب إلى سيدنا إسماعيل صلوات الله عليه وسببه أن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام لما هاجر بإسماعيل وأمه من الشام إلى مكة شرفها الله تعالى وكانت إذ ذاك ترضعه وضعهما تحت دوحة، وهي شجرة كبيرة وليس معهما إلا شنة فيها قليل ماء ولم يكن بمكة يومئذ أحد ولا بها ماء، ووضع عندهما جراباً فيه تمر ثم ذهب راجعاً إلى الشام فتبعته أم إسماعيل فقالت له: يا إبراهيم، إلى أين تذهب وتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس؟ وجعلت تردد ذلك مراراً وإبراهيم لا يلتفت إليها. فقالت له: آله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذا لا يضيعنا، ثم رجعت عنه.

فانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا غاب عن البصر وقف واستقبل البيت ورفع يديه ودعا بالآيات ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ﴾ إلى قوله تعالى ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ثم مضى سائراً وجعلت أم إسماعيل ترضعه وتشرب من ذلك الماء وابنها يدر على صبيها إلى أن نفذ فعطشت وعطش ابنها وصار يتلوى، وفي رواية يتلبط فانطلقت كراهة أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل يليها فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي ورفعت طرف درعها ثم سبت أي جرت - سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات فكان فعلها ذلك سبب السعى بين الصفا والمروة.

فلما أشرفت على المروة آخرا ولم يكن في الوادي غيرها سمعت صوتاً فقالت: صه، تريد نفسها، ثم تسمعت، فإذا الصوت فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي

(١) انظر في بئر زمزم: أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٣٩ وما بعدها، شفاء الغرام ج ١ ص ٣٩٧ وما بعدها.

بالمك يعنى جبريل عليه السلام عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو بجناحه حتى ظهر الماء فصارت تحوطه بيدها وتغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد أن تغرف.

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ولم تغرف من الماء لكانت عينا معينا. فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها جبريل: لا تخافى الضيعة فإن هاهنا بيت الله بينه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله كذا فى «صحيح البخارى».

فاستمرت زمزم كذلك إلى أن مرت رفقة من جرهم يريدون الشام فرأوا طائرا يحوم على جبل أبى قبيس عائفا فقالوا، إن هذا الطير ليدور على ماء وعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء، فأرسلوا رسولا فرأى الماء فأخبرهم فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء فقالوا لها: أتأذنين لنا أن نزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لاحق لكم فى الماء، قائلوا: نعم. فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى صاروا أهل أبيات وأول سكان مكة، وشب إسماعيل عليه بالسلام وتعلم العربية منهم وزوجوه امرأة من نسائهم، ثم لم تلبث أم إسماعيل أن ماتت ولها من العمر تسعون سنة ولإسماعيل عشرون سنة، فدفنتها فى الحجر.

واسمها هاجر، وقيل: آجر بالهمزة والمد القبطية وقيل الجرهمية، وكانت للجبار الذى يسكن عين البحر التى بقرب بعليك، فوهبها لسارة امرأة إبراهيم فوهبتها لإبراهيم صلوات الله عليه.

فائدة استطرادية

قال فى «منهاج التائبين»: اختلف العلماء فى الذبيح هل هو إسماعيل أم إسحاق؟ فقال قوم: هو إسحاق عليه السلام وإليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ومن التابعين وأتباعهم كعب الأحمار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبى بزة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهرى والسدى ورواد عكرمة رابن جبير عن ابن عباس.

وقال آخرون: هو إسماعيل وإلى هذا ذهب عبد الله بن عمر، وأبو الطفيل عامر بن وائلة وسعيد بن المسيب والشعبى ويوسف بن مهراون ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن

كعب القرظي والكلبي ورواه عطاء بن أبي رباح وأبو الجوزاء ويوسف بن ماهك عن ابن عباس، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت.

واحتج القائلون بأنه إسحاق من القرآن بأن الله تعالى أخبر عن خليله عليه السلام حين فارق قومه مهاجراً إلى الشام بامرأته سارة وابن أخيه لوط عليه السلام: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ﴾ (سورة الصافات: ٩٩) أنه دعا إذ ذاك فقال ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة الصافات: ١٠٠) وكان ذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن تصير له، ثم اتبع ذلك الخبر عن إجابته ودعوته وتبشيريه إياه بغلام حلیم، ثم عن رؤيا إبراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذي بشر به حين بلغ معه السعى، وليس في القرآن أنه بشر بولد إلا بإسحاق.

وأما حجة القائلين بأنه إسماعيل من القرآن فهو ما رواه محمد بن إسحاق عن محمد ابن كعب القرظي أنه كان يقول إن الذي أمر الخليل عليه السلام بذبحه هو إسماعيل لأن الله تعالى قال حين فرغ من قصة المذبح ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة الصافات: ١١٢) وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (سورة هود: ٧١) ابن رابن ابن، ولم يكن يأمره بذبح إسحاق وله فيه من الله الموعود، فلما لم يذكر الله تعالى إسحاق إلا بعد انقضاء الذبح ثم بشره بولد إسحاق علم أن الذبيح إسماعيل.

أقول: فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة إذ كنت معه بالشام فقال لي عمر وإني لأراه كما قلت، ثم أرسل عمر إلى رجل كان يهودياً بالشام وقد أسلم وحسن إسلامه فسأله عن ذلك وأنا عنده فقال: الذبيح إسماعيل وإن اليهود لتعلم ذلك، ولكنهم يحسدون العرب على ذلك لكون إسماعيل أباهم ويقولون: إنه إسحاق لأنه أبوهم انتهى قول صاحب «المنهاج».

(أقول): احتجاج القرظي رحمه الله بهذه الآيات المذكورة في كون الذبيح إسماعيل عليه السلام لا يتم إلا بأن تكون آية الذبح متقدمة تلاوة ونزولاً، أما لو تقدمت تلاوة وتأخرت عن آية البشري في النزول احتملت أن يكون إسحاق هو الذبيح أيضاً وسقط الاستدلال بها. وأما قول القرظي: ولم يكن يأمره إلى آخره الذي فسر به الآية الأخرى من سورة هود لا ينافي كون الذبيح إسحاق، لأنه لما سبق في علم الله سبحانه أنه لا يذبح،

ثم أمر خليله بذلك علم أن الأمر للامتحان كما هو شأن الله تعالى في أنبيائه وأحبابه . فلما مضى الخليل صلوات الله عليه لما أمر به منشرح الخاطر راضيا بما قضاه الله تعالى شكر الله له ذلك وسلم ابنه له من انذبح ببركة التسليم وفدى بالذبح العظيم . وصحت البشرية وتم الموعد في هذه الآية التي لم يتقدم قبلها قصة ذبح . انتهى .

عدنا إلى المقصود: ولم تزل رمزم كذلك إلى أن دفتها جرهم حين ظعنوا من مكة بين صنمى قريش إساف - بكسر الهمزة - ونائلة، وقيل بل دفتها السيول، فاستمرت مدفونة إلى أن نبه عبد المطلب وأمر بحفرها^(١) . وله منقبتان عظيمتان: إهلاك أصحاب الفيل كما تقدم، وحفر بئر زمزم .

ذكر ابن إسحاق وغيره أن عبد المطلب بينما هو نائم إذ أتاه آت فقال له: احفر طيبة، فقال له: وما طيبة؟ فذهب عنه ثم جاءه مرة أخرى فقال له احفر المذنونة فقال له وما المذنونة؟ فذهب عنه ثم جاءه مرة ثالثة فقال له: احفر زمزم، فقال له عبد المطلب وما زمزم؟ قال لا تنزف أبدا ولا تُذَمَّ^(٢) تسقى الحجيج الأعظم وهي بين الفرت والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل^(٣) .

وفي رواية احفر زمزم، إنك إن حفرتها لم تندم، وهي تراث من أبيك الأعظم لا تنزف أبدا ولا تُذَمَّ إلى آخر ما تقدم .

فلما بين له شأنها غداً بمعوله ومعه ابنه الحارث وليس معه يومئذ غيره فحفرها، فلما بدا له أعلى البئر كبر فحسدته بطون قريش وهموا أن يمنعوه وقالوا له: أشركنا معك، فقال لهم: ما أنا بفاعل شيء خصصت به دونكم، فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه فقالوا: كاهنة بنى سعد^(٤) .

فخرجوا إليها فعطشوا في الطريق حتى أيقنوا بالهلاك، فقال عبد المطلب: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا لعجز فعسى الله أن يرزقنا ماء فارتحلوا بنا^(٥) .

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٢٩٨ .

(٢) تحرف في الأصلين إلى: 'ولا تزم' وصوابه لدى ابن هشام، ولا تدم: أي لا توجد قليلة الماء .

(٣) ابن هشام ج ١ ص ١٤٣ .

(٤) منائح الكرم ج ١ ص ٤٠٤ .

(٥) منائح الكرم ج ١ ص ٤٠٤ .

وقام عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت تحت خفها عين ماء عذب، فكبر عبد المطلب، وكبر أصحابه وشربوا جميعا، وقالوا: قد قضى لك علينا الذى سقاك، فوالله لا نخاصمك فيها أبدا^(١).

فرجعوا وخلوا بينه وبين زمزم، وكفاه الله شهم، فنذر عند ذلك لثن رزق عشرة من الذكور يمنونه ليتقرب إلى الله بذبح أحدهم. فلما تم له عشرة من الذكور أعلمهم بنذره، فقالوا له: أوف بنذك واقض فينا أمرك، فأسهم بينهم فخرج السهم على عبد الله أبى النبي ﷺ، فأراد أن يذبحه فمنعته قريش وأخواله من بنى مخزوم لثلا يكون ذلك فيهم سنة، فتحاكموا إلى كاهن كان بالمدينة، وقيل كاهنة، فأفتاهم بأن يسهم على عبد الله وعلى عشرة من الإبل، وكانت عندهم إذ ذاك دية الرجل ففعل عبد المطلب ذلك، فخرج السهم على عبد الله أيضا، فقال له الكاهن: زد عشرا أخرى فإن ربك لم يرض، فزاد فخرج السهم على عبد الله فأمره الكاهن بزيادة عشرة أخرى فزاد، وفى كل ذلك يخرج السهم على عبد الله حتى بلغ العدد مائة من الإبل فخرج السهم حينئذ على الإبل، فقال له الكاهن: أعد القرعة، فأعادها فخرج على الإبل، ثم أعادها ثلثا، فخرج على الإبل، فقال له الكاهن: قد رضى ربك فانحرها فداء عن ابنك، ففعل فاستمرت الدية فى قريش مائة من الإبل من يومئذ^(٢).

ثم جاء الشرع فقررها دية لكل واحد من المسلمين، واستمرت زمزم لا يصد عنها أحد ولا يمنع إلى يومنا هذا كما ترى.

ويروى أن عبد المطلب لما حفر زمزم وجد غزالين من ذهب يقال: إن جرهما دننتهما حين خرجوا من مكة، ووجد أسيافا وسلاحا، فأرادت قريش أن يشاركوه فيها فامتنع وضرب بالقداح، فخرج الغزالان للكعبة والسلاح لعبد المطلب، ولم يخرج لقريش شيء بل تخلف قدحاها فضرب الأسياف التى خرجت له مع أحد الغزالين على باب الكعبة، وجعل الغزال الآخر فى الجب الذى فى بطن الكعبة، فكان ذلك أول حلية للكعبة. أخرجه الأزرقى^(٣).

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٤٧ وما بعدها.

(١) منائح الكرم ج ١ ص ٤٠٥.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٤٦.

وأما فضل ماء زمزم وبركته، فرورى عن جابر رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : من طاف بالبيت سبعمائة وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت. أخرجه الواحدى فى «تفسيره» وغيره.

وروى الطبرانى وغيره أنه ﷺ جاء إلى زمزم فترعوا له دلوفاً فشرب ثم مَجَّ فى الدلو ثم صبه فى زمزم ثم قال: لو لا أن تغلبوا عليها لنزعت معكم.

وفى رواية أنه غسل وجهه وتمضمض منه ثم أعاده فيها. وروى أن الذى نزع له الدلو هو العباس بن عبد المطلب. وروى الواقدى أنه نزعه لنفسه، وهو ضعيف جداً. وروى جابر عن النبى ﷺ أنه قال: ماء زمزم لما شرب له، وقال العلامة بركة المتأخرين شيخ الإسلام السيوطى: هذا الحديث أخرجه ابن ماجه بسند جيد. وأخرجه الخطيب فى «التاريخ» بسند صححه الدمياطى والمنذرى. وضعفه النووى وحسنه ابن حجر لوروده من طرق عن جابر. وورد من حديث ابن عباس وابن عمر مرفوعاً.

وأخرج الديلمى: ماء زمزم شفاء من كل داء، وسنده ضعيف جداً. انتهى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم أخرجه الطبرانى فى «معجمه» بسند رجاله ثقات وصححه ابن حبان. وعنه أيضاً أنه ﷺ قال: إن التصلع من ماء زمزم علامة ما بيننا وبين المنافقين. وعنه أن النبى ﷺ كان إذا أراد أن يتحف الرجل بتحفه سقاه من ماء زمزم. وعنه أيضاً قال رسول الله ﷺ : ماء زمزم لما شرب له إن شربته تستشفى به شفاك الله، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه هى هزيمة جبريل وسقيا الله إسماعيل^(١). وروى أن فى بعض كتب الله المنزلة: زمزم لا تتزف ولا تدم لا يعمد إليها امرؤ فيتصلع منها ريباً ابتغاء بركتها إلا أخرجت منه مثل ما شرب من الداء، وأحدثت له شفاء، وما امتلأ جوف عبد من زمزم إلا ملأه الله علماً وبراً^(٢).

وعن وهب بن منبه أنه قال: والذى نفسى يده إن زمزم لفى كتاب الله عز وجل مضمونة، وإنها لفى كتاب الله برة، وإنها لفى كتاب الله شراب الأبرار، وإنها لفى كتاب الله طعام طعم، وشفاء سقم^(٣).

(٢) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٥٠.

(١) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٥٠.

(٣) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٤٩.

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: خير وأديين في الناس: وادي مكة وواد بالهند الذي هبط به آدم عليه السلام، ومنه يؤتى بهذا الطيب الذي يتطيب به الناس. وشر واديين في الناس: راد بالأحقاف، وواد بحضرموت يقال له برهوت. وخير بئر في الناس زمزم، وشر بئر في الناس برهوت، وإليها تجتمع أرواح الكفار^(١). كما سيأتي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الحمى من فيح جهنم فأبردوها بماء زمزم رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن حبان، ورواه البخاري في صحيحه على الشك فکان: فأبردوها بالماء أو بماء زمزم^(٢).

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: خمس من العبادة: النظر إلى المصحف، والنظر إلى الكعبة، والنظر إلى الوالدين، والنظر في زمزم وهي تحط الخطايا، والنظر في وجه العالم رواه الدارقطني.

فصل في فضائل ماء زمزم

اعلم أن لماء زمزم فضائل كثيرة وعجائب شهيرة، فمن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال كان أهل مكة لا يسابقهم أحد إلا سبقوه ولا يصارعهم أحد إلا صرعوه حتى رغبوا عن ماء زمزم أخرجه أبو ذر.

ومنها ما أخرجه الأزرقى عن عكرمة بن خالد قال: بينما أنا ليلة في جوف الليل عند زمزم جالس إذا نفر يطوفون عليهم ثياب لم أر بياضها لشيء قط، فلما فرغوا صلوا قريباً مني فالتفت بعضهم لأصحابه فقال: اذهبوا بنا نشرب من شراب الأبرار، فقاموا ودخاوا زمزم، فقلت: لو دخلت على القوم فسألتهم، فدخلت فإذا ليس فيها أحد من البشر^(٣).

ومنها ما أخرجه أيضاً أن أبا ذر الصحابي رضي الله عنه قال: لما قدمت مكة مكثت أربعة عشر يوماً بلياليها وما لى طعام ولا شراب إلا زمزم حتى تكسرت عكن بطني، وما أجد على كبدي سخفة الجوع^(٤)، يعني رفته وهزاله. وقيل: هي الخفة التي تعترى الإنسان إذا جاع.

ومنها ما أخرجه أيضاً عن بعض الموالى أنه قال: كنت مع أهلي بالبادية فابتعت بمكة،

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٥٠.

(٢) القرى ص ٤٨٧.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٥١.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٥٣.

ثم أعتقت فمكثت ثلاثة أيام لا أجد شيئاً أكله، فانطلقت إلى زمزم فبركت على ركبتى مخافة أن أستقى وأنا قائم فيرفعنى الدلو من الجهد، فجعلت أنزع قليلاً قليلاً حتى أخرجت الدلو، فشربت فإذا أنا بصريف اللبن فقلت: لعلّى ناعس، فضربت بالماء على وجهى وانطلقت وأنا أجد قوة اللبن وشبعه^(١). ومعنى صريف اللبن: ساعة يصرف عن الضرع.

ومنها ما أخرجه أيضاً عن بعض الرعاة من العباد أنه كان إذا حصل له ظمأ وشرب من زمزم وجد الماء لبناً، وإذا أراد أن يتوضأ وجدته ماء^(٢).

ومنها ما ذكره الفاسى عن الفاكهى أن رجلاً شرب سويقاً وكان فى السوق إبرة، فنزلت فى حلق الرجل واعترضت، وصار لا يقدر يطبق فمه، فأتاه آت فقال له: اذهب إلى ماء زمزم، فاشرب منه واسأل الله الشفاء. فدخل إلى زمزم فشرب منه شيئاً وما أساغه إلا بعد جهد ومشقة من ألم تلك الإبرة ثم خرج وهو على تلك الحال، فانتهى إلى أسطوانة من أساطين المسجد واستند إليها فغلبته عيناه فنام ثم انتبه من نومه ولم يجد من ذلك الألم شيئاً^(٣).

ومنها أن الشيخ العلامة السمفتى أباً بكر عمر الشهير بالشينى - بشين معجمة ونون ثم مشناة من تحت ونون وياء النسبة - أحد بنى العلماء المعتبرين ببلاد اليمن، حصل له استسقاء عظيم واشتد به فذهب إلى طبيب فلما رآه أعرض عنه، وقال لبعض أصحابه: هذا ما يمكن ثلاثة أيام فانكسر خاطره لذلك، وألقى الله بباله أن يشرب من ماء زمزم بنية الشفاء عملاً بالحديث، فقصد زمزم وشرب منه حتى تضلع فأحس بانقطاع شىء فى جوفه، فبادر حتى وصل إلى رباط السدرة الذى هو الآن مدرسة السلطان قايتباى رحمه الله فأسهل إسهالاً كثيراً ثم عاد إلى زمزم وشرب منها ثانياً حتى امتلأ رياً، ثم أسهل إسهالاً بليغاً فشفاه الله من ذلك الاستسقاء. فبينما هو فى بعض الأيام برباط ربيع يغسل ثوبه وإذا بالطبيب الذى أعرض عن ملاطفته قد رآه، فقال له: أنت صاحب تلك العلة؟ قال: نعم فقال له: بم تداويت؟ فقال: بماء زمزم، فقال الطبيب: لطف بك^(٤).

(٢) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٥٤.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٠.

(١) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٥٣.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٠٩.

ومنها أن أحمد بن عبد الله المعروف بالشريفي الفراش بالحرم الشريف المكي حصل له عمى، فشرب من ماء زمزم بنية التداوى فشفى من ذلك العمى^(١).

ومنها أن رجلاً آخر عمى فشرب من ماء زمزم وصب في عينيه منه بنية الشفاء فشفى في أسرع وقت. وهذا من العجب فإن الأطباء ينهون عن إدخال الماء في العين ويجعلونه من أسباب العمى.

ومنها ما ذكر الحافظ الذهبي في «طبقات الحفاظ» أن الخطيب البغدادي لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث مرات وسأل الله ثلاث حاجات: الأولى أن يحدث بتاريخ بغداد بها، الثانية أن يملئ الحديث بجامع المنصور، الثالثة أن يدفن عند بشر الحافي، فقضى الله له ذلك^(٢).

ومنها أن الحاكم أبا عبد الله شربه لحسن التصنيف وغيره فكان أحسن أهل عصره تصنيفاً.

ومنها ما ذكره العلامة التاج السبكي في «طبقاته» في ترجمة محمد بن إسحاق بن خزيمة، أنه قيل له: من أين أتيت هذا العلم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: ماء زمزم لما شرب له، وإنى لما شربته سألت الله علماً نافعاً^(٣).

ومنها ما ذكره العلامة الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر عن نفسه فقال: وأنا شربته مرة وسألت الله وأنا في بداية طلب الحديث أن يرزقني الله حالة الذهبي في حفظ الحديث، ثم حججت بعد مدة تقرب من عشرين سنة، وأنا أجد من نفسي المزيد على تلك المربة، فسألت رتبة أعلى منها، فأرجو الله أن أنال ذلك^(٤).

ومنها ما نقل عن الإمام الشافعي رحمته، أنه قال: شربت من ماء زمزم لثلاث: شربته للعلم، وشربته للرمى فكنت أصيب عشرة عشرة ومن عشرة تسعة، وشربته للجنة وأرجوها.

ومنها ما أخرجه أبو الفرج في «مثير الغرام» عن الشيخ أبي عبد الله الهروي أنه قال

(٢) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١١٣٩.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٠.

(٤) طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٧٩.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ١١٠.

لبعض أصحابه: دخلت المسجد في السحر فجلست إلى زمزم وإذا بشيخ قد دخل إلى زمزم وثوبه مسدول على وجهه، فأتى البئر فترع الدلو فشرب فأخذت فضلته فشربتها، فإذا سويق لوز لم أذق قط أطيب منه، ثم التفت فإذا الشيخ قد ذهب ثم عدت في الليلة الثانية عند السحر فجلست إلى زمزم، فإذا الشيخ قد دخل إلى زمزم فترع الدلو فشرب فشربت فضلته، فإذا ماء مضروب بعسل لم أذق قط أطيب منه، ثم ذهب الشيخ فعدت في الليلة الثالثة عند السحر فجلست عند زمزم، فإذا الشيخ قد أتى زمزم فترع الدلو فشرب فأخذت فضلته فشربتها، فإذا سكر مضروب بلبن لم أذق قط أطيب منه، فأخذت ملحفته فلحفته على يدي، وقلت: يا شيخ، بحق هذه البنية عليك، من أنت؟ قال: تكتم على حتى أموت؟ قلت: نعم، قال أنا سفيان بن سعيد الثوري^(١).

ومنها ما أخرجه أبو الفرج أيضاً عن الحميدي أنه قال: كنا عند سفيان بن عيينة فحدثنا بحديث: ماء زمزم لما شرب له، فقام رجل من المجلس ثم عاد فقال: يا أبا محمد، أليس الحديث الذي حدثنا به عن زمزم صحيحاً؟ فقال سفيان: نعم قال: فإني قد شربت الآن دلوا من زمزم على أنك تحدثني بمائة حديث. فقال سفيان: أقعد فحدثه مائة حديث.

فهذه الأخبار مما تؤيد صحة حديث ماء زمزم لما شرب له مع أنه صحيح الإسناد كما سبق. ولم ينصف ابن الجوزي في ذكره هذا الحديث في كتاب الموضوعات لكونه إما صحيحاً أو حسناً.

ومنها كما نقله القاضي جمال بن عبد الله الشافعي الظهيري في مؤلفه «الجواهر المكنونة في فضائل المصنونة» عن علماء الشافعية وغيرهم أن الدعاء يستجاب عند زمزم وفضائل ماء زمزم كثيرة وفي هذا القدر كفاية.

وأما أفضليته فنقل الجدة تغمده الله برحمته عن شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني أنه قال: ماء زمزم أفضل من ماء الكوثر، لأن به غسل صدر النبي ﷺ ولم يكن يغسل إلا بأفضل المياه. انتهى.

قال الجدة رحمه الله: وفيما استدل به وقفة، فقد يقال قوله: ولم يكن يغسل إلا

(١) انظر في ذلك: القرى ص ٤٨٩.

بأفضل المياه مسلم . ولكن بأفضل مياه الدنيا . إذ ماء الكوثر من متعلقات دار البقاء فلا يستعمل في دار الفناء ، ولا يشكل بكون الطست الذي غسل فيه صدره ﷺ من الجنة ، لأن استعمال هذا ليس فيه إذهاب عين بخلاف ذلك والله أعلم . انتهى .

وقد سئل شيخ الإسلام جلال الدين السيوطي تعاهده الله بالرحمة عن ذلك بما صورته :

يا غرة في جبهة الدهر افتنا
لا زلت تفتى كل من جا^(١) يسألُ
في زمزم أو ماء كوثر حشرنا
من منهما يا ذا المعالي أفضل
جوزيت بالإحسان عنا كلنا
وبجنة المأوى جزاؤك أكمل

فأجاب بما صورته :

لله حمدي والصلاة على النبي
بي محمد من للبرية يفضلُ
ما جاءنا خبر بذلك ثابت
فالوقف عن خوض بذلك أجمل
هذا جواب ابن السيوطي راجياً
من ربه التثبيت لَمَّا يسألُ

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن لماء زمزم وبثره خواص مباركة^(٢) ، (ومنها) : أنه يبرد الحمى وقد تقدم في الحديث . (ومنها) : أنه يذهب الصداع . (ومنها) : أن جميع المياه العذبة التي في الأرض ترفع وتغور قبل يوم القيامة إلا زمزم قالهما الضحاك . (ومنها) : أنه يفضل مياه الأرض كلها طبياً وشرعاً ذكر عن الإمام بدر الدين ابن الصاحب المصري أنه قال : وازنت ماء زمزم بماء عين مكة فوجدت زمزم أثقل من العين بنحو الربع ، ثم اعتبرته

(١) في المطبوع : «جاء» وهو غير صحيح عروضياً .

(٢) انظر في ذلك : شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٣ .

بميزان الطب فوجدته يفضل مياه الأرض كلها. (ومنها): أنه يحلو ليلة النصف من شعبان. وبطيّب ويقال يقول أهل مكة إن عين السلوان تتصل بزمزم في تلك الليلة. (ومنها): أنه يكثر في ليلة نصف شعبان في كل عام بحيث يفيض الماء من البئر على ما نقل، لكن لا يشاهد ذلك إلا العارفون. وممن شاهده كذلك الشيخ الصالح أبو الحسن المعروف بكرباج، وكان ذلك في عام ست وسبعمائة. (ومنها): أن الاطلاع في بئر زمزم يجلو البصر ويحط الخطايا.

(ومنها): كما أخرج الفاسي عن الفاكهي أن شيخًا من أهل مكة أسر في بلاد الروم، فقال له الملك: من أي بلد أنت؟ قال: من مكة، قال له: هل تعرف بمكة هزيمة جبريل؟ قال نعم، قال: فهل تعرف برة؟ قال: نعم، قال فهل لها اسم غير هذا قال: نعم هي اليوم تعرف بزمزم قال: إنا نجد في كتبنا أنه لا يحثو رجل على رأسه من مائها ثلاث حثيات فتصيبه ذلة أبداً^(١).

(ومنها): أنه لا يجتمع هو ونار جهنم في جوف عبد أبداً كما نقله المحب الطبري.

(ومنها): أنه يقوى القلب ويسكن الروح، ولهذا قال الحافظ زين الدين العراقي: إن الحكمة في غسل صدر النبي ﷺ بماء زمزم ليقوى به على رؤية ملكوت السموات والأرض والجنة والنار.

(ومنها): اجتماع أرواح المؤمنين في بئرها كما نقله في «منهاج التائبين» قال روى عن مجاهد بن يحيى البلخي أنه قال كان عندنا بمكة رجل من أهل خراسان وكان كثير الطواف بالليل ويعكف على قراءة القرآن بالنهاية وذلك منذ ستين سنة، وكان الناس يودعونهم ودائعهم فجاء رجل من الصالحين وكان بينه وبين الخراساني صداقة، فأودعه عشرة آلاف دينار ثم سافر، فلما قدم من سفره وجد الخراساني قد مات، فسأل أهله وأولاده عن ماله، فقالوا ما لنا به علم لا ندري ما نقول فقص أمره على فقهاء مكة يومئذ وأخبرهم بما قال له أهله وأولاده، فقالوا له: نحن نرجو أن يكون الخراساني من أهل الجنة، فإذا مضى ثلث الليل أو نصفه انت زمزم فاطلع فيها وناد يا فلان بن فلان أنا صاحب الوديعة، ففعل ذلك ثلاث ليال فلم يجبه أحد فأتى الفقهاء.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٣ و ٤١٤.

فأخبرهم بذلك فقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون. نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار، اذهب إلى اليمن فإن بها بئرا اسمها برهوت يجتمع فيها أرواح المعذبين، وهي على قم جهنم فاطلع فيها إذا مضى ثلث الليل أو نصفه، وناد يا فلان بن فلان أنا صاحب الوديعة قال: فمضيت إلى تلك البئر فاذا أنا بشخصين قد جاء فنزل فيها وهما يبكيان، فقال أحدهما للآخر: من أنت؟ قال: أنا روح رجل ظالم كنت أضمن المكوس وأكل الحرام، فرماني ملك الموت إلى هذه البئر أعذب فيها، وقال الآخر: أنا روح عبد الملك بن مروان كنت عاصيا ظالما وأنا أعذب في هذه البئر ثم سمعت لهما صراخا، فقامت كل شعرة في بدني من الفزع.

ثم تطلعت في البئر وناديت يا فلان، فأجابني من تحت العقوبة والضرب، فقلت: ويحك يا أخي، ما الذي أنزلك ها هنا؟ وبأى ذنب جئت إلى منازل الأشقياء، وقد كنت صاحب خيرا؟ قال: بسبب أختي كانت صعلوكة، وهي بارض العجم فاشتغلت عنها بالمجاورة بمكة والعبادة وما كنت أفتقدها بشيء ولا أسأل عنها، فلما مت حاسبني الله عز وجل عنها، وقال: نسيتهما، تعرى وأنت تكتسى، وتجوع وأنت شعبان مكتفى. وعزتي وجلالي: إني لا أرحم قاطع الرحم، اذهبوا به إلى بئر برهوت. فأنا معذب مع قطاع الرحم في هذه البئر، فعساك يا أخي تذهب إليها وتشرف على حالها وتطلب لي منها أن تجعلني في حل، فليس لي ذنب عند الله سوى هذا.

قال فقلت له: أين مالى الذى أودعته عندك؟ فقال: هو على حاله وإني لم أبق عليه أولادى ولا غيرهم، فدفتته فى بيتى تحت العتبة فى الموضع الفلانى فاذهب إلى أولادى وقل لهم يدخلوك دارى، فاحفر فإنك ستجد مالك.

قال فمضيت إلى الموضع الذى قال لي عنه، فحفرته فوجدت ذهبى على حاله كما ربطته، فأخذته ومضيت إلى بلاد العجم، فسألت عن أخته، واجتمعت بها وحدثتها حديثه فبكت وجعلته فى حل ثم شكت إلى القلة والضرورة فوهبتها شيئا من الدنيا، وانصرفت راجعا إلى مكة شرفها الله تعالى، فلما كان نصف الليل جئت إلى رمزم، وناديت: يا فلان، فقال: ليك، جزاك الله عنى خيرا.

فصل فيما لززم من الأسماء

نقل الفاسى عن الفاكهى رحمهما الله تعالى عن أشياخه من أهل مكة أن لززم عدة أسماء، وهى: زمزم، وهزيمة جبريل، وسقيا الله إسماعيل، وبركة، وسيدة، ونافعة، ومضنونة أى صن بها لبنى إسماعيل، لأنها أول ما أخرجت له عليه السلام، أخرجه الأزرقى^(١) عن كعب. وعونة، وبشرى، وصافية، وبرة، وعصمة، وسالمة، وميمونة، ومباركة، وكافية، وعافية، ومُغذية بضم الميم والغين المعجمة من الغذاء، وطاهرة، وحرمية بالحاء المهملة لكونها والله أعلم بالحرم، ومروية بضم الميم وتخفيف التحتية، ومؤنسة، وطعام طعم، وشفاء سقم^(١).

وذكر الفاكهى عن عثمان بن ساج أن من أسماء زمزم سابق. وذكر الفاسى رحمه الله أن لها أسماء أخرى، من ذلك: ظبية بالظاء المعجمة المشالة وبعدها باء موحدة ساكنة ثم مشاة من تحت مفترحة.

قال القاضى جمال الدين عبد الله بن ظهيرة تغمده الله برحمته سميت بها تشبيهاً بالظبية التى هى الخريطة لجمعها ماء فيها. ومن ذلك: تكتم بتاءين مثنتين من فوق بينهما كاف ثم ميم فى الآخر وهو فعل مضارع بفتح التاء الأولى وسكون الكاف وضم التاء الثانية، وشباعة العيال، وشراب الأبرار، وقرية النمل، وهزيمة إسماعيل، وحفيرة العباس. وعزا هذا الأخير إلى «معجم البلدان» لياقوت، ونقرة الغراب هذا ما ذكره. ثم قال: وقد ذكرنا معانى بعض هذه الأسماء فى أصل هذا الكتاب يريد بذلك أصل كتابه «شفاء الغرام» ولم يوجد ولا عثر عليه أحد مطلقاً.

وأخرج الأزرقى رحمه الله أن معنى تسميتها بنقرة الغراب، هو أن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم ونبه على ذلك وقيل له عند نقرة الغراب الأعصم كما تقدم، جاء إلى المسجد ليتعرف موضع الحفر بما رأى من العلامات، فبينما هو على ذلك إذ نحرت بقرة عند

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٠٤.

الحزورة فانفلتت من الذابح تجرى حتى غلبها الموت في موضع زمزم فجذرت في ذلك الموضوع. فأقبل غراب يهوى حتى وقع في الفرث فبحث عن قرية النمل فقام عبد المطلب فحفر هناك^(١) انتهى.

ولم أدر ما قرية النمل التي بحث عنها الغراب ولا وقفت على كلام فيها. والغراب الأعصم هو الذي في جناحه ريشة بيضاء كذا في «الصحاح» ومن أسماء زمزم على ما نقله السهيلي في «روضه» همزة جبريل بتقديم الميم على الزاي وقال: لأن جبريل همز بعقبه فنبع الماء، وزمزم حكاهما عن المطرز وفي بعض نسخ «الروض» ضبط زمزم بالشكل فجعل على الزاي الأولى ضمة وعلى الميم شدة وفتحة. وطيبة بالطاء المهملة بعدها ياء مثناة من تحت مشددة ثم باء موحدة كما يقتضيه كلام السهيلي.

ورأيت في النسخة التي وقفت عليها من تاريخ الأزرقى كذلك بالطاء المهملة ويقال للماء زمزم وزمزم وزمزم.

وقد اختلف في سبب تسمية زمزم بزمزم فقيل: لكثرة ماؤها. قال ابن هشام: والزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع، وقيل: لأنها زمت بالتراب حين نبع الماء لثلا يأخذ يمينا وثمانيا ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء كذا نقل عن ابن عباس. وقيل: سميت بذلك لزمزمة الماء وهي صوته، قانه الحربي^(٢). وقيل: لأن الفرس كانت تحج في الزمن الأول فترزمز عليها^(٣).

قال المسعودي: والزمزمة صوت تخرجه الفرس من خياشمها عند شرب الماء. وروى أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله بأن ينهوا الفرس عن الزمزمة وأنشد المسعودي البيت:

رَمَزَمَتِ الْفُرسُ عَلَى زَمَزَمٍ
وذاك في سالفها الأقدم^(٤)

وقيل: إن زمزم غير مشتقة^(٥). والله تعالى أعلم

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٠٥.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٤٢.

(٣) مروج الذهب ج ١ ص ٢٤٢.

(٤) مروج الذهب ج ١ ص ٢٤٢، شفاء الغرام ج ١ ص ٤٠٥.

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٠٥.

فصل في آداب الشرب من زمزم

وما ينبغي أن يقال عند ذلك

قال العلماء رحمهم الله: من أراد أن يشرب من ماء زمزم فينبغي له أن يأخذ السقاء بيده اليمنى ويستقبل الكعبة الشريفة ويقول: اللهم إنه بلغني عن نبيك ﷺ أنه قال: ماء زمزم لما شرب له، اللهم إني أشربه لكذا ويذكر ما يريد ثم يشرب ويتنفس ثلاثاً، ويسمى الله في ابتداء كل مرة ويحمده عند فراغها لما روى أن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: كنت عند ابن عباس رضي الله عنه فجاءه رجل، فقال له: من أين جئت؟ قال: من زمزم قال: فشربت كما ينبغي؟ قال: وكيف ذلك؟ قال: إذا شربت منها استقبلت الكعبة واذكر اسم الله عز وجل ثم تنفس ثلاثاً وتضلع منها، فإذا فرغت فاحمد الله تعالى فإن النبي ﷺ قال: آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم. رواه البيهقي من طرق.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان إذا شرب من ماء زمزم قال: اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل داء. قال العلماء: ولا يقتصر على هذا الدعاء بل يدهو بما أحب من أمور الدنيا والآخرة ويجتنب الدعاء بما فيه مائة^(١).

وعن سويد بن سعيد قال: رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم واستقى منها ثم استقبل الكعبة فقال: اللهم إن ابن أبي الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن رسول الله ﷺ قال: ماء زمزم لما شرب له، وأنا أشربه لعطش يوم القيامة ثم شرب.

فائدة: أخرج الأزرقى رحمه الله أن في بشر زمزم ثلاث عيون: عين حذاء الركن الأسود، وعين حذاء أبي قبيس والصفاء، وعين حذاء المروة.

ونقل الفاكهي عن العباس بن المطلب عن كعب الأحبار أن العين التي تجرى من جهة الحجر الأسود هي أغزر العيون الثلاثة: قال الجد رحمه الله: إنها من عيون الجنة، والله أعلم.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٤.

فروع:

الأول: يجوز الوضوء من ماء زمزم والغسل به عند الحاجة إليه^(١) كما صرح به أئمتنا من غير كراهة، وكذلك مذهب السادة الشافعية والمالكية والحنابلة. وفي «شرح المهذب» للنووي أن الجواز مذهب الجمهور.

الثاني: في حكم الاستنجاء به أما عندنا فلم أقف على نقل في ذلك والمنقول عن الماوردي والنووي من الشافعية أن ماء زمزم وإن كان له حرمة فليست هي بحيث تمنع استعماله في الاستنجاء. والمنقول عن الروياني الكراهة في ذلك.

قال ابن درياس من الشافعية: إن ماء زمزم وغيره في ذلك سواء على المذهب ثم نقل في «شرح على المهذب» عن الصيمري أنه قال: إن غيره من الماء أولى منه في الاستنجاء. وجزم المحب الطبري رحمه الله بتحريم إزالة النجاسة به وإن حصل به التطهير.

قال أكثرهم: وينبغي توقي إزالة النجاسة به لا سيما مع وجود غيره وخصوصاً في الاستنجاء، فقد قيل إن بعض الناس استنجى به فحدث له الباسور.

وقال ابن شعبان من المالكية: لا يغسل بماء زمزم ميت ولا نجاسة^(٢).

وأخرج الفاكهي أن أهل مكة كانوا يغسلون موتاهم بماء زمزم إذا فرغوا من غسل الميت وتنظيفه تبركاً به، وأن أسماء بنت الصديق رضي الله عنها غسلت ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بماء زمزم^(٣).

الثالث: يجوز نقل ماء زمزم إلى البلدان للتبرك به باتفاق المذاهب الأربعة^(٤). بل ذلك مستحب عند الشافعية والمالكية، وكذلك يجوز عندنا إخراج اليسير من حجارة الحرم وتراجه للتبرك ولم يجوزه الشافعي رحمه الله، والفرق بين ذلك وماء زمزم عنده أن الماء إذا زال حدث غيره بخلاف حجارة الحرم. والدليل على جواز إخراج ماء زمزم إلى الحل أن عائشة

(١) انظر في ذلك: شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٤.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٥.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٥.

(٤) انظر في ذلك: شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٥.

ﷺ حملت من ماء زمزم في قوارير وقالت: إن رسول الله ﷺ حمله في الأداوى والقرب أخرج الترمذى في جامعه (١).

وعن ابن عباس أيضاً أن رسول الله ﷺ استهدى سهيل بن عمرو من ماء زمزم فبعث له براويتين أخرج الطبرانى بسند رجاله ثقات (٢).

وروى أن كعب الأحبار حمل من ماء زمزم اثنتى عشر راوية إلى الشام. وجاء عنه ﷺ أنه كان يصبه على المرضى ويسقيهم منه. وأنه ﷺ حنك به الحسن والحسين مع تمر العجوة.

استطراء لطيف

في ذكرها ورد في فضل السبطين، وأنهما سيّدَا شباب أهل الجنة

وفضل الشيخين، وأنهما سيّدَا كهول أهل الجنة

وفي معنى ذلك والمراد به

جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله قال «الحسن والحسين سيّدَا شباب أهل الجنة» رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر وعمر ﷺ: هذان سيّدَا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين. رواه الترمذى وحسنه.

وتوفى أبو بكر وعمر والسبطان ﷺ وهم شيوخ كلهم. معنى الحديثين أن الحسن والحسين سيّدَا كل من مات شاباً ودخل الجنة وإن أبى بكر وعمر سيّدَا كل من مات كهلاً ودخل الجنة، فكل أهل الجنة يكونون في سن أبناء ثلاث وثلاثين، ولكن لا يلزم كون السيد في سن من يسودهم، فقد يكون أكبر منهم سناً وقد يكون أصغر، ولا يجوز أن يقال وقع الخطاب حين ماتا شابين أو كهلين، فإن هذا جهل ظاهر وغلط فاحش، لأن النبي ﷺ توفى والحسن والحسين دون ثمان سنين فلا يسميان شابين ولأبى بكر فوق الستين سنة ولعمر فوق خمسين، فكانا حال الخطاب شيخين فإن هذا الخطاب كان بالمدينة، وإنما

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٥.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٥.

إقام رسول الله ﷺ بها عشر سنين، ولعل هذا الخطاب كان في آخرها وينقضى سن الكهولة ببلوغ أربعين سنة ويدخل بالأربعين سن الشيخوخة، والله أعلم قاله النووي في فتاويه.

وقوله: فكل أهل الجنة يكونون في سن أبناء ثلاث وثلاثين يؤيده ما نقله الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله في «البدور الساهرة» فقال: أخرج الطبراني عن المقداد بن الأسود سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الناس ما بين السقط والشيخ الفاني أبناء ثلاث وثلاثين في خلق آدم وحسن يوسف وقلب أيوب مكحلين ذوى أفانين.

قال القرطبي رحمه الله: يكون الأدميات في الجنة على سن واحد، وأما الحور فأصناف مصنفة صغار وكبار، وعلى ما اشتهدت أنفس أهل الجنة.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال أهل الجنة جرد مرد مكحلون ليس لهم لحى إلا ما كان من موسى بن عمران عليه السلام فإن لحيته تضرب إلى صدره وأخرج هنا.

وعن أبي الدرداء أنه كان يأخذ لحيته ويقول: نزع الله اللحي متى الراحة منها، قيل له متى الراحة منها؟ قال: إذا أدخلنا الجنة.

وأخرج أبو الشيخ في «العظمة» وابن عساكر عن جابر أن النبي ﷺ قال: ليس أحد يدخل الجنة إلا جرد مرد إلا موسى بن عمران عليه السلام، فإن لحيته تبلغ سرتة، وليس أحد يكنى في الجنة إلا آدم، فإنه يكنى أبا محمد.

وأخرج عن كعب بن عجرة قال: ليس أحد في الجنة له لحية إلا آدم عليه السلام له لحية سوداء إلى سرتة، وذلك لأنه لم يكن له لحية في الدنيا، وإنما كانت اللحي بعد آدم، وليس أحد يكنى في الجنة غير آدم يكنى فيها أبا محمد.

أقول: من المعلوم المقرر عند النحاة والأصوليين أن الاستثناء من النفي إثبات، وهو مفيد للحصر، فإذا كان كذلك، فبين الخبرين المذكورين الدالين على اختصاص اللحية في الجنة بآدم وموسى عليهما السلام تعارض ظاهر من غير ترجيح، لأنه حيث ثبت الحصر في حق آدم انتفى عن موسى أو في حق موسى انتفى عن آدم، وإذا تعارض الخبران ولم يكن مرجح تساقطا. غير أنه يمكن الجمع بما ذكره من الصنف من كون لحية آدم سوداء،

فيجوز أن يكون لموسى لحية غير سوداء بأن تكون بيضاء أو شمطاء أو غير ذلك، لأن أحوال الآخرة لا تكيف ولا تقاس على أحوال الدنيا، ثم ما ذكره من العلة في حق آدم عليه السلام من كونه لم يكن له لحية في الدنيا لما أن اللحي لم تظهر إلا بعده لا يصدق ذلك على موسى عليه السلام، إذ في زمنه كانت اللحي قد ظهرت، ويشهد لذلك قوله تعالى حكاية عن أخيه هارون معه: ﴿ قَالَ يَا بَنُؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي ﴾ (سورة طه: ٩٤) فهذا صريح في وجود اللحي زمن موسى فيحتمل أن يكون ذلك كرامة لسيدنا موسى اختصه الله بها أو غير ذلك مما الله أعلم به، فتأمل والله الموفق.

الرابع: إن قيل الحرمة الثابتة لماء زمزم هل هي لعينه أم لأجل البقعة؟ فالجواب أنها لعينه وإلا يلزم أنه لو حفرت بئر أخرى في المسجد أن يثبت لها من الفضل ما ثبت لزمزم ولا قائل به، كذا في «منسك الجدة» رحمه الله.

الخامس: يستحب عندنا لكل من طاف طوافا بعده سعى أن يأتي زمزم بعد فراغه من ركعتي طوافه ويشرب منها ثم يعود إلى الحجر ويقبله ويخرج إلى الصفا، وكذلك يستحب للحاج إذا فرغ من طواف الصدر وهو طواف الوداع أن يأتي إلى زمزم فيشرب منها، ويستعمل آداب الشرب المتقدمة ويصب منه على وجهه ويغتسل منه إن أمكن.

ولنختم هذا الباب بذكر أبيات الشيخ العلامة بدر الدين أحمد بن محمد المصري في مدح ماء زمزم وهي:

شفيت يا زمزم داء السقيم
فأنت أصفى من تعاطى النديم
وكم رضيع لك أشواقه
إليك بعد الشيب مثل الفطيم

وله أيضا:

يا زمزم^(١) الطيبة المخبر
يا من علت غورا على المشتري

(١) في المطبوع: «يا ماء زمزم» وهو غير صحيح عروضيا.

رضيع أخلاقك لا يشتهي
فطامه إلا لدى الكوثر

وله أيضا:

بالله قولوا لنيل مصر
بأننى عنسه فى غسناه
بزمسزم العذب عند بيت
مخلق الستر بالوفاء

وله أيضا:

لزمزم نفع فى المزاج وقوة
تزيد على ماء الشباب لذي فتك
وزمزم فاقت كل ماء بطيبها
ولو أن مالا النيل يجرى على المسك

وليكن المسك ختام الباب، وإلى المرجع والمآب.

الباب العاشر

في ذكر أمراء مكة

من لدن عهد النبي ﷺ إلى تاريخ وقتنا هذا

وهو عام تسعة وأربعين وتسعمائة

وهذا المؤلف وإن كنت وضعت له بيان فضل مكة فقد يذكر الشيء بالشيء تكثيراً للفائدة، وهذا الفرع لم يتصد لجمعه أحد كما ينبغي سوى العلامة تقي الدين الفاسي رحمه الله، فأحببت أن أذكر ما ذكره وأزيد من حدث بعده من أمراء مكة إلى يومنا هذا ليصير هذا المؤلف جامعاً مغنياً عن مطالعة غيره من المطولات، مع توسط العبارة وعدم الإخلال بأحد ممن عدّه الفاسي مع زيادة الإيضاح، والله رلي التوفيق والمعونة.

فأول أمير ولى مكة عتاب بن أسيد - بفتح الهمزة - ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي، ولاه سيدنا رسول الله ﷺ عند مخرجه إلى عزورة حنين في العشر الأول من شوال سنة ثمان من الهجرة، وهو ابن إحدى وعشرين سنة، قاله ابن إسحاق^(١) وغيره ممن لا يحصى، وهو في عامة كتب الحديث بل وغيرها.

وذكر ابن عقبة أن النبي ﷺ حين خرج إلى حنين استخلف معاذ بن جبل الأنصاري على أهل مكة وأمره أن يعلم الناس القرآن، ويفقههم في الدين^(٢).

وذكر ابن عبد البر عن الطبري أن رسول الله ﷺ لما سار إلى الطائف استخلف على مكة هبيرة بن سبيل^(٣) الثقفي، وهو أول من صلى بمكة جماعة بعد الفتح^(٤).

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٤٤٠.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥١.

(٣) في الإصابة بفتح المهملة والموحدة بعدها لام، ضبطه الخطيب عن خط ابن الفرات، وأما الدارقطني فذكره بكسر المعجمة وسكون الموحدة.

(٤) الاستيعاب ص ١٥٤٨.

وقد جمع الفاسى رحمه الله بين هذه الاخبار بأن عتّابًا جعل أميراً على مكة ومعادًا إماماً وفقياً، واشترك هبيرة مع معاذ فى الإمامة^(١).

ولا يعارض ذلك ما قيل فى ترجمة هبيرة من أنه أول من صلى بمكة جماعة كما تقدم، لإمكان أن يكون حان وقت الصلاة وهبيرة حاضر فى الناس ومعاذ غائب فبادر هبيرة فصلى بالناس لتحصيل فضيلة أول الوقت، ثم حضر معاذ وصلى بمن لم يكن يدرك الصلاة خلف هبيرة وهذا أولى من جعل الاخبار متعارضة فى ولاية عتاب.

هذا معنى كلام الفاسى، وقد أجاد لأن ولاية عتاب مما بلغ حد التواتر، ولم يزل عتاب أميراً على مكة إلى أن مات. وكانت وفاته يوم مات أبو بكر رضي الله عنه، وقيل بل يوم جاء نعى الصديق إلى مكة^(٢).

ونقل ابن عبد البر ما يقتضى أن الصديق عزل عتّابًا، وولى الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشى الهاشمى، وهو ضعيف^(٣). والمشهور دوام ولاية عتاب على مكة إلى أن مات فى التاريخ المتقدم آنفًا، ثم ولى مكة فى خلافة الصديق نيابة عن عتاب لسفر طراً له المحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى^(٤).

ذكر من ولى مكة فى خلافة عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

وليها له جماعة أولهم المحرز بن حارثة المذكور وذلك فى أول خلافته ثم وليها قنفذ ابن عمر بن جدعان التيمى بعد عزل المحرز، ثم وليها نافع بن عبد الحارث الخزاعى بعد عزل قنفذ، ووليها بعد عزل نافع خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومى، وطارق بن المرتفع بن الحارث بن عبد مناف، وعبد الرحمن بن أبزى مولى خزاعة نيابة عن مولاه نافع بن عبد الحارث لما خرج لملاقاة عمر رضي الله عنه بعُسفان، وأنكر عمر ذلك على نافع كما

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥١.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥٣.

(٣) الاستيعاب ص ٢٩١.

(٤) الاستيعاب ص ١٤٦١، شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥٤.

قد علمته فيما سبق في الباب الثامن، والحداد بن نوفل بن الحداد بن عبد المطلب القرشي الهاشمي^(١). ونقل الذهبى أن الحداد هذا ولى مكة لأبى بكر^(٢) وهو ضعيف.

ذكر من ولى مكة فى خلافة عثمان رضي الله عنه

ولها جماعة، أولهم: على بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى، ولاء عليها أول خلافته، ثم خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي المتقدم، وكذلك ولى عثمان الحداد بن نوفل السابق آنفاً، وعبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس القرشى ابن أخى عتاب بن أسيد، وعبد الله بن عامر الحضرمي^(٣).

وذكر ابن الأثير^(٤) أنه كان على مكة فى سنة خمس وثلاثين وفيها قتل عثمان. ثم نافع ابن الحداد الخزاعي السابق ذكره.

ذكر من ولى مكة فى خلافة أمير المؤمنين

على بن أبى طالب كرم الله وجهه

ولها جماعة أولهم أبو قتادة الأنصاري فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه الحداد بن ربيع، وقيل النعمان بن ربيع، وقيل غير ذلك^(٥).

ثم قثم - بضم القاف وفتح المثناة - ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم بعد عزل أبى قتادة الأنصاري، ولم يزل والياً عليها إلى أن قتل على رضي الله عنه على الأشهر، ثم أخوه مَعْبُد بن العباس بن عبد المطلب على ما قيل، وقيل: إن المحرز بن حارثة ولى مكة لعلى قال الفاسي: وهو تصحيف^(٦).

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥٥.

(٢) تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين ص ٤٦٣.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٤) الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٢٠٧.

(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥٧.

(٦) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

ذكر ولاية مكة في خلافة معاوية بن أبي سفيان^(١)

وهم جماعة لا نعرف أولهم منهم أخوه عتبة بن أبي سفيان، وخالد بن العاص بن هشام المخزومي المتقدم، ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أبو عبد الملك، وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي يكنى أبا عثمان، وقيل أبا عبد الرحمن أحد أشرف مكة وأجوادها وفصحائها، وعمرو بن سعيد بن العاص القرشي الأشدق، وكذا سعيد المتقدم، وعبد الله ابن خالد بن أسيد بن أبي العيص القرشي ابن أخي عتاب السابق، وكانت ولايته سنة أربع وأربعين وفيها حج معاوية حجته الأولى.

ذكر ولاية مكة في خلافة يزيد بن معاوية^(٢)

وهم جماعة: عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق السابق في ولاية معاوية، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب القرشي ابن عم يزيد، وعثمان بن محمد بن أبي سفيان بن حرب القرشي ابن عم يزيد أيضا الأمويون، والهارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي المتقدم ذكر والده خالد، وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي ابن أخي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويحيى بن حكيم بن عمرو بن صفوان ابن أمية بن خلف الجمعي. وفي ترتيب ولايتهم اختلاف إلا عمرو بن سعيد فإنه أولهم ثم الوليد بعده.

خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه^(٣)

ثم ولي مكة عبد الله بن الزبير بعد أن لقي في ذلك بلاء شديدا من الحصين بن نمير المقدم على عسكر يزيد، وكان وصول الحصين إلى مكة لمحاربة ابن الزبير لما بايعه أهل الحجاز لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين، وتقاتل هو وابن الزبير مدة.

(١) انظر في ولاية مكة في خلافة معاوية: شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٥٩ وما بعدها.

(٢) انظر في ولاية مكة في خلافة يزيد: شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٦١ وما بعدها.

(٣) انظر في ذلك: شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٦٣.

ثم فرج الله على ابن الزبير وصول نعي يزيد في ليلة الثلاثاء لثلاث مضين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين فولى الحصين راجعاً إلى الشام، وبويع ابن الزبير حينئذ بالخلافة بالحرمين، ثم بويع بها في العراق واليمن وغيرها من البلاد، وساد أمره ودامت ولايته على مكة إلى أن حاربه الحجاج وقتله وكان من أمره ما ليس هذا محل ذكره.

ذكر ولاية مكة في خلافة عبد الملك بن مروان

وليها له جماعة، وهم ابنه مسلمة، والحجاج بن يوسف، والحارث بن خالد المخزومي السابق ذكره، وخالد بن عبد الله القسري، وعبد الله بن سفيان المخزومي، وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العيص الأموي، ونافع بن علقمة الكِنَاني، ويحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي^(١).

وأولهم في الولاية الحجاج والباقون لا يعرف ترتيبهم، وممن ولى لعبد الملك كما قيل: هاشم بن إسماعيل المخزومي، وأبان بن عثمان بن عفان^(٢).

ذكر ولاية مكة في خلافة الوليد بن عبد الملك

وأما ولاية مكة في خلافة الوليد بن عبد الملك فاثنتان: الإمام العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم القرشي الأموي رضي الله عنه وولاه المدينة الشريفة أيضاً ثم خالد بن عبد الله القسري^(٣).

وأما ولايتها في خلافة سليمان بن عبد الملك فثلاثة أنفار: خالد بن عبد الله القسري، ثم طلحة بن داود الحضرمي ثم عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص الأموي^(٤).

وأما ولايتها في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فخمسة رجال: عبد العزيز بن عبد الله ابن خالد بن أسيد المذكور، ومحمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وعروة بن عياض بن عدي بن الخيار^(٥) بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٦٦.

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٠.

(٥) بكسر المعجمة وتخفيف التحتانية فیده ابن حجر فی التقریب، وتحرف فی الأصلین إلى: «الحبان» وهو تحريف قبيح.

النوفلى كذا ترجمه الذهبى^(١) وغيره، وعبد الله بن قيس بن مخزوم بن المطلب القرشى، وعثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن سراقه العدوى^(٢).

وذكر ابن جرير^(٣) أن عبد العزيز بن خالد هو الذى كان والياً على مكة مدة خلافة عمر جميعها.

وجمع الفاسى رحمه الله فقال: ولعل المذكورين من الولاة غير عبد العزيز بن خالد ولوا لعمر فى زمن ولايته لمكة عن الوليد بن عبد الملك فى المدة التى كان فيها بالمدينة فإنها كانت فى ولايته أيضاً^(٤).

وأما ولايتها فى خلافة يزيد بن عبد الملك فجماعة أولهم: عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد المذكور، ثم عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس القرشى الفهرى مع ولايته للمدينة أيضاً، وولايته لمكة فى سنة ثلاث ومائة، وللمدينة فى سنة إحدى ومائة، ثم عبد الواحد بن عبد الله النصرى - بالنون - من بنى نصر بن معاوية بعد عزل عبد الرحمن بن الضحاك فى سنة أربع ومائة مع المدينة أيضاً^(٥).

وأما ولايتها فى خلافة هشام بن عبد الملك فجماعة أيضاً أولهم: عبد الواحد المذكور، ومدة ولايته لذلك فى خلافة يزيد وهشام سنة وثمانية أشهر على ما ذكره ابن الأثير^(٦).

ثم بعده إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك فى سنة ست ومائة، وولى مع ذلك المدينة أيضاً، ودامت ولايته على مكة إلى سنة ثلاث عشرة، وقيل أربع عشرة ومائة^(٧).

ثم بعد إبراهيم المذكور أخوه محمد بن هشام بن إسماعيل، ودامت ولايته على ما

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠ هـ) ص ١٦٩.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٢. (٣) تاريخ الرسل ج ٦ ص ٥٥٤ و ٥٨٩.

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٣. (٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٣.

(٦) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٠٥ و ١٢٦ و ١٣٣.

(٧) الكامل ج ٥ ص ١٣٣ و ١٧٩.

قيل إلى سنة خمس وعشرين ومائة^(١). وذكر الفاكهي أن ممن ولى لهشام مكة نافع بن علقمة الكِنَانِي السابق ذكره، في خلافة أبيه عبد الملك^(٢).

وممن وليها علي الشك في خلافة^(٣) عبد الملك بن مروان أو في خلافة أحد أولاده الأربعة، أو خلافة عمر بن عبد العزيز: أبو جراب محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر الأموي ذكره الفاكهي وذكر ما يقتضي أنه كان علي مكة زمن عطاد بن أبي رباح^(٤).

وأما ولاتها في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فيوسف بن محمد بن يوسف الثقفي مع المدينة والطائف في سنة خمس وعشرين ومائة، وذلك بعد عزل^(٥) محمد بن هشام خال الوليد المذكور، ودامت ولايته إلى انقضاء دولة الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين ومائة^(٦).

وأما ولاتها في خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك: فعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان علي ما قيل^(٧).

وأما ولاتها في خلافة مروان بن محمد بن مروان الأموي - المعروف بالحمار - خاتمة خلفاء بني أمية: فعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان المذكور آنفاً، ودامت ولايته إلى أن حج بالناس في سنة ثمان وعشرين ومائة^(٨).

ثم بعده عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وولى مع ذلك المدينة، واستمر متولياً إلى أن حج بالناس في سنة تسع وعشرين ومائة^(٩). ثم ولى مكة بعده بالتغلب أبو حمزة الخارجي الأباضي واسمه المختار بن عوف، وصبيه أن عبد الله بن يحيى الأعور الكِنْدِي المسمّى طالب الحق بعد أن ملك حَضْرَمَوْت^(١٠) وصنعاء وتغلب عليهما، طرد عامل مروان: القاسم بن عمر الثقفي عنهما، وبعث أبا حمزة المذكور إلى مكة في عشرة آلاف

(١) الكامل ج ٥ ص ١٧٩ و ٢٧٥، تاريخ خليفة ٣٥٧.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٤.

(٣) في المطبوع: «في خلافته».

(٤) اخبار مكة للفاكهي ج ٣ ص ١٧٧.

(٥) تحرف في المطبوع إلى: «عزم» وصوابه لدى الفاسي الذي ينقل عنه المصنف.

(٦) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٤.

(٧) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٤.

(٨) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٥.

(٩) حضر موت: مخلاف من اليمن.

من العسكر، فهرب عبد الواحد المذكور يوم النفر الاول من منى، وقصد المدينة وجهاز جيشا من المدينة إلى أبي حمزة فخرج أبو حمزة قاصدا المدينة، فلقية جيش عبد الواحد بُقْدِيد^(١). فكان الظفر لأبي حمزة ثم قصد المدينة وقتل بها جماعة، وبلغ خبره مروان فجهز إليه عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى فى أربعة آلاف فارس فالتقى هو وأبو حمزة بمكة بالأبطح، فقتل أبو حمزة، وكان عسكره خمسة عشر ألفا وظفر عبد الملك^(٢).

وذكر ابن الأثير ما يقتضى أن عبد الملك سار إلى اليمن لقتال طالب الحق المتقدم ذكره، وأنه ظفر بطالب الحق وقتله وأرسل برأسه إلى مروان.

وممن ولى مكة لمروان: الوليد بن عروة السعدى ابن أخى عبد الملك المذكور، وأنه كان عليها فى سنة إحدى وثلاثين ومائة، ويقال: إن محمد بن عبد الملك بن مروان كان على مكة والمدينة فى سنة ثلاثين ومائة، وأنه حج بالناس فيها، والله أعلم^(٣).

ذكر ولاية مكة فى أيام بنى العباس

أما ولايتها فى خلافة أبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أول خلفاء بنى العباس وتلقب بالسفاح: فداود بن على بن عبد الله بن العباس عم السفاح وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وولاه مع مكة المدينة واليمن واليمامة^(٤).

ثم بعده زياد بن عبيد^(٥) الله الحارثى خال السفاح مع المدينة واليمامة أيضا، ودامت ولايته إلى سنة ست وثلاثين ومائة على ما يقتضيه كلام ابن الأثير^(٦).

(١) قُدِيد بالتصغير: مكان معروف فى طريق مكة المدينة، وهو إلى مكة أقرب، وما زال معروفا بهذا الاسم إلى الآن.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٥. (٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٧.

(٤) اليمامة: منطقة فى نجد بينها وبين البحرين عشرة أيام، وبها كانت منازل طسم وجديس، وبها كانت دعوة مسيلمة الكذاب، وفتحها خالد بن الوليد فى زمن أبى بكر الصديق، وبها قُتل مسيلمة الكذاب وعادت إلى الإسلام، ويقال: إنها كانت من مخاليف مكة، أى محلقاتها، وكان يضم إلى حكام مكة حكم اليمامة أحيانا (شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٨ هامش ١).

(٥) تحرف فى المطبوع إلى: «عبد الله» وصوابه لدى الفاسى فى شفاء الغرام الذى ينقل عنه المصنف،

وابن فهد فى غاية المرام ج ١ ص ٣٠٩.

(٦) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٤٤٩ و ٤٦٢.

ثم ولى بعد زياد: العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي في سنة ست وثلاثين ومائة، واستمر عليها إلى موت السفاح قاله ابن الأثير^(١).

وممن ولى مكة للسفاح على ما ذكر ابن حزم في «الجمهرة»^(٢) عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي، وهذا يخالف ما تقدم عن ابن الأثير من كون العباس كان مستمرا على ولاية مكة إلى موت السفاح، والله أعلم بحقائق الأمور^(٣).

وأما ولايتها في خلافة المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أخى السفاح فجماعة، أولهم: العباس بن عبد الله بن معبد المذكور آنفا، وذلك سنة سبع - بتقديم السين - وثلاثين ومائة ثم مات بعد انقضاء الموسم^(٤).

ثم ولى بعده زياد بن عبيد الله الحارثي المتقدم ودامت ولايته إلى سنة إحدى وأربعين ومائة، وهو الذي تولى عمارة ما زاده المنصور في المسجد الحرام^(٥).

ثم ولى بعد عزل زياد الهيثم بن معاوية العتكي الخراساني في سنة إحدى وأربعين ومائة، واستمر إلى سنة ثلاث وأربعين.

ثم ولى بعد عزله: السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب واستمر إلى سنة خمس وأربعين^(٦).

ثم ولى بعده بالتغلب محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي الجعفري من قبل - بكسر القاف وفتح الموحدة - محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية، لأنه لما تغلب على المدينة النبوية، وخرج على المنصور في سنة خمس وأربعين أمر على مكة محمد بن الحسن بن معاوية المذكور، فسار إلى مكة فخرج إليه السري بن عبد الله أمير مكة من قبل المنصور، فتحاربا فانهزم السري ودخل محمد مكة، ثم أنفذ المنصور جيشا لمحاربة محمد ابن عبد الله، فقتل كذا ينقله ابن الأثير^(٧).

(٢) جمهرة أنساب العرب ص ١٨ .

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٨ .

(١) الكامل ج ٥ ص ٤٦٣ .

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٩ .

(٦) انظر في ولاية السري ومن بعده: شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٧٩ وما بعدها .

(٧) الكامل ج ٥ ص ٥٤٢ .

وذكر الزبير بن بكار ما يقتضى أن الذى ولاء محمد بن عبد الله على مكة حسن بن معاوية والد محمد المذكور، والله أعلم بالصواب.

ثم عاد السرى على ولاية مكة من قبل المنصور، واستمر إلى سنة ست وأربعين ومائة.

ثم ولى بعده عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس العباسى عم المنصور والسفاح، واستمر إلى سنة تسع وأربعين - بتقديم المثناة الفوقية - وقيل: إلى سنة خمس، وقيل: إنه كان على مكة فى سنة سبع وخمسين بتقديم السين.

ثم ولى بعد عبد الصمد: محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، ومكث إلى سنة ثمان وخمسين.

وأما ولايتها فى خلافة المهدي أمير المؤمنين محمد بن المنصور العباسى فجماعة أولهم: إبراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، بوصية من المنصور.

ثم جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وكان على ذلك فى سنة إحدى وستين، وثلاث وستين.

ثم عبيد الله بن قثم - بضم القاف وفتح المثناة - ابن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان متولياً لذلك فى سنة ست وستين.

وممن ولى للمهدي أيضاً محمد بن إبراهيم الإمام العباسى المتقدم. ذكره الفاكهى.

وممن ولى مكة على الشك فى خلافة المهدي وابنه الهادى: قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب والد عبيد الله المتقدم والله أعلم بذلك.

وأما ولايتها فى خلافة الهادى موسى بن المهدي العباسى: فعبيد الله بن قثم بن العباس المتقدم، وذلك فى سنة تسع وستين - بتقديم المثناة -.

ثم وليها بالتغلب فى أيام الهادى: الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب الحسنى، لأنه خرج عن طاعة الهادى وفتك بمن فى المدينة من جماعة الهادى ونهب بيت المال الذى بالمدينة وبويع على كتاب الله وسنة نبيه، وخرج

بجماعته إلى مكة لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وستين، وبلغ الهادي خبره فكتب إلى محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وأمره بمحاربة الحسين المذكور، وكان محمد بن سليمان قد توجه في هذه السنة المذكورة للحج في جماعة من أهل بيته وخيل وسلاح فلما دخل من عمرته عسكر بذي طوى، وانضم إليه من حج من جماعتهم وقوادهم، والتقواع الحسين وأصحابه وكان القتال في يوم التروية، فقتل الحسين في أزيد من مائة من أصحابه بفتح^(١) بظاهر مكة عند الزاهر ودفن هنالك.

قال الفاسي: وقبره معروف إلى وقتنا هذا في قبة على يمين الداخل إلى مكة ويسار الخارج منها إلى جهة وادي مر، وحُمل رأسه إلى الهادي فلم يحمد ذلك. وكان الحسين هذا شجاعاً كريماً، يحكى أنه قدم على المهدي فأعطاه أربعين ألف دينار ففرقها في الناس ببغداد والكوفة، وخرج لا يملك ما يلبسه إلا فروة ليس تحتها قميص. رحمه الله وغفر له^(٢).

وممن ولي مكة في خلافة الهادي وأخيه الرشيد^(٣) محمد بن عبد الرحمن السفياني، كان على إمارتها وقضائها واستمر إلى أن صرفه المأمون إلى قضاء بغداد.

وأما ولايتها في خلافة هارون الرشيد بن المهدي فجماعة لا يعرف ترتيبهم في الولاية وهم: أحمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس، وحماد البربري، وسليمان بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، والعباس بن موسى بن عيسى بن موسى ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأخوه علي بن موسى بن عيسى، والعباس بن محمد بن إبراهيم الإمام، وعبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي، وعبيد الله بن قثم بن العباس المتقدم فيما سبق، وعبيد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام، والفضل بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ومحمد بن إبراهيم الإمام، ومحمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفان

(١) تحرف في المطبوع إلى: «بفتح» وصوابه لدى الفاسي الذي ينقل عنه المصنف

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٨٣.

(٣) لدى الفاسي: «وفي خلافة الهادي أو خلافة الرشيد».

العثماني^(١) وموسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي والد العباس وعلي المتقدم ذكرهما.

وأما ولاتها في خلافة الأمين محمد بن هارون الرشيد العباسي: فداود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين - بتقديم المثناة على السين - واستمر إلى انقضاء خلافة الأمين في سنة ست وتسعين وهو الذي تولى خلع الأمين بمكة فيها.

وأما ولاتها في خلافة المأمون أمير المؤمنين عبد الله بن هارون الرشيد فداود المذكور أيضاً، ولأه المأمون بعد خلع الأمين، واستمر إلى أواخر سنة تسع وتسعين ومائة - بتقديم المثناة الفوقية - ثم فارق مكة متخوفاً من الحسين بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالأفطس وسببه أن أبا السرايا السري بن منصور الشيباني داعية ابن طباطبا لما تغلب واستولى على العراق ولي مكة الحسين بن الحسن الأفطس فسار إلى أن وصل إلى وادي سرف^(٢) المعروف في وقتنا هذا بالنوارية - بتشديد النون - على مرحلة لطيفة من مكة إلى جهة مر الظهران، فتوقف عن الدخول خشية من أميرها داود فلما بلغه خروج داود دخلها ليلة عرفة فطاف وسعى ثم مضى إلى عرفة فوقف بها ليلاً ثم دفع إلى مزدلفة فصلى بالناس الصبح، ثم دفع إلى منى، فلما انقضى الحج عاد إلى مكة فلما كان مستهل المحرم سنة مائتين نزع الحسين المذكور كسوة الكعبة التي كانت عليها من قبل العباسيين، ثم كساها كسوتين أنفذهما معه أبو السرايا المذكور من قز رقيق، إحداهما صفراء والأخرى بيضاء، ثم عمد الأفطس إلى خزانة الكعبة وأخذ ما فيها من الأموال فقسمها مع كسوة الكعبة على أصحابه، وهرب الناس من مكة لأنه كان يأخذ أموال الناس ويزعم أنها ودائع بني العباس عندهم.

ولم يزل كذلك على ظلمه إلى أن بلغه قتل مرسله أبي السرايا في سنة مائتين، فلما علم بذلك ورأى الناس قد تغيروا عليه لما فعله معهم من القبيح واستباحة الأموال جاء هو وأصحابه إلى محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين

(١) في المطبوع: «العقاني» والمثبت رواية الفاسي الذي ينقل عنه المصنف.

(٢) سرف: موضع معروف بقرب مكة، وبه قبر السيدة ميمونة زوجة النبي ﷺ.

ابن علي بن أبي طالب الحسيني الملقب بالديباجة لجمال وجهه، وسألوه في المبايعة بالخلافة، نكره محمد ذلك، فاستعان الأفضس عليه بولده علي، ولم يزالوا به حتى بايعه بالخلافة وذلك في ربيع الأول سنة مائتين.

وجمعوا الناس على بيعة محمد بن جعفر طوعا وكرها ولقبوه بأهير المؤمنين، وبقي شهورا وليس له من الأمر شيء وإنما ذلك لابنه علي وللأفضس وهما علي أصبح سيرة مع الناس، فلم يكن إلا مدة يسيرة إذ جاء عسكر المأمون فيهم الجلودى وورقاء بن جميل، وقد انضم إلى محمد بن جعفر غوغاء أهل مكة وسواد البادية، فالتقى الفريقان فانهزم محمد وأصحابه، وطلب الديباجة من الجلودى الأمان فأجلوه ثلاثا، ثم خرج من مكة ودخل الجلودى بعسكره إلى مكة في جمادى الآخرة سنة مائتين^(١).

وتوجه الديباجة إلى جهة بلاد جُهينة فجمع منها جيشا وقاتل والى المدينة هارون بن المسيب، فانهزم الديباجة بعد أن فُتت عينه بنشابة، وقتل من عسكره خلق كثير^(٢).

ثم عاد إلى مكة وطلب الأمان من الجلودى، فأمنه فدخل مكة في أواخر الحجة سنة مائتين وصعد المنبر معتذرا بأنه إنما وافق علي المبايعة لأنه بلغه موت المأمون، ثم قدم على المأمون واعتذر واستغفر فقبل عذره وأكرمه وعفا عنه، فلم يمكث إلا قليلا ثم مات فجأة بجرجان فصلى عليه المأمون ونزل في لحده وقال: هذه رَحِمٌ قُطِعَتْ من سنين وكان موته في شعبان سنة ثلاث ومائتين وسبب موته علي ما قيل أنه جامع واقتصد ودخل الحمام في يوم واحد^(٣).

ثم وليها بعد هزيمة الديباجة في خلافة المأمون عيسى بن يزيد الجلودى، ووليها له نيابة ابنه محمد، ويزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي.

ثم وليها بعد عزل الجلودى هارون بن السيب.

ووليها للمأمون أيضا حمدون بن علي بن عيسى بن ماهان، وإبراهيم بن موسى بن

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٨٧.

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٨٧.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٨٧.

جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وحج بالناس سنة اثنتين ومائتين كذا نقله الفاسي عن العتيقي^(١).

وذكر الأزرقى أن حنظلة كان واليا على مكة في سنة اثنتين ومائتين خليفة لحمدون بن علي^(٢).

وجمع الفاسي بين ذلك بأنه يمكن أن يكون حمدون كان واليا في أول سنة اثنتين ومائتين، واستتاب حنظلة المذكور وإبراهيم كان واليا في آخر هذه السنة^(٣).

وعبيد الله بن الحسن^(٤) ابن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب مع المدينة، وذلك في سنة أربع ومائتين، واستمر إلى سنة ست، وقيل إلى سنة تسع بتقديم المشاة الفرقية^(٥).

وصالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وذلك في سنة عشر ومائتين، واستمر إلى أن حج بالناس سنة اثنتي عشرة ومائتين.

ثم وليها بعده علي الأشهر سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس مع المدينة.

وولي أيضاً للمأمون محمد بن سليمان المتقدم ذكر والده، وذلك في سنة ست عشرة ومائتين كما يقتضيه كلام الفاسي^(٦).

وعبيد الله بن عبد الله بن حسن بن جعفر بن حسن بن علي بن أبي طالب.

وممن ولي مكة للمأمون من غير مباشرة: الحسن بن سهل أخو الفضل بن سهل، لأن المأمون بعد قتل أخيه الأمين استعمل الحسن هذا على كل ما افتتحه طاهر بن الحسين من العراق والأهواز وفارس والحجاز واليمن، وذلك في سنة ثمان وتسعين ومائة^(٧).

(٢) أخبار مكة وللأزرقى ج ١ ص ٢٦٦.

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٨٩.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٠.

(٤) في المطبوع: «الحسين» والمثبت رواية د، و مصعب في نسب قريس ص ٧٩، وابن فهد في غاية المرام ج ١ ص ٤٠٨.

(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٠.

(٦) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٠.

(٧) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩١.

وأما ولايتها في خلافة المعتصم محمد بن هارون الرشيد^(١):

فصالح بن العباس المتقدم ذكره آنفاً وكان في سنة تسع عشرة - بتقديم المشاة -
ومائتين^(٢).

ثم وليها محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
الملقب بترنجه، وذلك في سنة اثنتين وعشرين ومائتين، ويقال: إن ولايته دامت إلى أثناء
خلافة المتوكل^(٣).

وولي للمعتصم أيضاً: أشناس التركي وهو من كبار قواده، وذلك أنه لما أراد الحج
في سنة ست وعشرين ومائتين فوض إليه المعتصم الولاية على كل بلد يدخلها، فلما دخل
مكة جعل محمد بن داود المتقدم نائباً عنه على الحج بالناس، ودعا لأشناس على منابر
الحرمين وغيرهما من البلاد التي دخلها^(٤).

وأما ولايتها في خلافة الواثق هارون بن المعتصم: فعلى بن عيسى بن جعفر بن أبي
جعفر المنصور، وذلك سنة ثمان وثلاثين، واستمر إلى أن توفي سنة تسع وثلاثين.

ثم ولي بعده عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى المتقدم ذكر والده في خلافة
المعتصم واستمر إلى سنة إحدى وقيل اثنتين وأربعين ومائتين.

ثم ولي بعده عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن
عبد الله بن عباس سنة اثنتين وأربعين.

ثم ولي بعده محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام المعروف
بالزبني.

وممن عقد له على مكة ولم يباشر في خلافة المتوكل ابنه المنتصر محمد الذي ولي
الخلافة بعد أبيه المتوكل.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «في خلافة المعتصم فمحمد بن هارون الرشيد» وصوابه لدى الفاسي
الذي ينقل عنه المصنف.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩١.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩١.

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩١.

وممن ولى على ما قيل في خلافة المتوكل إيتاج^(١) - بهمزة وبعدها مثناة تحتية ثم مثناة فوقية فالف فجيم - الخُوَزِي - بضم الخاء المعجمة وكسر الزاء المعجمة - مولى المعتصم، وكان من كبار قواد المتوكل، والله أعلم بذلك.

وأما ولايتها في خلافة المنتصر محمد بن المتوكل: فمحمد بن سليمان الزينبي المتقدم آنفاً.

وأما ولايتها في خلافة المستعين أبي العباس أحمد بن المعتصم العباسي: فعبد الصمد ابن موسى الإمام المتقدم ذكره، وذلك في سنة تسع وأربعين بتقديم المثناة.

ثم بعده جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المعروف بشاشات، وكانت ولايته في سنة خمسين ومائتين، واستمر إلى سنة إحدى وخمسين.

ثم وليها بعد شاشات بالتغلب إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، لأنه لما تغلب على مكة هرب منه عاملها جعفر شاشات، وقتل الجند الذي بمكة وجماعة من أهل مكة، ونهب منزل شاشات وغيره، وأخذ من الناس نحو مائتي ألف دينار، وعمد إلى الكعبة الشريفة فأخذ كسوتها، وأخذ ما في خزائنها من الأموال وما كان حمل من المال لإصلاح العين، ونهب مكة، وأحرق بعضها، ثم خرج منها في شهر ربيع الأول بعد إقامته فيها خمسين يوماً، وقصد المدينة الشريفة فتواري عنه عاملها، فرجع إلى مكة في رجب، فحصر أهلها حتى ماتوا جوعاً وعطشاً، وبلغ الخبز ثلاث أواق بدرهم، ولقى أهل مكة منه بلاء شديداً، ثم سار إلى جدة فحبس عن الناس الطعام، وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب، ثم وافى الموقف والناس بعرفة فأفسد فيها، وقتل من الحجاج نحو ألف ومائة، ونهب الناس فهرب الحجاج ولم يقف بعرفة أحد لا ليلاً ولا نهاراً سوى إسماعيل وعسكره، ثم بعد انفصاله من عرفة رجع إلى جدة ثانياً، وأفنى أموالها، وفعل أموراً قبيحة. ليس هذا محل ذكرها هذا كله في خلافة المستعين^(٢).

(١) ولدى الفاسي الذي ينقل عنه المؤلف: «إيتاخ» بالخاء المعجمة، ومثله لدى ابن فهد في غاية المرام ج ١ ص ٤٢٢.

(٢) الخبر بطوله لدى الفاسي في شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٤.

وممن عقد له على مكة ولم يباشر في خلافة المستعين اثنان: ابنه العباس ومحمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين.

وأما ولايتها في خلافة المعتز واسمه محمد، وقيل طلحة، وقيل الزبير بن المتوكل العباسي: فعيسى بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الحميد بن عبد الله بن أبي عمرو^(١) بن حفص بن المغيرة المخزومي. وذكر الفاكهي ما يقتضى أنه ولي مكة مرتين.

ومن ولايتها في خلافة المعتز أو خلافة المهتدي، أو خلافة المعتمد أحمد بن المتوكل على الشك: محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور العباسي الملقب كعب البقر وولايته، لا تخرج على أحد هؤلاء الثلاثة^(٢).

وأما ولايتها في خلافة المهتدي، واسمه محمد بن النواثق العباسي: فعلى بن الحسن الهاشمي ذكره الفاكهي، ولم يزد على اسمه واسم أبيه وذكر أن ولايته في سنة ست وخمسين ومائتين^(٣). وأنه أول من فرق بين الرجال والنساء في جلوسهم في المسجد الحرام، أمر بحبال تربط بين الأساطين التي تقعد عندها النساء تفصل بينهن وبين الرجال^(٤).

وأما ولايتها في خلافة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسي فجماعة: أخوه أبو أحمد الموفق، واسمه طلحة، وقيل محمد بن المتوكل، وذلك في سنة سبع وخمسين - بتقديم السين على الموحدة - ومائتين على ما اقتضاه كلام ابن الأثير^(٥).

وابراهيم بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي الملقب بزیه - بباء موحدة ثم زاي معجمة ثم مشناة تحتية ثم هاء الوقف -^(٦) وكانت ولايته في حدود تسع وخمسين - بتقديم المشناة الفوقية - ومائتين إلى إحدى وستين ومائتين^(٧).

(١) تحرف في المطبوع إلى: «بن عمرو» وصوابه لدى الفاسي الذي ينقل عنه المصنف، ومثله لدى ابن فهد في غاية المرام ج ١ ص ٤٣٩.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٦.

(٣) أخبار مكة للفاكهي ج ١ ص ٤٧٧.

(٤) أخبار مكة للفاكهي ج ٣ ص ٢٤٢.

(٥) الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٢٤١.

(٦) وفي حواشي نزهة الالباب في الألقاب ص ١٢١: «وبُريّه - بالراء المهملة - مصنف: إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي أمير مكة».

(٧) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٧.

وأبو المغيرة محمد بن عيسى بن محمد المخزومي ولد عيسى بن محمد المتقدم ذكره في خلافة المعتز أنفاً، وذلك في سنة ثلاث وستين ومائتين كما تقتضيه عبارة الفاسي والفاكهي^(١).

وذكر ابن الأثير ما يدل أنه وليها نائباً لصاحب الزنج في سنة خمس وستين^(٢)، واستمر إلى سنة ثمان وستين ومائتين.

وهارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي، وكانت ولايته في سنة تسع وستين - بتقديم المثناة الفوقية - ومائتين، كما دل عليه كلام ابن جرير وابن الأثير.

وأحمد بن طولون صاحب مصر، أقول كذا عده الفاسي مع أنه لم يباشر ذلك، ولولا ما قدمته أول هذا الباب بآني لم أدخل بأحد ممن عده الفاسي لما ذكرته، ولعل سبب ذكر الفاسي لأحمد المذكور - والله أعلم - ما نقله عن ابن جرير^(٣) أن في عام تسع وستين ومائتين أرسل ابن طولون هذا قائدين من مصر في أربعمئة وتسعين فارساً - بتقديم المثناة الفوقية على السين -^(٤) وألفى راجل، فواقوا مكة لليلتين بقيتا من ذي القعدة، وأعطوا الجزارين والحناطين بمكة دينارين لكل رجل ولغيرهم سبعة دنانير، وكان هارون بن محمد المتقدم آنفاً يومئذ أميراً على مكة، ومعه مائة وعشرون فارساً ومائتا عبد من السودان، فوفاه جعفر بن الباغمردى^(٥) ثلاث خلون من ذي الحجة في نحو مائتي فارس فقوى بهم هارون فالتقواهم وأصحاب ابن طولون فانهزم عسكر ابن طولون، وقتل منهم بمكة نحو مائتي رجل، وأخذت دوابهم وأموالهم، وأمن جعفر الباغمردى المصريين والحناطين والجزارين وسلم الناس، وأموال التجار، ولعن أحمد بن طولون في المسجد الحرام^(٦) وبهذا لا يثبت لابن طولون ولاية على مكة، وكان عدم ذكره أولى، والله أعلم. انتهى.

(٢) الكامل ج ٧ ص ٣٢٨.

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠٠.

(٣) تاريخ الرسل ج ٩ ص ٦٥٢.

(٤) الذي لدى الفاسي الذي ينقل عنه المصنف: «في أربعمئة وسبعين فارساً» ومثله لدى الطبري.

(٥) في الأصلين: «الباغمرون» وهو خطأ صوابه لدى الطبري ج ٩ ص ٦٥٢، والفاسي في شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٨.

(٦) تاريخ الرسل ج ٩ ص ٦٥٢، شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٨، غاية المرام ج ١ ص ٤٥٤.

ومحمد بن أبي الساج وأخوه يوسف بن أبي الساج، فأما محمد ففى كلام ابن جرير^(١) ما يدل على أنه لم يباشِر، وإنما عقد له على الحرمين.

وأما ولاية أخيه يوسف فذكر ابن الأثير أنها فى سنة إحدى وسبعين^(٢) - بتقديم السين على الموحدة - ومائتين.

والفضل بن العباس بن الحسين بن إسماعيل بن محمد بن العباس، وكان متوليا على مكة فى سنة ثلاث وستين ومائتين، كذا نقله الفاكه^(٣).

أقول: وفيه نظر، لأنه قد تقدم أن أبا المغيرة بن عيسى كان واليا على مكة فى هذه السنة، ويمكن الجمع بأن الفضل لعله كان واليا فى أول السنة، ثم ولى بعده أبو المغيرة فى أثنائها أو آخرها، والله أعلم بذلك، ولم ينبه الفاسى على ذلك.

وأبو عيسى محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الوهاب بن عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى، ذكر ولايته عن المعتمد ابن حزم ولم يذكر لها تاريخا، لكنه نقل أن أبا عيسى عزل بأبى المغيرة المخزومى المتقدم^(٤)، فيحتمل أن تكون ولايته تقريبا من ثلاث وستين إلى ثمان وستين ومائتين لأن أبا المغيرة كان واليا فى هذه الحدود على اختلاف الأقوال المتقدمة فى تاريخ ولايته. انتهى.

ونقل الفاكه ما يقتضى أن أبا عيسى هذا ولى مكة نيابة عن الفضل بن العباس المذكور آنفا.

وجمع الفاسى بين ما ذكره ابن حزم والفاكهى فقال: ولا مانع لأنه يجوز أن يكون أبو عيسى ولى مكة عن الفضل نيابة عن المعتمد استقلالاً. انتهى^(٥).

وأما ولايتها فى خلافة المعتضد أبى العباس أحمد بن أبى أحمد الموفق بن المتوكل العباسى ثم فى خلافة أولاده المكتفى أبى محمد على والمقتدر أبى الفضل جعفر والقاهر أبى منصور محمد ثم فى خلافة الراضى أبى العباس أحمد بن المقتدر، ثم فى خلافة

(١) تاريخ الرسل ج ٩ ص ٥٤٩.

(٢) أخبار مكة للفاكهى ج ١ ص ٤٨٢.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠٠.

(٤) الكامل ج ٧ ص ٤١٧.

(٥) جمهرة أنساب العرب ص ١٤٩.

المتقى أبى إسحاق إبراهيم بن المقتدر، ثم فى خلافة المستكفى عبد الله بن المكتفى على بن المعتضد، ثم فى خلافة المطيع أبى القاسم الفضل بن المقتدر العباسى فجماعة كثيرة، لم يعرف منهم ويذكر سوى عَجَّ - بالعين المهملة والجيم - ابن حاج، ولم يعلم مبدأ ولايته متى كانت، غير أن إسحاق الخزاعى ذكر أنه كان والياً على مكة فى سنة إحدى وثمانين ومائتين.

وذكر ابن الأثير ما يدل على أنه كان والياً فى عام خمس وتسعين - بتقديم المثناة الفوقية - ومائتين^(١) فيحتمل أنه استمر من عام واحد وثمانين إلى التاريخ ذكره ابن الأثير، أو تولى غيره ثم أعيد هو والله أعلم.

ومؤنس المظفر وذلك فى سنة ثلاثمائة حسبما ذكره ابن الأثير^(٢) وكان أميراً على الحرمين والثغور بالعقد لا بالمباشرة.

وابن ملاحظ لأن النسابة^(٣) أبى محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ترجم ابن ملاحظ بسلطان مكة من غير ذكر تاريخ^(٤).

قال العلامة الفاسى: وما عرفت اسم ابن ملاحظ ولا متى كانت ولايته، غير أنى أظن أنه كان عليها بعد سنة ثلاثمائة أو قبلها بقليل. انتهى^(٥).

وابن محلب^(٦) وقيل ابن محارب والأول أصوب، ولم يعلم أول ولايته، غير أن ابن الأثير لما ذكر ما فعله أبو طاهر القرمطى من القبائح بمكة فى سنة سبع عشرة - بتقديم المهملة على الموحدة - وثلاثمائة، قال ما صورته: فخرج إليه ابن محلب أمير مكة فى جماعة من الأشراف فقاتلوه فقتلهم أبو طاهر أجمعين^(٧). انتهى.

فاستفيد من كلامه أن ابن محلب كان والى مكة فى تلك السنة.

(٢) الكامل ج ٨ ص ٧٥.

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠٣.

(١) الكامل ج ٨ ص ١١ و ١٢.

(٣) فى المطبوع: «النايه».

(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠٤.

(٦) كذا فى الأصلين، ومثله لدى ابن الأثير فى الكامل ج ٨ ص ٢٠٧ ولدى الفاسى فى شفاء الغرام: «ابن محلب».

(٧) الكامل فى التاريخ ج ٨ ص ٢٠٧.

ومحمد بن طعج - بالطاء والعين المهملتين ثم بالجيم^(١)، - المعروف بالإخشيد، وابناه أبو القاسم أونجور - بالنون والجيم - ومعنى أونجور: محمود، وأبو الحسن علي. وكان مبدأ ذلك في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، كما دل عليه كلام المؤرخين بأن الخليفة التقى العباسي ولي محمدًا المذكور مصر والشام والحرمين في السنة المذكورة، وعقد لولديه أبي القاسم وعلي أبي الحسن من بعد أبيهما علي البلد المذكورة علي أن يكفلهما خادمه كافور الخصي المعروف بالإخشيدى. وهذه الولاية بالعقد عن غير مباشرة، ودليله أن الفاسي رحمه الله قال بعد استيفاء كلام المؤرخين في عقد المتقى لمحمد ولولديه ما صورته: وما عرفت من كان يباشر لهم ولاية مكة ولا من يباشر ذلك لمؤنس المظفر^(٢). انتهى. والله أعلم.

وممن ولي مكة القاضي أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسي، ذكر ذلك بعض مؤرخي مصر، وذلك في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: إنه باشر ذلك لأبي الحسن علي بن الإخشيد^(٣)، والله أعلم.

ثم ولي مكة في زمن الإخشيدية بالتغلب: جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني، كذا ذكره ابن حزم^(٤)، ثم قال وولده إلى اليوم ولاية مكة يعني في زمنه.

قال العلامة الفاسي: ولعل ولاية جعفر المذكور بعد موت كافور الإخشيدى، وقيل أخذ العبيديين مصر من الإخشيدية، ويصدق علي ذلك أنها الإخشيدية، ويبعد أن يلي جعفر مكة في أيام كافور لعظم أمره، وقد رأيت في بعض التواريخ ما يدل على أنه كان يدعى لكافور علي المنابر بمكة، وكان موت كافور في سنة ست وخمسين وثلاثمائة في

(١) كذا ضبطها ابن ظهيرة، ولدى ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ٥ ص ٦٢: «طفج: بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وبعدها جيم - وتفسيره: عبد الرحمن» ومثله في سائر المصادر.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠٥.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠٥.

(٤) جهرة أنساب العرب ص ٤٧.

جمادى الأولى، وقيل: في سنة سبع وخمسين، فتكون ولاية جعفر فى إحدى هاتين السنتين، أو فى سنة ثمان وخمسين، ولا تخرج ولايته عن هذا. انتهى^(١).

ثم ولى مكة بعد جعفر هذا ابنه عيسى بن جعفر، ودامت ولايته إلى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة^(٢).

ولم يتعرض الفاسى لموت أبيه جعفر متى كان ليعلم من ذلك مبدأ ولاية عيسى، وإنما أفاد ولاية عيسى بعد أبيه لا غير.

ثم ولى بعد عيسى أخوه أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحسنى، ودامت ولايته إلى أن مات فى سنة ثلاثين وأربعمائة، إلا أن الحاكم العبيدى صاحب مصر كان قد ولى مكة لابن عم أبي الفتوح أبي الطيب فى المدة التى خرج فيها أبو الفتوح عن طاعة الحاكم، ثم أعاده إلى مكة بعد أن راجع طاعته.

وقيل: إن أخا لأبي الفتوح كان خرج عليه بمكة فى زمن عصيانه، والله أعلم بحقائق الأمور، وكان عصيان أبي الفتوح فى سنة إحدى وأربعمائة وقيل فى سنة اثنتين.

وذكر ابن خلدون أن أبا الفتوح ولى المدينة الشريفة أيضا وأزال عنها إمرة بنى المهنا الحسينيين^(٣)، وذلك فى سنة تسعين بتقديم المثناة وثلاثمائة.

ثم ولى مكة بعد أبي الفتوح ابنه شكر بن أبي الفتوح واستمرت ولايته إلى أن مات فى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة، ونقل ابن خلدون أنه ملك المدينة وجمع بين الحرمين^(٤)، ويقال: إنه ملك ثلاثا وعشرين سنة، ومات ولم يعقب ولا ولد له قط، وإنما صار أمر مكة بعده إلى عبد كان له، كذا ذكره ابن حزم^(٥).

ونقل صاحب «المرآة» ما يقتضى أن شكرا كانت له ابنة، والله أعلم.

ثم ولى مكة بعد شكر بنو أبي الطيب الحسينيون، وهم الذين يقال لهم السليمانيون من جماعة شكر، ولم يذكر الفاسى عدتهم.

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠٦.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠٧.

(٣) فى المطبوع: «الحسينيين».

(٤) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ١٠٢.

(٥) انظر الجمهرة ص ٤٧.

ثم ولي مكة علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن، وذلك في سنة خمس وخمسين وأربعمائة في شهر ذي الحجة، وأظهر العدل بها واستعمل الجميل مع أهلها، وكثر الأمن وطابت به قلوب الناس، ورخصت الأسعار في أيامه، وكثرت له الأدعية، وكسا البيت ثوبا أبيض، ورد إلى البيت الحلي الذي أخذه بنو أبي الطيب الحسنيون لما ملكوا بعد شكر، وأقام بمكة إلى يوم عاشوراء، وقيل: إلى ربيع الأول سنة ست وخمسين، وعاد إلى اليمن^(١).

ثم ولي بعده نائبا أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبزي هاشم محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسيني، وسببه أن الصليحي لما دخل مكة كان الأشراف بنو أبي الطيب قد أبعدها عن مكة، وجمعوا عليه، ثم راسلوه بأن يخرج من مكة ويؤمر بها من يختاره منهم، وكان قد وقع في عسكره الوباء فمات منهم سبعمائة رجل، ولم يبق معه إلا نفر يسير، فاختار محمدا هذا ابن جعفر بن أبي هاشم وأقامه نائبا عنه وأمره على مكة واستخدم له عساكر وأعطاه مالا وسلاحا وخمسين فرسا، ثم سار إلى اليمن فجاء الأشراف بنو سليمان ومعهم حمزة بن أبي وهاس، وحاربوا محمد بن جعفر فحاربهم، ولم يكن له بهم طاقة فخرج هاربا من مكة فتبعوه فكر راجعا وضرب واحدا منهم ضربة قطع بها درعه وفرسه وجسده ووصل إلى الأض فرجعوا عنه، وكان تحته فرس يقال لها دنانير لا تكل ولا تمل^(٢).

ومحمد بن جعفر هذا هو أحد أمراء مكة المعروفين بالهواشم، وقيل: إنه كان صهر شكر بن أبي الفتوح علي ابنته والله أعلم بذلك.

ثم عاد محمد بن جعفر إلى مكة بعد خروجه، واستمر متوليا إلى أن مات في سنة سبع وثمانين - بتقديم السين - وأربعمائة، وهو أول من أعاد الخطبة العباسية بمكة بعد أن قطعت نحو مائة سنة، وقد بالغ ابن الأثير في ذمه، فقال: لما أن ذكر وفاته ما له ما يمدح^(٣) به. انتهى.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٠ و ٣١١.

(١) اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٦٨ و ٢٦٩.

(٣) الكامل ج ١٠ ص ٢٣٩.

قال القاسى رحمه الله: ولعل ذلك لنهاه الحاج، وقتله منهم خلقا كثيرا فى سنة ست وثمانين، ولاخذه حلية الكعبة فى سنة اثنتين وستين والله أعلم. انتهى^(١).

وذكر ابن خلدون أن إمرته على مكة كانت ثلاثين سنة، وأنه ملك المدينة رالله أعلم.

ثم ولى مكة بعده ابنه قاسم بن محمد بن جعفر بن أبى هاشم مدة يسيرة، ثم وليها أصبهيد^(٢) بن سارتكين^(٣) بسين مهملة ثم ألف ثم راء مهملة ثم مثناة فوقية ثم كاف ثم مثناة تحتية ثم نون، وكان استيلاؤه عنوة فى أوائل سنة سبع وثمانين - بتقديم المهملة - فهرب منها قاسم بن محمد وأقام أصبهيد بمكة إلى شوال فجمع قاسم عسكريا وكبس أصبهيد بعُسفان، فانهزم أصبهيد إلى الشام، ودخل قاسم مكة، ودامت ولايته عليها إلى أن مات فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة^(٤).

وذكر ابن خلدون أن إمرته نحو ثلاثين سنة على الاضطراب.

ثم ولى مكة بعده ابنه فليته، وقيل: أبو فليته، واستمرت ولايته حتى مات فى سنة سبع وعشرين بتقديم المهملة وخمسمائة^(٥).

ثم ولى مكة بعده ابنه هاشم بن فليته، واستمر متوليا إلى أن مات فى سنة تسع وأربعين - بتقديم المثناة فوقية - وخمسمائة، وقيل فى سنة خمسين، وقيل إحدى وخمسين، ولم يختلف عليه اثنان مدة ولايته^(٦).

ثم ولى بعده ابنه قاسم بن هاشم بن فليته، واستمر إلى سنة ست وخمسين ثم فارق مكة متخوفا من أمير الحاج العراقى، وذلك وقت الموسم لإساءته السيرة فى مكة.

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٢.

(٢) فى المطبوع: «أصيهيد» وفى د: «أصيهيد» والمثبت رواية ابن الأثير فى الكامل ج ١٠ ص ٢٣٩،

والقاسى فى شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٢.

(٣) والذى لذى ابن الأثير فى الكامل ج ١٠ ص ٢٣٩: «سارتكين» ولدى ابن فهد فى إتخاف الورى

ج ٢ ص ٤٨٧: «سرتكين».

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٢.

(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٣.

(٦) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٣.

ثم ولى مكة بعده عمه عيسى بن فليته، ثم عاد قاسم إلى مكة واستولى عليها في شهر رمضان سنة سبع وخمسين - بتقديم السين على الموحدة - أقام بها أياما يسيرة، ثم قتل^(١).
واستقر الأمر بعده لعمه عيسى ودامت ولايته إلى أن مات في سنة سبعين - بتقديم السين - وخمسمائة^(٢).

ثم ولى بعد عيسى ابنه داود بن عيسى بن فليته بعهد من أبيه واستمر إلى ليلة النصف من رجب [سنة] إحدى وسبعين^(٣).

ثم وليها أخوه مكثر بن عيسى، واستمر إلى موسم هذه السنة، ثم عزل وجرى بينه وبين أمير الركب العراقي حرب شديد في ذلك الموسم كان الظفر فيه لطاشتكين^(٤).

ثم ولى مكة في الموسم المذكور الأمير قاسم بن مهنا الحسيني بعد عزل مكثر، وأقام متوليا نحو ثلاثة أيام، ثم إنه رأى من نفسه العجز عن القيام بإمرة مكة فأعاد أمير الحاج داود بن عيسى المذكور آنفا إلى إمرة مكة، وشرط عليه أن يسقط جميع المكوس، ولم تعلم ولايته هذه إلى متى استمرت غير أنه بعدها كان يتداول هو وأخوه مكثر إمرة مكة، ثم انفرد بها مكثر عشر سنين متوالية، آخرها سنة سبع - بتقديم السين - وتسعين - بتقديم المئنة الفوقية - وخمسمائة وهو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم^(٥).

غير أن في ولايته أر في ولاية أخيه داود على الشك كان ممن ولى مكة سيف الإسلام طغتكين - بطاء مهملة ثم غين مهجمة ثم مئنة فوقية - ابن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وذلك في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، لأنه قدم مكة في هذه السنة، ومنع من الأذان [في الحرم] بحى على خير العمل، وقتل جماعة من العبيد المفسدين، وهرب منه أمير مكة إلى قلعة بابي قبيس، وشرط على العبيد أن لا يؤذوا الحاج، وضرب طغتكين الدراهم والدنانير بمكة باسم أخيه السلطان صلاح الدين^(٦).

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٣.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٣.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٤ وما بين حاصرتين منه.

(٤) في المطبوع: «لطاشتكين» والمثبت رواية ابن الأثير في الكامل ج ١١ ص ٤٣٢، ومثلها لدي الفاسي الذي ينقل عنه المصنف.

(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٤.

(٦) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٤ وما بين حاصرتين منه.

ثم ولى مكة بعد مُكثَر: أبو عزيز قَتَادَة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى ابن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحنفي، وذلك في سنة سبع - بتقديم السين - وتسعين - بتقديم المثناة - وخمسمائة، وقيل: في سنة ثمان وتسعين، وقيل في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، ودامت ولايته إلى أن مات في سنة سبع عشرة - بتقديم السين - وقيل في سنة ثمان عشرة وستمائة فتكون ولايته عشرين سنة أو ما يقاربها للاختلاف في مبدأ ولايته، وكانت ولايته ممتدة إلى ينبع^(١) وإلى حلي^(٢)، وكان يحارب صاحب المدينة الشريفة، ويغلب كل منهما الآخر حيناً، وكان ممن ولى مكة بالعقد لا بالمباشرة في أيام قَتَادَة: آقباش بن عبد الله الناصري فتى الخليفة الناصر لدين الله العباسي، لأن مولاه عقد له على الحرمين وإمرة الحج لعظم مكانته عنده^(٣).

ثم بولى مكة بعده ابنه حسن بن قَتَادَة، وقتل بعض عسكره آقباش المتقدم أنفا لأنهم اتهموه أنه واطأ راجح بن قَتَادَة على أن يوليه عوضاً عن أخيه حسن، واستمر حسن المذكور إلى سنة تسع عشرة - بتقديم المثناة - وقيل إلى سنة عشرين وستمائة^(٤).

ثم وليها بعده الملك المسعود يوسف الملقب أفسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب اليمن، لأنه صار إلى مكة وتحارب هو وحسن بن قَتَادَة بالمسعى فانهزم حسن وهرب من مكة ونهبها عسكر الملك المسعود إلى وقت العصر، ودامت ولايته عليها إلى أن مات في سنة ست وعشرين وستمائة^(٥).

وكان ممن ولى مكة نيابة للملك المسعود رجلان: الأول نور الدين عمر بن علي بن

(١) ينبع: بلد حجازي على ساحل البحر الأحمر من جهة الشمال الغربي لمكة المكرمة، ويقال لها ينبع البحر، وقريب منها في الداخل بلد يقال لها ينبع النخل، وهي قرية غناء ذات عيون ومزارع وقد كانت عامرة، وقال يا قوت في معجمه: قال الشريف بن مسلمة بن عياش الينبعي: عدت بها مائة وسبعين عيناً.

(٢) حلي: بلد حجازي على ساحل البحر الأحمر من جهة الجنوب الغربي لمكة.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٥.

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٥.

(٥) شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص ٣٦٥.

رسول الذي ولي السلطنة ببلاد اليمن بعد ذلك، فقصدته حسن بن قتادة بجيش جاء به من ينبع، فتحاربا فانكسر حسن.

والثاني الأمير حسام الدين ياقوت بن عبد الله المسعودي، وذلك في سنة خمس وعشرين وستمئة.

ثم ولي مكة بعد الملك المسعود والده الملك الكامل، واستمر إلى شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين - بتقديم المثناة الفوقية - وستمئة.

ثم وليها نائبه على اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول بعد أن بويع بالسلطنة في بلاد اليمن، وذلك أنه بعث جيشا إلى مكة ومعهم راجع بن قتادة الحسنى أخو حسن المتقدم فأخرجوا متوليها الأمير طغتكين نائب الملك الكامل، فهرب إلى ينبع، فبلغ ذلك الملك الكامل فجهز إلى طغتكين جيشا كثيفا مقدمهم الأمير فخر الدين بن الشيخ على ما قيل، فوصل إلى طغتكين ودخل إلى مكة مع الجيش فأخرجوا منها راجعا ومن معه من أهل اليمن، واستولى طغتكين على مكة وقتل خلقا كثيرا من أهل مكة لخذلانهم له في النوبة الأولى، وكان استيلاؤه [على مكة] في رمضان سنة تسع وعشرين - بتقديم المثناة - وستمئة^(١).

ثم وليها مع راجع بن قتادة، عسكر صاحب اليمن بغير قتال، وذلك في سفر سنة ثلاثين وستمئة^(٢).

أقول: لم يبين الفاسي من هو صاحب اليمن، والذي يظهر أنه الرسول لأن الكلام الآتى يدل على ذلك. انتهى.

ثم وليها في آخر سنة ثلاثين عسكر الملك الكامل، وكان المقدم عليه أميراً يعرف بالزاهد، وأقام أميراً بمكة يعرف بابن مجلى بميم ثم جيم^(٣).

ثم وليها في سنة إحدى وثلاثين عسكر الملك المنصور صاحب اليمن، مع راجع بن قتادة^(٤).

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٦ وما بين حاصرتين منه.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٧.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٧.

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٧.

أقول: لم يبين الفاسى بن هر الملك المنصور، وهو عمر الرسولى، لأنه بعد أن برىح بالسلطنة لقب بالمنصور. انتهى.

ثم وليها نيابة عن الملك الكامل أميره المسمى بجفرييل^(١) -- بجيم ثم فاء ثم راء مهملة ثم مشاة تحتية ثم لام -- وذلك أن الملك الكامل كان قد جهز عسكريا كبيرا فيه ألف فارس، وقيل تسعمائة، وقيل خمسمائة وخمسة أسراء مقدمهم جفرييل المذكور، واستمرت ولاية جفرييل على مكة إلى سنة خمس وثلاثين وستمائة^(٢).

ثم وليها الملك المنصور صاحب اليمن فى هذه السنة وسار إليها بنفسه ودخلها فى رجب، بعد أن هرب جفرييل ومن معه، وكان مع المنصور ألف فارس، ودامت ولايته إلى سنة سبع وثلاثين - بتقديم السين - ورتب بمكة مائة وخمسين فارسا، وجعل عليهم أميرين: ابن الوليد وابن التّعزى^(٣).

ثم وليها الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل صاحب مصر، لأنه جهز إليها جيشا ألف فارس معهم الشريف شىحه - بشين معجمة مكسورة ثم مشاة تحتية ثم حاء مهملة ثم هاء الوقف - صاحب المدينة الشريفة، فاستولوا على مكة بغير قتال. وذلك فى سنة سبع وثلاثين^(٤).

ثم وليها عسكر الملك المنصور صاحب اليمن، ولما قدم العسكر المذكور هرب الشريف شىحه ومن معه.

ثم وليها ثانيا عسكر الملك الصالح صاحب مصر فى سنة ثمان وثلاثين.

وكان ممن وليها للملك الصالح الأمير شهاب الدين أحمد بن التركمانى.

(١) والذى فى السلوك للمقرئى ١ / ١ / ٢٥٠ و ١ / ٢ / ٢٧٤: «جفرييل» ومثله لدى ابن فهد فى

غاية المرام ج ١ ص ٦٠٢.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٧.

(٣) وكذا لدى الخزرجى فى العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٦٢ ومثله لدى ابن فهد فى إتحاف الورى ج ٣ ص

٥٥، وغاية المرام ج ١ ص ٦٠٣. وفى د: «ابن التخرى» ومثله لدى الفاسى الذى ينقل عنه

المصنف.

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٨.

ثم وليها الملك المنصور صاحب اليمن، وذلك في سنة تسع وثلاثين، وسار بنفسه ودخل مكة في رمضان بعد أن فارقه: عسكر الملك الصالح خوفاً منه، ودامت ولايته إلى أن مات، وأمر على مكة في هذه السنة مملوكه الأمير فخر الدين الشَّلَّاح^(١)، وابن فيزور، جعل الشريف أبا سعد بن علي بن قتادة الحسني بالوادي مساعداً لعسكره بعد أن استدعاه من ينبع وأحسن إليه، واستمر مملوكه الشَّلَّاح على نيابة مكة إلى سنة ست وأربعين وستمئة^(٢).

ثم ولي فيها ابن المسيب وعزل الشَّلَّاح.

ثم ولي مكة الشريف أبو سعد [حسن] بن علي بن قتادة، بعد أن قبض على ابن المسيب في ذي القعدة، وقيل في شوال سنة سبع وأربعين - بتقديم السين - واستمر على مكة إلى أن قتل في أوائل شعبان سنة إحدى وخمسين وستمئة، وقيل في رمضان^(٣).

ثم وليها بعد قتله جمار بن حسن بن قتادة، وهو أحد قتلة أبي سعد، ودامت ولايته آخر يوم من ذي الحجة سنة إحدى وخمسين.

ثم وليها بعد جمار عمه راجح بن قتادة الذي كان يليها مع عسكر صاحب اليمن، واستمر متولياً إلى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وستمئة^(٤).

ثم وليها بعده ابنه غانم بن راجح واستمر إلى شوال من السنة المذكورة.

ثم وليها عمه إدريس بن قتادة وأبو نمي بن أبي سعد بن علي بن قتادة، واستمرت ولايتهما^(٥) إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين.

ثم وليها المبارز علي بن الحسن بن برطاس - بموحدة ثم راء وطاء مهملتين فالف سين مهملة - من قبل الملك المظفر بن المنصور صاحب اليمن، لأنه جهز ابن برطاس

(١) في المطبوع: «الشَّلَّاح» بالسين المهملة، والمثبت رواية الفاسي الذي ينقل عنه المصنف، ومثلها ندى ابن ههد في غاية المرام ج ١ ص ٦٠٥.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣١٨.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٣١٩ وما بين حاصرتين منه.

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٩.

(٥) في المطبوع: «ولايتها»

المذكور إلى مكة في عسكر وماتى فارس فتحارب هو وإدريس وأبو نمى ومن معهما، فكان الظفر لابن برطاس، فاستمر على مكة إلى يوم السبت لأربع بقين من المحرم سنة ثلاث وخمسين وستمائة^(١).

فوقع الحرب بين ابن برطاس والأمير ابن ادريس وأبى^(٢) نمى فى الشهر المذكور وسفكت الدماء بالحجر من المسجد الحرام وأسر ابن برطاس ففدى نفسه ثم خرج بمن معه من مكة واستمر الشريفان على مكة^(٣).

ثم انفرد أبو نمى بالولاية فى سنة أربع وخمسين لذهاب عمه ادريس إلى أخيه راجح ابن قتادة، ثم عاد إدريس لمشاركة أبى نمى^(٤).

ثم ولى مكة أولاد حسن بن قتادة وأقاموا ستة أيام، وقبضوا على إدريس، ثم جاء أبو نمى وأخرجه منها ولم يقتل منهم أحدا، واستمر أبو نمى وإدريس شريكين فى الإمرة إلى سبع وستين - بتقديم السين - وستمائة^(٥).

ثم انفرد أبو نمى بالإمرة مدة يسيرة فى هذه السنة، ثم عاد شريكا لإدريس فى سنتها هذه، واستمرت ولايتهما إلى ربيع الأول سنة تسع وستين وستمائة - بتقديم المشاة الفوقية.

ثم انفرد فيها إدريس نحو أربعين يوما ثم قتل فى السنة المذكورة بخليص^(٦). فولياها أبو نمى، واستمر إلى سنة سبعين وستمائة بتقديم السين^(٧).

ثم وليها فى هذه السنة فى صفر الشريف جمار بن شيحة صاحب المدينة وغانم بن إدريس بن حسن بن قتادة صاحب ينبع شريكين ثم عاد أبو نمى إلى ولايتها بعد أربعين يوما من سنة سبعين.

أقول: مقتضى هذا الكلام أن ولاية جمار وغانم المذكورين إنما هى أيام يسيرة، إما

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «ابن».

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٠.

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٩.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣١٩.

(٥) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٠.

(٦) خليص: قرية قريبة من مكة فى طريق المدينة المنورة.

(٧) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٠.

عشرة أو أقل، لأن أبا نمى كان مالكا لمكة جميع شهر محرم سنة سبعين بلا ريب كما تعطيه العبارة، وتكون ولاية جماز وغانم على تقدير أنها عشرة أيام أول يوم من صفر سنة سبعين، وإلا كانت أقل ويكون عود أبي نمى فى الحادى عشر من صفر من السنة لأنه بعد أربعين يوما والله الموفق.

واستمر أبو نمى على مكة فى عودة هذا بعد أن أخرج جمارا وغانما إلى سنة سبع وثمانين وستمائة - بتقديم السين - ثم عاد جماز بن شبيحه المذكور إلى ولاية مكة فى أواخر هذه السنة وأقام مدة يسيرة ثم عاد أبو نمى واستمر إلى قبل وفاته بيومين. فعهد إلى ابنه حميضة ورميثة بالإمرة بعده، وكانت وفاته فى يوم الأحد رابع صفر سنة إحدى وسبعمائة فكانت إمرته على مكة شريكا ومستقلا نحو خمسين سنة، واستقلاله بالإمرة يزيد على ثلاثين سنة شيئا يسيرا.

وكان ممن ولى مكة فى ولاية أبى نمى وإدريس من قبل السلطان الظاهر بيبرس صاحب مصر، أمير يقال له شمس الدين مروان، وذلك بسؤال أبى نمى وعمه فى ذلك ليرجع أمرهما إليه، وكان ذلك فى سنة سبع وستين وستمائة^(١).

وفىها حج السلطان بيبرس ثم عزل مروان عن ذلك فى سنة ثمان وستين وستمائة.

ثم وليها بعد موت أبى نمى ابنه حميضة ورميثة المذكوران وذلك فى سنة إحدى وسبعمائة فى صفر منها، واستمر إلى موسمها فقبض عليهما.

ثم وليها عوضهما أخوهما أبو الغيث وعُطيفة وقيل بل محمد بن إدريس بن قنادة عوض عطيفة، وكان ذلك بمباشرة أمير الحاج بيبرس الجاشنكير - بجيم ثم ألف نشين معجمة فنون ثم كاف ومثناة تحتية وراء مهملة - الذى ولى السلطنة بعد ذلك بمصر فى سنة ثمان وسبعمائة. وكان فعله هذا تأديبا لحميضة ورميثة لإساءتهما إلى أخويهما أبى الغيث وعطيفة.

ثم عاد حُميضة ورميثة إلى إمرة مكة فى سنة ثلاث وسبعمائة وقيل فى التى بعدها بولاية من الملك الناصر صاحب مصر واستمرتا متوليتين إلى موسم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة^(٢).

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٢١.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٢٢.

ثم وليها أبو الغيث بن أبي نُمَيٍّْ من قِبَلِ الملك الناصر أيضاً فحاربه حميضة فظفر بأبي الغيث فقتله واستمر على مكة إلى شعبان سنة خمس عشرة وسبعمائة^(١).

ثم وليها رُمَيْثَةُ في السنة المذكورة من الناصر، واستمر إلى انقضاء الحج من سنة سبع عشرة أو أول ثمان عشرة^(٢).

ثم وليها حُمَيْضَةُ واستمر إلى أوائل سنة تسع عشرة.

ثم وليها عَطِيفَةُ بن أبي نَمَيٍّْ من قِبَلِ الملك الناصر، ودامت ولايته على مكة إلى أوائل سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، غير أن أخاه رميثة في بعض السنين المذكورة شاركه في الإمرة، ثم انفرد رميثة بالإمرة وذلك في ربيع الآخر أو جمادى من سنة إحدى وثلاثين، واستمر إلى سنة أربع وثلاثين، ثم شاركه فيها أخوه عطيفة بلا قتال، ثم انفرد رميثة أيضاً بالإمرة في سنة أربع وثلاثين بعد رحيل الحاج واستمر إلى موسم سنة خمس وثلاثين ثم عاد عطيفة لمشاركته في هذا التاريخ واستمر إلى أثناء سنة ست وثلاثين، فحصلت بينهما منافرة، فانفرد عطيفة بمكة وأقام رميثة بالجديد ثم اصطلحا في سنة سبع وثلاثين بتقديم بالسين.

ثم انفرد رميثة في هذه السنة بالإمرة واستمر إلى سنة ست وأربعين وسبعمائة.

ثم وليها عجلان بن رُمَيْثَةَ بمفرده من قِبَلِ الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، ثم من أخيه الكاسل شعبان، وذلك بعد وصول عجلان إلى القاهرة، فعاد متولياً في شهر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين في حياة أبيه، ثم مات أبوه في ذي القعدة من هذه السنة واستمر إلى سنة ثمان وأربعين^(٣).

ثم وليها معه أخوه ثقبه^(٤) ودامت ولايتهما إلى سنة خمسين وسبعمائة.

ثم استقل ثقبه بالإمرة في سنة خمسين لغيبة عجلان بمصر.

ثم وليها عجلان في خامس شوال سنة خمسين، واستمر إلى موسم سنة اثنين وخمسين.

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٢.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٤.

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٢.

(٤) تحرف في المطبوع إلى: «ثقبه».

ثم وليها ثقبه بمفرده في هذه السنة فلم يمكنه عجلان، ثم اتفقا على المشاركة، ثم استقل ثقبه بالإمرة في أثناء سنة ثلاث وخمسين بعد أن قبض على أخيه عجلان واستمر إلى أن قبض عليه في موسم سنة أربع وخمسين.

ثم وليها أخوه عجلان بمفرده واستمر إلى تاسع عشر المحرم من سنة سبع وخمسين بتقديم السين.

ثم انفرد ثقبه بالإمرة في ثالث عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة.

ثم وليها عجلان بمفرده في موسم هذه السنة، ثم اشتركا في الإمرة في موسم سنة ثمان وخمسين واستمرا إلى أن عزلا في أثناء سنة ستين وسبعمائة.

ثم وليها أخوهما سند وابن عمهما محمد بن عطيفة بن أبي نمي، وكان محمد بمصر فوصل بعسكره إلى مكة في جمادى الآخرة سنة ستين، واستمر إلى سنة إحدى وستين وسبعمائة، فزالت ولاية محمد بن عطيفة.

ثم اشترك ثقبه مع أخيه سند في الإمرة إلى أن كان شهر شوال سنة اثنتين وستين وسبعمائة.

ثم ولي مكة في هذه السنة السيد عجلان بن رميثة وكان معتقلا بمصر، فأطلق وأخوه ثقبه بسؤال السيد عجلان له في ذلك، ثم خرج عجلان من مصر وكان ثقبه مريضا، فلما قارب مكة لم يدخلها حتى مات ثقبه في شهر شوال سنة اثنتين وستين، فاشترك معه ابنه أحمد بن عجلان حال دخوله وجعل له ربع المتحصل يصرفه في خاصة نفسه، وعلى عجلان كفاية العسكر. ثم مات سند عقيب ذلك ودامت ولاية عجلان وابنه أحمد إلى سنة أربع وسبعين.

ثم انفرد أحمد بن عجلان بالإمرة بسؤال أبيه عجلان له بشروط شرطهما عليه أبوه، منها: أن لا يقطع^(١) اسمه في الخطبة والدعاء على زمزم إلى غير ذلك فوفى له أحمد بذلك^(٢).

واستمر أحمد منفردا بالإمرة إلى سنة ثمانين وسبعمائة، ثم وليها معه ابنه محمد بن

(١) تحرف في المطبوع إلى: «أن لا يقع».

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٦.

أحمد بسؤال أبيه ولم يظهر لولايته أثر لصغره واستبداد والده بالأمر، واستمرا إلى أن مات أحمد بن عجلان في حادى عشرى شعبان سنة ثمان وثمانين^(١).

ثم استقل محمد بالإمرة إلى أن فاز بالشهادة في مستهل شهر ذى الحجة من هذه السنة، وسببه أنه حضر لخدمة المحمل في يوم العرضة على العادة، وكان عمه كبيش أشار إليه بعدم الحضور لأنه كان مدير أموره فلم يسمع منه فقتل، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

ثم وليها بعد قتل محمد: عنان بن مغاس بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَى، وأشرك معه فى الإمرة بنى عمه: أحمد بن ثقبه وعقيل بن مبارك بن رُمَيْثَة، وأخاه على بن مبارك وكان يُدعى لهؤلاء الثلاثة معه على زمزم، واستمر عنان وشركاؤه إلى شهر شعبان تسع وثمانين وسبعمئة فبلغ السلطان ما حصل من الفتن وعدم الأمن بسبب تخبيط كبيش على عنان، فعزل عنانا فى هذا التاريخ^(٢).

ثم وليها بعد عزله على بن عجلان، فلم يمكنه عنان من مكة، فاجتمع آل عجلان ومعهم كبيش واقتتلوا، فقتل كبيش وغيره، وانهمزم على بن عجلان وتوجه إلى مصر، ودخل عنان مكة واستولى عليها إلى موسم سنة تسع وثمانين.

ثم عاد على بن عجلان شريكا لعنان بشرط حضور عنان العرضة لخدمة المحمل، فلم يحضره خشية من آل عجلان، ثم سافر إلى مصر فى أثناء سنة تسعين فأنفرد على بن عجلان بالإمرة إلى أثناء سنة اثنتين وتسعين، ثم شاركه عنان بولاية من الملك الظاهر بربوق، وكان الشرفاء مع على والقواد مع عنان فلم يتم أمرهما كما ينبغي، واستمرا كذلك إلى الرابع والعشرين من صفر سنة أربع وتسعين وسبعمئة.

ثم انفرد بها على بن عجلان، ثم استدعاه السلطان هو وعنانا للحضور إلى مصر فتوجه عنان أولا ثم لحقه على وترك على مكة عوضه أخاه محمد بن عجلان، ثم عاد على إلى مكة فى موسم سنة أربع وتسعين منفردا بولاية مكة واستمر إلى أن استشهد فى تاسع شوال سنة سبع - بتقديم السين - وتسعين، وكان فى غالب ولايته مقلوبا مع الأشراف، وأفضى الحال إلى أن قل الأمان بمكة ونواحيها وهربت التجار إلى ينبع، ولحق أهل مكة

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٧.

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٧.

بسبب ذلك شدة فلما قتل قام بأمر مكة أخوه محمد واستمر إلى الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة.

ثم ولى مكة السيد الشريف حسن بن عجلان وكان قدم مصر سنة سبع وتسعين، فاعتقله السلطان، فلما قتل أخوه أطلقه وأنعم عليه بولاية مكة فقدم مكة فى السنة المذكورة وضبط أحوال البلاد وحسم مواد الفساد، وأخذ بثار أخيه على من الأشراف فى الحرب الذى كان بالزبارة^(١) بوادى مَرّ فى يوم الثلاثاء خامس عشرى شوال من السنة المتقدمة، وكان عدة من قتل من الأشراف وجماعتهم نحو أربعين رجلا، ولم يُقتل من جماعة السيد حسن إلا واحد أو اثنان^(٢).

واستمر السيد حسن منفردا بالولاية إلى سنة تسع - بتقديم المثناة - وثمانمائة، ثم أشرك معه فى الإمرة ابنه السيد بركات، واستمر إلى اثناء سنة إحدى عشرة وثمانمائة، ثم سأل لابنه السيد أحمد بن حسن فى أن يكون شريكا لأخيه السيد بركات وتكون الإمرة بينهما فأجيب إلى ذلك.

وولى السيد حسن نيابه السلطنة بجميع بلاد الحجاز، وصار يدعى له فى الخطبة بمكة وعلى زمزم، ودامت ولايتهم إلى اثناء صفر سنة ثمانى عشرة وثمانمائة.

ثم ولى ذلك السيد رميثة بن محمد بن عجلان بن رميثة، ولم يصل إلى مكة إلا فى مستهل ذى الحجة من السنة المذكورة، واستمر متوليا إلى ثامن رمضان سنة تسع عشرة.

ثم عاد السيد حسن بن عجلان لإمرة مكة بمفرده دون ولديه، فخرج رميثة من مكة بعد وقوع المحاربة بالمعلاة بينه وبين عسكر عمه السيد حسن على كره من السيد حسن، وكان الظفر لعسكر السيد حسن، واستمر السيد حسن متوليا إلى أول سنة أربع وعشرين وثمانمائة.

(١) الزبارة: قرية لبني عمير فى واد مر. تقع بعد التقاء النخلتين، وعندهما أخذ الوادى اسمها. وقد تحرف فى المطبوع إلى «الزيارة» بالياء، وهو تحريف قبيح. صوابه من: د وغاية المرام ج ٢ ص ٢٥٣.

(٢) شفاه الغرام ج ٢ ص ٣٢٩.

ثم شاركه ابنه السيد بركات بولاية من الملك المظفر أحمد بن الملك المؤيد صاحب مصر، ودامت ولايتهما إلى أوائل سبع - بتقديم السين - وعشرين وثمانمائة .

ثم ولي مكة السيد علي بن عنان بن مغماس بن رميثة الحسنى بمفرده، بولاية من قبل الملك الأشرف برسباي، وكان بمصر فقدم مكة صحبة العسكر الأشرفى واستمر متولياً إلى أوائل الحجة سنة ثمان وعشرين^(١) .

ثم أعاد الأشرف برسباي: السيد حسن إلى إمرة مكة ورضى عنه، وتوجه السيد حسن بعد انقضاء الحج إلى مصر، فنال من السلطان إكراما كثيرا وأقره على إمرة مكة، واستمر بمصر إلى أن مرض بها وتوفى فى سادس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة بعد أن كان تجهز للسفر إلى مكة رحمه الله وأسكنه فسيح جناته^(٢) .

ثم وليها السيد بركات بن حسن بعد وفاة أبيه، وكان السلطان قد استدعاه إلى مصر، فقدم عليه فى ثالث رمضان، فقوض إليه إمرة مكة عوضاً عن أبيه فى السادس والعشرين من رمضان المذكور واستمر أخوه السيد إبراهيم نائباً عنه، ولبس خلة النيابة بمصر ثم توجه السيد بركات إلى مكة فوصلها فى أوائل العشر الأوسط من ذى القعدة هذا آخر معنى كلام الفاسى فى شأن أمراء مكة .

ثم قال رحمه الله ما صورته: هذا ما علمناه من خبر ولاية مكة فى الإسلام، وقد أمعنا فى تحصيل ذلك الاجتهاد، وما ذكرناه من ذلك غير واف، بكل المراد، لأنه خفى علينا جماعة من ولاية مكة، وخصوصاً ولاتها من زمن المعتضد إلى ابتداء ولاية الأشراف فى آخر خلافة المطيع العباسى وخفى علينا كثير من تاريخ ابتداء ولاية كثير منهم وتاريخ انتهائها، ومع ذلك فهذا الذى ذكرناه من ولاية مكة ليس له فى كتاب نظير، والذى لم نذكره من الولاية هو اليسير، وسبب الإقلال^(٣) فى ذلك والتقصير، أنا لم نر مؤلفاً فى هذا المعنى فنستضىء به لعدم العناية بتدوين ذلك^(٤) . انتهى كلامه .

(١) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٣٤ .

(٢) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٣٤ .

(٣) فى الأصلين: «الإخلال» والمثبت رواية الفاسى .

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٣٥ .

واستمر السيد بركات بعد موت الفاسى على ولاية مكة إلى أثناء سنة خمس وأربعين
وثمانمائة، فعزل عن ذلك.

ثم وليها أخوه السيد على بن حسن^(١)، وكان بالقاهرة، فوصل مكة يوم السبت مستهل
شعبان، واستمر متولياً إلى رابع شوال سنة ست وأربعين، فقبض عليه وعلى أخيه
إبراهيم.

ثم وليها أخوه أبو القاسم بن حسن، فقدم من مصر متولياً، ودخل مكة فى يوم
السبت السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ست وأربعين وثمانمائة، واستمر على ولايته
إلى أوائل سنة خمسين، فعزل.

ثم أعيد السيد بركات بن حسن إلى ولاية مكة، ودامت ولايته إلى أن مرض وتوعدك
بدنه وذلك سنة تسع وخمسين - بتقديم المشاة الفوقية - وثمانمائة، فسأل نائب جدة الأمير
جانبك الظاهرى^(٢) بأن يرسل إلى السلطان يسأله فى ولاية إمرة مكة لولده السيد محمد
عوضاً عن أبيه، فأجاب السلطان إلى ذلك، فقبل وصول الخبر توفى السيد بركات فى عصر
يوم الاثنين تاسع عشر شعبان سنة تسع وخمسين بأرض خالد بوادى مر، وحمل على أعناق
الرجال إلى مكة، ودفن بها فى صبح يوم الثلاثاء لعشرين من شعبان.

فلما كان عصر اليوم المذكور، وصل قاصد من أنديار المصرية بمرسوم مؤرخ بسادس
عشر رجب مضمونه ولاية السيد محمد إمرة مكة، فدعى له على زمزم بعد المغرب من ليلة
الأربعاء حادى عشر شعبان.

ثم وصل السيد محمد إلى مكة ليلة الجمعة سابع رمضان، وقرئ مرسومه فى
صبحها.

ثم كان رابع شوال من السنة المذكورة وصل إلى السيد محمد كتاب من السلطان
بالعزاء فى والده، وتوقيع باستمراره فى الإمرة مؤرخ بشهر رمضان، واستمر السيد محمد
رحمه الله على ولاية مكة، ودانت له البلاد، وأطاعه العباد، وأظهر العدل والإحسان

(١) انظر فى السيد على بن حسن: غاية المرام ج ٢ ص ٤٨٧.

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «الظاهرى» بالطاء المهملة. وصوابه من: د وابن فهد فى غاية المرام.

والشفقة والرأفة على الرعية والالفتات فى أمور المسلمين وعدم الغفلة عن ذلك فبسبب ذلك طالت مدته وحمدت سيرته وطابت سريرته، وكانت مدة ولايته ثلاثاً وأربعين سنة ونصف سنة إلا خمسة أيام أو نحوها مع مشاركة ولده السيد بركات على عوائدهم، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى فى الحادى والعشرين من شهر المحرم الحرام سنة ثلاث وتسعمائة بوادى الابهار، وحمل إلى مكة ودفن بها.

ثم وليها بعده ولده السيد بركات من قبل الملك الناصر محمد بن قايتباى فى رابع ربيع الآخر من سنة ثلاث، واستمر على ولايتها إلى أن كان موسم سنة ست وتسعمائة.

فولياها أخوه السيد هزاع بن محمد بعد محاربة وقعت بينه وبين أخيه السيد بركات فى الموسم المذكور بمحل يقال له وادى الجموم^(١) بمر الظهران، فانهزم السيد بركات، ودخل السيد هزاع مكة وحج بالناس، ثم خرج منها بعد انقضاء الحج إلى ينبع خوفاً من أخيه بركات لقلّة عسكره، فعاد السيد بركات إلى مكة، واستمر بها إلى جمادى الثانية عام سبع - بتقديم السين - وتسعمائة، فوصل السيد هزاع من ينبع بعسكر عظيم وتحارب هو وأخوه بركات محاربة ثانية بمحل يقال له طرف البرقاء^(٢) فانهزم السيد بركات.

ثم وليها السيد هزاع ثانياً، واستمر إلى خامس عشر رجب ثم توفى إلى رحمة الله تعالى^(٣).

ثم عاد السيد بركات إلى مكة، واستمرت الفتن والشور بينه وبين أخيه السيد أحمد جازان وتحاربا مرارا، وكان ابتداء ذلك من أواخر ذى الحجة عام سبع وتسعمائة، إلى أن كان يوم السبت الخامس والعشرين من شهر شوال عام ثمان وتسعمائة، فوصل السيد جازان بعسكر كبير من ينبع من بنى إبراهيم وغيرهم، ووقع الحرب بينه وبين أخيه السيد بركات، فانهزم السيد بركات.

ثم وليها السيد جازان ودخل مكة فى يوم السبت المذكور، ونهب عسكره مكة وفعلوا أفعالا قبيحة، وانتهكوا حرمة البيت، وجرى منهم على مكة وأهلها أمور شنيعة ليس هذا

(١) منائح الكرام ج ٣ ص ١٠٥.

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «البرقاء» بالفاء، وصوابه من: د، و منائح الكرم ج ٣ ص ١١٠.

(٣) منائح الكرم ج ٣ ص ١١٠ - ١١١.

محل ذكرها ولا نحن بصددنا، واستمر السيد جازان بمكة إلى آخر ذى القعدة من السنة المذكورة، فبلغه وصول التجريدة من قبل السلطان الغورى، وباشتها الأمير الكبير المعروف بِقِيَّتِ الرَّجَبِيِّ - بالجيم ثم الموحدية - بسبب ما فعله السيد جازان من نهب مكة، ونهب الحاج الشامى والمصرى، فخرج من مكة هاربا.

فعاد السيد بركات إلى مكة وواجه أمير التجريدة، فقبض عليه وتوجه به إلى القاهرة فى أوائل سنة تسع وتسعمائة.

ثم عاد السيد جازان إلى مكة، واستمر بها إلى يوم الجمعة عاشر رجب سنة تسع، فقتله الأتراك الشراكسة بالمطاف.

ثم وليها بعده السيد حميضة بن محمد، واستمر إلى أواخر المحرم أو أوائل صفر من سنة عشر وتسعمائة، فعزل.

ثم وليها أخوه السيد قايتباى بن محمد بإشارة من أخيه السيد بركات، واستمر متوليا موافقا لأخيه السيد بركات مستضيئا برأيه إلى أن توفى إلى رحمة الله تعالى فى يوم الأحد الحادى والعشرين من صفر عام ثمان عشرة وتسعمائة بأرض حسان بوادى مر، وحمل إلى مكة ودفن بها.

ثم استولى السيد بركات بعد موته على مكة إلى شهر شعبان من هذه السنة. ثم أرسل ولده مولانا السيد أبانمى بن بركات إلى الديار المصرية، فوصلها وقابل السلطان قانصوه الغورى، فأكرمه وعظمه وأنعم عليه بإمرة مكة، ثم عاد إليها شريكا لأبيه، وكان وصوله فى أواخر ذى القعدة الحرام بين يدى الحاج من السنة المذكورة، واستمر كذلك إلى أن كان عام ثلاث وعشرين فاستولى مولانا الخنكار^(١) الأعظم سليم خان بن عثمان على الديار الشامية والمصرية والحرمين الشريفين، وجهاز قاصداً إلى مكة للسيد بركات والسيد أبى نمى باستقرارهما على إمرة مكة، فتجهز حينئذ مولانا السيد أبو نمى وسافر إلى القاهرة، وقابل السلطان فأكرمه واحترمه وأقره هو ووالده على إمرة مكة.

ثم عاد إلى مكة، واستمر شريكا لأبيه إلى أن أذن الله بوفاة مولانا السيد بركات فى

(١) الخنكار: أحد القاب السلطان العثمانى، وتعنى: مبدع العالم.

أثناء ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام عام أحد وثلاثين وتسعمائة رحمه الله وأسكنه جنته.

ثم وليها بعده ابنه السيد أبو نمي أدام الله أيامه بمفرده، ووصلت الأحكام الخنكارية السليمانية بولايته لإمرة مكة في أواخر سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة، فاطمأنت به الخواطر، وقرت النواظر، واستمر أدامه الله ومتع المسلمين بحياته منفردا بالولاية إلى عام ست وأربعين وتسعمائة.

ثم وليها ابنه مولانا السيد أحمد شريكاً لوالده في هذا العام بعد وصوله إلى الديار الرومية ومقابلته لمولانا الخنكار الأعظم والخاقان الأكرم الملك المظفر سليمان خان خلد الله ملكه وأدام أيامه، فقبول بالإكرام والرعاية والاحترام، وعاد إلى مكة في أول ربيع الأول عام سبع وأربعين وتسعمائة، واستمر شريكاً لوالده مولانا السيد أبي نمي إلى عامنا هذا، وهو عام خمسين وتسعمائة، متع الله بحياتهما وأدام أيامهما وخلدهما خلود الدهر وأمدهما بالتأييد والنصر آمين.

هذا ما وقفت عليه في ذكر أمراء مكة من عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا والله تعالى

أعلم.

الخاتمة

نسال الله حسن الخاتمة

فى ذكر الأماكن المعظمة والمشاهد المكرمة

التي تقصد زيارتها المشهورة بالفضل بمكة شرفها الله تعالى وحرمها

وضواحيها من المواليد والدور والمساجد والجبال والمقابر وما أشبه ذلك

أما المواليد فمنها وهو أجلها: مولد سيدنا رسول الله ﷺ فنبدأ به وهو بمكة فى المكان المعروف بسوق الليل مشهور بمولد النبي ﷺ (١).

وكان عقيل بن أبى طالب قد استولى عليه زمن الهجرة، وفيه وفى غيره أشار ﷺ بقوله فى حجة الوداع وهل ترك لنا عقيل من ظل أو منزل، ولم يزل بيد عقيل وولده حتى باعه بعضهم من محمد بن يوسف الثقفى أخى الحجاج، فأدخله فى داره التي يقال لها البيضاء، ولم يزل كذلك حتى حجت الخيزران أم الخليفةتين موسى الهادى العباسى وأخيه هارون الرشيد، فأخرجته وجعلته مسجداً يصلى فيه (٢).

وكون هذا المكان مولده ﷺ مشهور متوارث يآثره الخلف عن السلف، وجرت العادة بمكة فى ليلة الثانى عشر من ربيع الأول فى كل عام أن قاضى مكة الشافعى يتهبأ لزيارة هذا المحل الشريف بعد صلاة المغرب فى جمع عظيم منهم الثلاثة القضاة وأكثر الأعيان من الفقهاء والفضلاء، وذوى البيوت بفوانيس كثيرة، وشموع عظيمة وزحام عظيم، ويدعى فيه للسلطان ولأمير مكة، وللقاضى الشافعى بعد تقدم خطبة مناسبة للمقام، ثم يعود منه إلى المسجد الحرام قبيل العشاء ويجلس خلف مقام الخليل عليه السلام بإزاء قبة القراشين، ويدعو الداعى لمن ذكر آنفا بحضور القضاة وأكثر الفقهاء، ثم يصلون العشاء وينصرفون.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣١.

(٢) أخبار مكة للأردقى ج ٢ ص ١٩٨، شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣١.

ولم أقف على أول من سن ذلك، وسألت مؤرخى العصر فلم أجد عندهم علما بذلك.

ومن فضائل هذا المحل المبارك ما نقله الأزرقى عن من كان ساكنا به قبل أن تخرجه الخيزران أنه قال: والله لم يصبنا فيه منذ سكناه لا جائحة ولا حاجة حتى خرجنا منه فاشتد علينا الزمان^(١). انتهى بمعناه.

وقد ذكر السهيلي أنه عليه السلام ولد بالشعب، وقيل بالدار التى عند الصفا التى كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج، ثم بنتها زبيدة مسجدا لما حجت^(٢). انتهى. وهو غريب.

ونقل مغلطاي فى «سيرته» ما ذكره السهيلي، ثم قال ويقال ولد بالردم، ويقال بعُسقان. انتهى بمعناه^(٣). وهو أغرب.

والمراد بالردم: ردم بنى جمح لا الذى بأعلى مكة لأن ذلك لم يكن إلا فى زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه. ويعرف الآن بالمدعى ونسبة الأول لبني جمح هو أنهم قتلوا وردد عليهم التراب هنالك^(٤). ولم أقف على تعيين محله بمكة ولا رأيت من ذكره، والمعروف المشهور فى مولده عليه السلام هو الأول الذى بسوق الليل، ولا اختلاف فيه عند أهل مكة.

ومنها: مولد السيدة فاطمة ابنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها، وهو فى دار أمها خديجة رضي الله عنها بمكة فى الزقاق المعروف بزقاق الحجر. وسماها الطبرى دار خزيمة بمعجمتين^(٥).

قال الأزرقى: وهذه الدار كان يسكنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خديجة، وفيها ابنتى بها، وولدت جميع أولادها، وتوفيت بها، ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم ساكنا بها حتى هاجر إلى المدينة، فاستولى عليها عقيل بن أبى طالب، ثم اشتراها منه معاوية وهو خليفة فجعلها

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ١٩٩.

(٢) الررض الأنف ج ١ ص ١٨٤.

(٣) الإشارة إلى سيرة المصطفى ورقة ٤.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣٢، الزهور المقتطفة ص ١٥٦.

(٥) القرى لقاصد أم القرى ص ٦٦٤.

مسجداً وفتح فيه باباً من دار أبيه أبي سفيان التي قال فيها ﷺ يوم الفتح: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن^(١). انتهى.

وتسمى هذه الدار جميعها بمولد فاطمة، وموضع مسقط رأسها معروف فيها، قال الفاسي رحمه الله: ولا ريب في كون فاطمة رضي الله عنها ولدت في هذه الدار^(٢). انتهى.

وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد وبها قبة يقال لها قبة الوحي وإلى جنبها موضع يزوره الناس يسمى المختبأ زعموا أن النبي ﷺ كان يختبئ فيه من الحجارة التي يرميه بها المشركون ولا أصل لذلك.

قال الأزرقي: سألت جدي ويوسف بن محمد بن إبراهيم وغيرهما من أهل العلم بمكة عن ذلك فأنكروه. انتهى. ودار خديجة هذه أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام، قاله المحب الطبري^(٣).

ومنها: مولد سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو بالمحل المعروف بشعب علي وهو مقابل لمولد النبي ﷺ من أعلاه مما يلي الجبل مشهور عند أهل مكة لا اختلاف فيه وعلي بابة حجر مكتوب عليه: هذا مولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفي هذا المحل تربي رسول الله ﷺ^(٤). وفي هذا المحل موضع كالتنور يقال إنه مسقط رأسه رضي الله عنه. ونقل الجدي عن سعد الدين الإسفرايني أن في جدار هذا المحل بالزاوية حجراً يقال إنه كان يكلم النبي ﷺ، وقيل: إن مولد سيدنا علي رضي الله عنه في جوف الكعبة. وضعفه النروي في «تهذيب الأسماء واللغات».

ومنها: فيما قيل مولد سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وهو بأسفل مكة على طريق الذهاب إلى بركة الماجن بالنون وأهل مكة يقولون ماجد بالدال وهو خطأ. قال الفاسي رحمه الله: ولم أر شيئاً يدل بصحة ذلك، بل في صحته نظر، لأن هذا الموضع ليس محلاً لبني هاشم والله أعلم^(٥). انتهى.

ومنها: غار لطيف في أعلى الجبل المجاور لضريح الشيخ عبد الكبير بن يس

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣٤.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣٤.

(١) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ١٩٩.

(٣) القرى لقاصد أم القرى ص ٦٦٤.

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣٥.

الحضرمي المعروف عند أهل مكة بجبل النوبي أسفل مكة ويسمى ثبير الزنج . كما سيأتي .
يقال : إن سيدنا عمر بن الخطاب ولد به . قال الفاسي : ولا أعلم في ذلك شيئاً يستأنس فيه
إلا أن جدِّي لأمي^(١) القاضي أبا الفضل النويري كان يزور هذا الموضع في جمع من
أصحابه في ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول في كل سنة في الغالب ، والله أعلم
بحقيقة ذلك^(٢) .

ومنها : موضع بالدار المعروفة بدار أبي سعيد وتعرف أيضاً بدار الدقوقي - بقافين
بينهما واو - بالقرب من دار العجلة ، يقال له مولد جعفر الصادق . ونقل الفاسي رحمه
الله : أن علي بابة حجرا مكتوبا عليه : هذا مولد جعفر الصادق ودخله النبي ﷺ ثم
قال : ويقال له : جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، والله أعلم بحقيقة ذلك^(٣) . انتهى .

ذكر الدور المباركة

ومنها : دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهي بزقاق الحجر معروف عند أهل مكة ، وعلى
بابها حجر مكتوب فيه : هذه دار صاحب رسول الله ﷺ في الغار ورفيقه في الأسفار أبي
بكر الصديق^(٤) .

وتسمى أيضاً بركان أبي بكر ، يقال : إنه كان يبيع فيه الخبز ، وأسلم فيه جمع من
الصحابة ، منهم : علي وعثمان وطلحة والزبير . وفي جدار هذا المكان أثر مرفق النبي
ﷺ ولهذا يسمى بزقاق المرفق أيضاً .

ويقابل هذه الدار جدار فيه حجر مبارك بارز عن الحائط قليلاً يتبرك الناس بلمسه ،
يقال : إنه كان يسلم على النبي ﷺ كلما اجتاز عليه . قال الفاسي رحمه الله : وهذا
الحجر إن صح سلامه على النبي ﷺ ، فلعله المعنى بقوله ﷺ : إني لأعرف حجراً
بمكة كان يسلم عليَّ ليالي بُعثت^(٥) .

(١) تحرف في المطبوع إلى : «الاقى» وصوابه لدى الفاسي الذي ينقل عنه المصنف .

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣٥ .

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣٨ .

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٣٩ ، والحديث أخرجه مسلم رقم ٢٢٧٧ في كتاب الفضائل ، باب فضل
نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة .

وفى «الشفاء» قيل: إنه الحجر الأسود، واستبعده المحب الطبرى.

ومنها: دار خديجة زوج النبي ﷺ، وهى التى يقال لها مولد فاطمة. وقد تقدم الكلام عليها آنفاً وبيان محلها مستوفى، وإنما ذكرتها هنا ليعلم أنها من جملة الدور المباركة، وإنما غلب عليها اسم المولد واشتهرت به.

ومنها: دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى المعروفة الآن بدار الخيزران المجاورة للصفاء، والمقصود بالزيارة المسجد الذى فيها، لأن النبي ﷺ كان مستترا فيه فى مبدأ الإسلام، وفيه أسلم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب وغيرهما. ومنه ظهر الإسلام، وبه كان اجتماع الصحابة فله فضل كبير. وهذا المسجد بنته الخيزران جارية المهدي العباسى المتقدمة آنفاً^(١).

أقول: ولعله لهذا السبب نسبت الدار إليها والله أعلم. انتهى.

ومنها: دار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه التى هى الآن رباط للفقراء بالمسعى المعظم، وفى جدارها أحد الميلين الأخضرين اللذين يسن الجرى بينهما حالة السعى^(٢).

ومنها: الموضع المعروف برباط الموفق، واشتهر فى هذا الزمان برباط المغاربة لسكنائهم به، وهو أسفل مكة عند سوق باب إبراهيم. قال الفاسى رحمه الله: وجدت بخط جد أبى الشريف أبى عبد الله الفاسى أنه سمع الشيخ أبى عبد الله بن مطرف نزيل مكة الولى المشهور يقول: ما وضعت يدي فى حلقة هذا الرباط إلا وقع فى نفسى كم ولى الله وضع يده فى هذه الحلقة. ثم قال: وبلغنى أن الشيخ خليلاً المالكى كان يقول: إن الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه وكان يكثر إتيانه للدعاء^(٣). والله أعلم انتهى.

ومنها: الموضع الذى يقال له معبد الجنيد يُلحَفُ الجبل الذى يقال له الأحمر، أحد أخشى مكة. قال الفاسى رحمه الله: ويقال له الآن قعيقعان^(٤) وجبل أبى الحارث^(٥) أيضاً. انتهى.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤٠.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤٠.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤٠ و ٤٤١.

(٤) تحرف فى المطبوع إلى: «تعبقان» وصوابه لدى الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤١.

وهو الآن مشهور عند أهل مكة بجبل جزل. ونقل الجدل أنه معبد إبراهيم بن آدم على ما قيل، والله أعلم.

ذكر المساجد

وهي كثيرة، ذكرها من المتقدمين الأزرقى وغيره، وتبعه من المتأخرين الطبرى والفاسى وغيرهما. منها ما هو موجود معروف إلى يومنا هذا. ومنها ما هو دائر لا يعرف بمكة وخارجها ذكرها الأزرقى ثم تبعه الطبرى والفاسى ولم يبين أمرها فيتوهم أنها موجودة.

ومنها: ما ذكره الأزرقى والفاسى منفردا عن المساجد التي تقصد بالزيارة.

وقد رأيت أن أذكر أولا المساجد المعروفة إلى وقتنا هذا المستحب زيارتها، ثم أعقبها بالدائرة ثم أتبعه على ما ذكره منفردا، ثم أذكر ما لم يذكره الأزرقى والفاسى فأقول:

أما المساجد المعروفة فمنها مسجد بأعلى مكة عند الردم وهو المدعى، عرفه الطبرى بمسجد الراية^(١)، ويعرف بذلك إلى وقتنا هذا وبجانبه الآن منارة تعرف بمنارة أبى شامة، يقال: إن النبي ﷺ صلى فيه كما نقله الأزرقى، وذكر أن عبد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بناه^(٢).

ومنها: مسجد بقرب المجزرة الكبيرة عند المدعى على يمين الهابط إلى مكة ويسار الصاعد منها ويقال: إن النبي ﷺ صلى فيه المغرب، كما هو مكتوب بحجرين هنا.

ومنها: مسجد بسوق الليل بقرب مولد النبي ﷺ يقال له المختبأ يزوره الناس كثيرا فى شهر ربيع الأول كغيره من المحال التي تزار، قال الفاسى: ولم أر من ذكره ولا عرفت شيئا من خبره^(٣).

ونقل الشيخ العلامة سراج السدين عمر بن فهد رحمه الله أن هذا المحل معبد عثمان بن عفان، وأن النبي ﷺ كان يختبئ فيه من الكفار وعزاه إلى كتاب «الكوكب المنير» لنصر الله.

(٢) الزهور المقتطفة ص ١٥٣.

(١) القرى لقاصد أم القرى ص ٦٦٤.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٩.

ومنها: مسجد على جبل أبي قبيس يقال له مسجد إبراهيم، وليس المراد به الخليل عليه السلام، وإنما هو إبراهيم القبيسي، إنسان كان يسأل عنده. ذكره الأزرقى^(١).

ومنها: مسجد بأسفل مكة ينسب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: يقال: إنه من داره التي هاجر منها إلى المدينة^(٢)، ويعرف الآن بدار الهجرة وهو بالقرب من بركة الماجن.

هذه المساجد التي بمكة وأما التي في خارجها فمنها: مسجد يقال له مسجد البيعة ومسجد الجن. قال الأزرقى: ويسميه أهل مكة مسجد الحرم، لأن صاحب الحرم كان يطوف بمكة حتى إذا انتهى إليه وقف حتى يتوافى عنده حرسه وعرفاؤه، فإنهم يأتونه من شعب ابن عامر ومن ثنية المدنيين، فإذا توافوا رجع منحدرًا إلى مكة، وهو فيما يقال موضع الخط الذي خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ليلة اجتمع عليه الجن وبايعوه صلى الله عليه وسلم كما يقال^(٣) انتهى. وشهرته بمسجد الحرم مستمرة إلى وقتنا هذا.

ومنها: مسجد يعرف بمسجد الإجابة، على يسار الذهاب إلى منى في شعب بقرب ثنية إذاخر، كذا عرفه الفاسي^(٤) رحمه الله. وهو مشهور بذلك إلى وقتنا هذا، يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه والله أعلم.

ذكر المساجد التي في منى وجهتها

منها: مسجد يقال له مسجد البيعة وهي التي بايع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار بحضرة عمه العباس حسبما ذكره أهل السير. وهو بقرب العقبة التي هي حد منى من جهة مكة في شعب على يسار الصاعد إلى منى^(٥).

ومنها بمنى مسجد يقال له مسجد النحر، بين الجمرتين الأولى والوسطى على يمين الذهاب إلى عرفة، يقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه الضحى ونحر هديه عنده، كذا وجد في حجر مكتوب فيه ذلك^(٦).

ومنها: مسجد يقال له مسجد الكبش على يسار الصاعد إلى عرفة بسفح ثبير، وهو

(٢) الزهور المقتطفة ص ١٥٣.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٤١٩.

(٦) الزهور المقتطفة ص ١٥٤.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠٢.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠٠.

(٥) الزهور المقتطفة ص ١٥٤.

مشهور. والمراد بالكبش هو الذى فدى به الذبيح إسماعيل أو إسحاق على الخلاف فى ذلك. ونقل الفاسى عن الفاكهى رحمتهما الله تعالى ما يقتضى أن الكبش نحر فى غير هذا الموضع بين الجمرتين. ويؤيده ما أخرجه الطبرى عن ابن عباس أن النبى ﷺ نحر فى منح الخليل عليه السلام الذى نحر فيه الكبش المفدى^(١) به. ثم بينه الطبرى فقال: وذلك فى سفح الجبل المقابل له - يعنى ثيرا - وأراد بذلك الموضع الذى عند مسجد النحر المتقدم آنفاً والله أعلم بالحقائق.

ومنها: مسجد عائشة رضي الله عنها وهو بسفح ثير أيضاً فوق مسجد الكبش المذكور. وهو غار لطيف عليه بناء دائر ويسمى معتكف عائشة وببيت أم المؤمنين.

ومنها: مسجد الخيف المشهور بمنى، وهو مسجد عظيم الفضل وقد وردت فى فضله أحاديث وأثار فمن ذلك ما أخرجه الطبرانى فى «معجمه الأوسط» عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الخيف والمسجد الحرام، ومسجدى» وإسناده ضعيف كما نص عليه الحفاظ. وإنما ذكرته لغرابته ولجواز العمل به فى فضائل الأعمال كما ذكره النووى وغيره من علماء الحديث. وأخرج أيضاً فى «معجمه الكبير» عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال «صلى فى مسجد الخيف سبعون نبياً منهم موسى» وكذا أخرجه الأزرقي أيضاً. وفى رواية عن مجاهد خمسة وسبعون نبياً، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: فى مسجد الخيف قبر سبعين نبياً^(٢).

وأما الآثار: فروى الشيخ العلامة مجد الدين صاحب «القاموس» فى كتابه «الوصل والمنى فى بيان فضل منى» بسند جيد عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول لو كنت من أهل مكة لآيت مسجد منى كل سبت. وأخرج الأزرقي عن أبى هريرة بلفظ: لو كنت من أهل مكة لآيت مسجد الخيف كل سبت. وفى آخر عنه أخرجه الجندى: لو كنت امرأ من أهل مكة ما أتى على سبت حتى آتى مسجد الخيف فأصلى فيه^(٣).

وأما تعيين مصلى النبى ﷺ من مسجد الخيف فأخرج الأزرقي بسنده إلى جده أن

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٢٣.

(١) الزهور المقتطفة ص ١٥٤.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٢٤.

الأحجار التي بين يدي المنارة هي موضع مصلاه ﷺ (١). والمراد بالمنارة هي الصغيرة التي في وسط المسجد الملاصقة لجدار القبّة الكبيرة لا المنارة التي على الباب، والمحراب الذي في القبّة هو موضع مصلاه ﷺ، لأنه في موضع الأحجار التي ذكرها الأزرقي (٢). كذا نقله الجذ رحمه الله.

ومنها: يُلحَفُ الجبل المشرف على مسجد الخيف المسمى بالضب - بمعجمة وموحدة - نقله الصغاني. وبالصفائح أيضا - بصاد مهملة آخره تحتية ومهملة - وقيل: الصابح - بمهملتين بينهما ألف وموحدة قاله الأزرقي - مسجد لطيف يمانى مسجد الخيف فيه غار به أثر يقال إنه أثر رأس الرسول ﷺ.

أخرج ابن جبير أن النبي ﷺ جلس بهذا الغار مستظلا فيه فمس رأسه الكريم الحجر فلان حتى أثر فيه تأثيرا بقدر دورة الرأس، فصار الناس يبادرون بوضع رؤوسهم في هذا الموضع تبركا واستجارة لرؤوسهم بموضع مسه الرأس الكريم أن لا تمسها النار برحمة الله عز وجل (٢). انتهى.

ويعرف بغار المرسلات وهو مشهور به إلى هذا الوقت وفي «صحيح البخاري» (٣) في باب ما يقتله المحرم من الدواب من رواية ابن مسعود أنه قال «بينما نحن مع النبي ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ وإنه ليلتوها وإنى لالتقاها من فيه وإن فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبي ﷺ: اقتتلوها فابتدرناها فذهبت. فقال النبي ﷺ: وَقِيَّتُ شَرِّكُمْ كَمَا وَقِيَّتُمْ شَرِّهَا».

فائدة: من عجيب الاتفاق أن الشيخ مجد الدين الشيرازي صاحب «القاموس» دخل إلى الغار في جماعة أصحابه وقرأوا سورة المرسلات، فخرجت عليهم منه حية، فابتدروها ليقتلونها فهربت (٤).

ومنها: مسجد عرفة الذي يصلى فيه الإمام، وهو مشهور لا يحتاج إلى مزيد بيان،

(١) أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ١٧٤.

(٢) رحلة ابن جبير ص ١٤١.

(٣) ج ٤ ص ٢٩ في الحج، باب ما يقتل من الدواب.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٢.

وعرفه الأزرقى بمسجد إبراهيم الخليل عليه السلام^(١). وجزم به الرافعى والنوى، وخالف ابن جماعة، وقال ليس لذلك أصل، وتبعه الإسنى على ذلك، قال الفاسى: وفيه نظر لمخالفتها ما يقتضى كلام الأزرقى وهو عمدة فى هذا الشأن. انتهى^(٢).

ومنها: مسجد التنعيم الذى اعتمرت منه عائشة أم المؤمنين بعد حجها عام حجة الوداع، واختلف فيه، فقيل هو المسجد الذى يقال له مسجد الهليلجة^(٣) بشجرة كانت فيه. قال الفاسى: وهو المتعارف عند أهل مكة وفيه حجارة مكتوب فيها ما يؤيد ذلك، وقيل هو المسجد الذى بقربه بئر وهو بين هذا المسجد وبين المسجد الذى يقال له مسجد [على] بطريق وادى مرّ. وفى هذا أيضا حجارة مكتوب فيها بما يشهد لذلك، والخلاف قديم انتهى. ورجح الطبرى أنه الذى بقربه البئر^(٤).

فائدتان:

الأولى: إنما سمي هذا المحل التنعيم لأن على يمينه جبلا يقال له نعيم وعن يساره جبلا يقال له ناعم، والوادى الذى بينهما نعمان كذا قيل.

الثانية: نعمان واد آخر فوق عرفة بقليل مشتمل على أودية كثيرة لأعراب مكة وغيرهم. قال البغوى وغيره من المفسرين: إنه واد مقدس وفيه أخذ الله العهد.

ومنها: مسجد الجعرانة، وهو الذى أحرم منه النبى ﷺ بعمرة مرجعه من الطائف بعد فتح مكة، وموضع إحرامه من وراء الوادى حيث الحجارة المنصوبة بالعدوة القصوى. أخرجه الأزرقى عن مجاهد رضي الله عنه. وكذا ذكره الواقدى أيضا. واختلف فى إحرامه ﷺ متى كان، والراجح أنه ليلة الأربعاء لائتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة عام الفتح. والجعرانة بكسر الجيم وإسكان العين وتخفيف الراء وفتحها. وقيل يكسر الجيم والعين وفتح الراء المشددة لغتان حكاهما النووى فى «تهذيب الأسماء واللغات»^(٥).

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠٢. (٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٨٦ وما بعدها.

(٣) تحرف فى المطبوع إلى: «الهليلجة» وصوابه لدى الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٢٩ وما بين حاصرتين منه.

(٥) ق ٢ ج ١ ص ٥٨ ولديه: «بكسر الجيم وإسكان العين وتخفيف الراء هكذا صوابها عند إمامنا الشافعى والأصمعى، وأهل اللغة ومحققى المحدثين وغيرهم، ومنهم من يكسر العين ويشدد الراء وهو قول أكثر المحدثين، قال صاحب مطالع الآثار: أصحاب الحديث يشددونها، وأهل الإتيقان يخطئونهم ويخففون وكلاهما صواب».

فوائد:

الأولى: أخرج الجندى فى «فضائل مكة» بسنده إلى يوسف بن ماسك أنه قال: اعتمر من الجعرانة ثلاثمائة نبي وكذا ذكره الفاكهى^(١) أيضاً.

الثانية: فى جهة الجعرانة ماء شديدة العذوبة يقال: إن النبي ﷺ فحص موضع الماء بيده المباركة، وقيل: إنه غرر فيه رمحه الميسمون فنبع الماء من ذلك المحل فشرب منه النبي ﷺ وسقى الناس أخرجه الفاكهى^(٢).

الثالثة: إنما سميت الجعرانة باسم امرأة من قريش يقال لها رابطة - براء وطاء مهملتين بينهما مثناة تحتية - بنت كعب ولقبها جِعْرَانَة، وهى أم أسد بن عبد العزى. وعن ابن عباس رضي الله عنه إنما هى التى نزل فيها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾^(٣) الآية (سورة النحل: ٩٢).

ومنها: مسجد يقال له مسجد الفتح بالقرب من الجموم بن وادى مر، وهو مشهور بهذا الاسم إلى هذا الزمان، يقال: إن النبي ﷺ صلى فيه والله أعلم^(٤).

فهذه المساجد كلها معروفة الآن تتعاهد بالزيارة بعضها فى أوقات مخصوصة وبعضها مطلقاً.

وأما المساجد التى ذكرها الأزرقى ولم تعرف ولم تعرف الآن فخمسة مساجد:

الأول: مسجد بأعلى مكة بين شعب ابن عامر المعروف الآن بشعب عامر - بدون لفظ ابن - وحرف دار رابغة فى أصله^(٥) كذا عرفه الأزرقى، ثم قال: إن عنده قرن مسقلة رجل^(٦) كان يسكن ثم فى الجاهلية، وأن النبي ﷺ بايع الناس عنده يوم الفتح^(٧) وهذا

(١) أخبار مكة للفاكهى ج ٥ ص ٦٢.

(٢) أخبار مكة للفاكهى ج ٥ ص ٦٩.

(٣) الذى لدى الفاسى: «نزلت فى امرأة من قريش من بنى تيم بن مرة يقال لها: ربيعة بنت كعب، ولقبها جِعْرَانَة، وهى أم أسد بن عبد العزى.

(٤) شفاء والغرام ج ١ ص ٤٣٠.

(٥) تحرف فى المطبوع إلى: «دار رابغة فى أصل» وهو تحريف قبيح صوابه لدى الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف.

(٦) تحرف فى المطبوع إلى: «عنده قرّة مستقلة لرجل كان...» وصوابه لدى الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف.

(٧) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧١.

المسجد لا يعرف الآن ولا يمكن حمله على مسجد البيعة المعروف بمسجد الحرس المتقدم. لأن الأزرقى قد ذكره أيضا مع ذكره لهذا المسجد.

الثاني: مسجد بأجباد، يقال: إن النبي ﷺ اتكا هناك في موضع منه. قال الأزرقى: إن أهل العلم ينكرون ذلك، وإنما يثبتون أنه صلى بأجباد الصغير^(١)، ولا يوقف على موضع مصلاه أيضا تحقيقا بل حدسا بغير أصل.

الثالث: مسجد بأعلى مكة يقابل مسجد الحرس يقال له مسجد الشجرة، قيل: إن النبي ﷺ كان بمسجد الحرس فدعا شجرة كانت في هذا المسجد فأقبلت إليه فسألها عن شيء ثم أمرها بالرجوع فرجعت إلى موضعها^(٢). وقد دثر.

الرابع: مسجد بذى طوى في علو مكة بين الشيتين اللتين يدخل منهما الحاج، يقال: إن النبي ﷺ نزل هناك حين اعتمر وحين حج تحت سمرة كانت ثم ذكره الأزرقى وأفاد أن زبيدة بنته^(٣).

الخامس: مسجد السرر، قال الأزرقى: وهو الذي يسميه أهل مكة مسجد عبد الصمد بن على لكونه بناء^(٤).

وسياتى ذكر وادى السرر، وهو بمنى في شرقها ذكره صاحب «القاموس» كما ستقف عليه قريبا إن شاء الله تعالى، غير أن تعيين محله يقينا لا يوقف عليه الآن بل جهته.

السادس: مسجد بعرفة عن يمين الموقف يقال له مسجد إبراهيم، وليس بمسجد عرفة الذي يصلى فيه الإمام. كذا عرفه الأزرقى^(٥). ولم يبين ما المراد بإبراهيم الذي ينسب إليه. فهذه المساجد المذكورة لم تعرف الآن.

وأما ما ذكر من المساجد منفردا، ولم يتعرض لاستحباب زيارتها، فمسجدان:

الأول: مسجد عرفة المعروف الآن بمسجد نمرة الذي يصلى فيه الإمام. ذكره الأزرقى وأفرده عن المساجد التي يستحب زيارتها. ولم يصب، بل هو أولى أن يعد من جملتها لأن

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠١.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠٢.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠٢.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠٣.

(٥) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٠٢.

العلة في ذلك إنما هو التبرك، وهذا المسجد من البقاع العظيمة التي لا يشك فيها، وكم صلى فيه من حجاج الصحابة، والتابعين والعلماء والأولياء والسادات، لأن كون هذا المحل مصلى الإمام مما يؤثره الخلف عن السلف، وإذا كان كذلك فيبعد أن يتركه الأخير ويصلون في غيره، فكان عده من جملة المساجد المستحب زيارتها أولى، ولهذا ذكرته وعدده من جملتها.

الثاني: مسجد فوق العمرة المعروفة بالتنعيم إلى جهة وادي مرّ على يمين الذهاب إليه، ويعرف بمسجد عليّ. ذكره الفاسي ضمنا عند ذكره لمسجد التنعيم^(١). وقد مر كلامه، ولم يبين أمره ولا تعرض لعلی الذي نسب إليه هذا المسجد. ولم أقف على شيء من خبره.

وأما ما لم يذكر من المساجد، فمسجد واحد بمكة أمام الصاعد من باب العمرة على يسار الذهاب إلى جهة سوق باب إبراهيم، فيه محراب لطيف جدا، يقال: إن النبي ﷺ صلى فيه. هذا ما وقفت عليه، والله أعلم.

ذكر الجبال المباركة بمكة وحرمها

منها: الجبل المعروف بأبي قبيس أحد أخشبي مكة المشرف على الصفا، وهو مشهور لا يحتاج إلى بيان، ويروى عن وهب بن منبه رضي الله عنه أن قبر آدم صلوات الله عليه في غار في جبل أبي قبيس يقال له غار الكثر - بالنون والنزاء العجمة - وأن نوحا عليه السلام لما جاء الطوفان استخرجه من الغار وجعله في تابوت وحمله في السفينة، فلما غيظ الماء أعاده إلى الغار^(٢). والله أعلم بذلك.

وهذا الغار لا يعرف الآن، وقيل: إن قبره بمسجد الخيف بعد أن صلى عليه جبريل عند باب الكعبة. وقيل بيت المقدس. وقيل ببلاد الهند. وصححه الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ونقل عن الذهبي أن قبر حواء وشيث في جبل أبي قبيس^(٣). والله أعلم بالحقائق.

ومن فضائله أنه كان يُدعى الأمين في الجاهلية. لأن الحجر الأسود استودع فيه عام

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤١.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٢٩.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤١ - ٤٤٢.

الطوفان، فلما بنى الخليل الكعبة ناداه الجبلُ: الركن منى بمكان كذا وكذا. فجاء به جبريل فوضعه موضعه^(١).

ومنها: أنه أول جبل وضع على وجه الأرض حين مات، روى ذلك عن ابن عباس ومجاهد^(٢).

ومنها: أن الدعاء يستجاب فيه كما ذكره الفاكهي. واستشهد لذلك بحكاية الوفد الذين استسقوا فيه، فأجيب لهم وسقوا^(٣).

ومنها: انشقاق القمر عليه كما ذكره القطب الحلبي وغيره. ونقل عن بعض العلماء أنه أفضل جبال مكة حتى حراء، وعلل بكونه أقرب الجبال إلى الكعبة الشريفة. قال الفاسي رحمه الله: وفي النفس شيء من تفضيله على حراء لكونه ﷺ كان يكثر إتيانه للعبادة، ويقيم به لأجلها شهراً في كل عام، وفيه أكرم بالرسالة، ولم يتفق له ﷺ مثل ذلك في جبل سواه، وذلك مما يقتضى امتيازته بالفضل. والموجب لتفضيل دار خديجة رضي الله عنها على غيرها من دور الصحابة طول سكناه عليه السلام بها، ونزول الوحي عليه فيها لا لأجل القرب من الكعبة، إذ كثير من البيوت أقرب إليها منه كدار العباس بالمسعى، ودار الأرقم بالصفا والله أعلم. انتهى^(٤).

ثم في تسميته بأبي قبيس أقوال، أرجحها أنه سمي باسم رجل من إباد يقال له أبو قبيس بنى فيه.

فائدة: نقل القزويني في كتابه «عجائب المخلوقات» من خواص جبل أبي قبيس أن من أكل فيه الرأس المشوى يأمن أوجاع الرأس وكثير من الناس يفعل، والله أعلم بحقيقة ذلك^(٥).

ومنها: جبل الخندمة، وهو جبل شامخ مشهور معروف في ظهر أبي قبيس، ومن

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤٥.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤٦.

(٣) أورده الفاسي نقلاً عن الفاكهي: شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤٥.

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤٢ و ٤٤٦.

(٥) عجائب المخلوقات ص ١٢٦.

فضائله ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه ما مطرت مكة قط إلا كان للخدمة عزة، وذلك أن فيه قبر سبعين نبيا أخرجه الفاكهي ^(١). والله أعلم بصحته.

وفيه يقول القائل في يوم الفتح:

إِنَّكَ لَوْ شِهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ
إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَقَرَّ عِكْرِمَةُ

الآيات المشهورة ^(٢):

ومنها: جبل حراء وهو ممدود، فَمَنْ ذَكَرَهُ صَرَفَهُ، ومن أنشئه منعه من الصرف، ويسمى جبل النور - بالنون - وكان ذلك لكثرة مجاورة النبي صلوات الله عليه وتعبده فيه وما خصه الله به فيه من الإكرام بالرسالة ونزول الوحي عليه في الغار الذي بأعلاه كما في الصحيح البخاري حتى فجأه الحق، وهو في غار حراء. وهو معروف مشهور يآثره الخلف عن السلف ويقصده الناس بالزيارة ^(٣).

ذكر الأزرقى أن النبي صلوات الله عليه اختبأ فيه من المشركين ^(٤). وكذا ذكره الفاكهي، قال أيضاً: والمعروف أن النبي صلوات الله عليه لم يختبئ من المشركين إلا في غار ثور. لكن يتأيد ما ذكر بما قاله القاضي عياض والسهيلي في روضه: أن قريشاً حين طلبوا رسول الله صلوات الله عليه كان على ظهر ثبير. فقال له: اهبط عني يا رسول الله، فإني أخاف أن تقتل وأنت على ظهري، فيعذبني الله تعالى. فناداه حراء: إلى رسول الله.

وجمع القاضي تقي الدين رحمه الله، فقال: إن صح اختفاؤه صلوات الله عليه بحراء، فهو غير اختفائه بثور ^(٥)، والله أعلم.

فيكون في حراء أولاً، وفي ثور حين الهجرة. وذكر بعض العلماء أن السر في كونه صلوات الله عليه لازم التعبد فيه دون غيره من الجبال من حيث أن فيه فضلاً رائداً منه أن يكون فيه منزواً مجموعاً لتعبده، وهو يشاهد بيت ربه، والنظر إلى البيت عبادة، فحصل له اجتماع

(١) أخبار مكة للفاكهي ج ٤ ص ١٣٤.

(٢) انظر في هذه الآيات: أخبار مكة للفاكهي ج ٤ ص ١٣٦.

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٤٧.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٨٨.

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٨٨.

ثلاث عبادات: الخلوة، والتعبد، والنظر. ومجموع ذلك أولى من الاقتصار على البعض. وغيره من الأماكن ليس فيه ذلك المعنى، وأيضاً أن هذا الجبل كان يختلئ فيه أجداده عليه السلام؛

أقول: وفيما ذكر نظر، لأن غيره من الجبال يتأتى فيه ما ذكر من اجتماع العبادات الثلاث كأبي قيس مثلاً ويزيد بقربه من البيت فكان أولى أن يتعبد فيه. وإن كان المراد البعد من الناس لخلو البال في التعبد، فالجبال البعيدة كثيرة، اللهم إلا أن يقال إن الغار الذي بحراء مستقبل الكعبة من غير انحراف، وليس غيره كذلك فله وجه، والأحسن أن يقال: إن جبل حراء متعبد أجداده فاقتدى بهم في ذلك، والله الموفق.

ومنها: جبل ثور - بالكاء المثلثة - بأسفل مكة، وسماه البكري أبا ثور والمشهور الأول، وبعده عن مكة ميلان. وقيل ثلاثة، وارتفاعه نحو ميل. وكان اسمه أطحل - بالطاء والحاء المهملتين - وإنما سمي ثورا لتزول ثور بن عبد مناف فيه، وقد صح أن النبي عليه السلام وأبا بكر اختفيا في غاره المشهور الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ الآية (سورة التوبة: ٤٠).

وروى أن النبي عليه السلام لما دخل الغار أمر الله العنكبوت فنسجت على بابه وشجرة فنبتت والحمامتين فعششتا على بابه، ويقال إن هذا الحمام الذي بمكة من نسلهما. ومن فضائل هذا الجبل ما يروى أنه كلم النبي عليه السلام، وقال له: إني يا رسول الله، فإني قد آويت قبلك سبعين نيا.

وللغار الذي فيه بابان واسع وضيق، وكثير من الناس يتجنب دخوله من الباب الضيق لما يقال إن من لم يدخل منه وتعمق فليس لأبيه، وهو باطل لا أصل له. وقد وسع الباب الضيق في حدود عام ثمانمائة لأن بعض الناس أراد الدخول منه فأنحبس، فنحت منه حتى اتسع وتخلص.

وكان مكثه عليه السلام في الغار المذكور ثلاثاً كما في «صحيح البخاري» وهو الراجح، وقيل بضعة عشر يوماً، ووفق الجد رحمه الله بينهما فقال: ويحتمل أن يكون كلا القولين صحيحاً، ووجه الجمع أنهما مكثا في الغار ثلاثاً، ويكون معنى الحديث مكثت مع صاحبي مختفين من المشركين في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوماً، انتهى.

فائدتان:

الأولى: نقل عن البكري أنه قال: في جبل ثور من كل نبات الحجاز وشجره، وفيه شجر البان، وفيه شجرة من حمل منها شيئاً لم تلدغه هامة.

الثانية: نقل أيضاً في بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قاتل قابيل أخاه هابيل كان في ثور أخرجهما الفاسي ^(١) رحمه الله.

وفي «صحيح مسلم» أن ثوراً اسم جبل آخر صغير في المدينة قريباً من جبل أحد عن يساره، وأنكر ذلك بعض العلماء، والله أعلم.

ومنها: جبل ثبير بمني، وهو جبل عظيم الفضل شامخ، روى الأزرقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: لما تجلى الله عز وجل للجبل تشظي، فطارت شظاياها لسته جبال، ثلاثة منها وقعت بمكة وهي حراء وثور وثبير، وثلاثة وقعت بالمدينة وهي أحد وورقان ورضوى ^(٢).

أقول: وكون ثبير بمكة تسامح، لكن ما قارب بالشئ أعطى حكمه. وقد جعله القزويني من جبال مكة أيضاً ثم عرفه بأنه الذي أهبط عليه الكبش الذي فدى به إسماعيل، ثم قال: والعرب تقول: أشرق ثبير كيما نغير ^(٣).

وليس كذلك إلا ثبير الذي بمني. وكذلك الجوهرى جعله بمكة وما ذاك إلا لقرب مني منها، انتهى.

ويسمى ثبير الأثيرة، والقابل أيضاً - بالقاف والباء الموحدة - ونقل صاحب «القاموس» عن النقاش أن الدعاء يستجاب فيه ثم قال ثبير الأثيرة لأن النبي صلوات الله عليه وسلم كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة ولهذا جاورت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أيام إقامتها بمكة ^(٤). انتهى.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٠.

(٢) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٣) عجائب المخلوقات ص ١٢٧.

(٤) هذا القول ليس في القاموس، وإنما ورد في كتاب آخر لصاحب القاموس، وهو: «الوصل والمنى

في فضل مني» كما نص عليه الفاسي في شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥١.

ومنها: ثبير اسم لثمانية أماكن، سبعة منها جبال بمكة وحرمةا وهي ثبير بالأثيرة المذكور، وثبير الزُّنْج، وثبير الأعْرَج، وثبير الأَحْدَب، ويقال الأحيدب - بالتصغير - وثبير الخضراء، وثبير النَّصْع، وثبير غينا، والثامن اسم لماء في بلاد مُزَيْنَة أقطعها النبي ﷺ شَرِيْسَ - بمعجمة في أوله ومهمله في آخره - ابن ضَمْرَة - بضاد معجمة - المزني رضي الله عنه وسماه شريح بحاء مهمله.

ولنشر إلى مواضعها تكثيراً للفائدة. فأما ثبير الأثيرة فقد تقدم، وعرف بذلك لأنه أعلاها وأطولها، وقيل إنما سمي ثبير باسم رجل من هذيل دفن فيه، والله أعلم بذلك. وهو على يسار الذهاب إلى عرفة الذي ذكره الفقهاء في المناسك بأن المستحب للحاج إذا طلعت الشمس عليه أن يسير إلى عرفة.

وأما ثبير غينا - بالغين المعجمة المفتوحة بعدها مثناة تحتية ثم نون ثم ألف - وثبير الأعرج فهما بمنى أيضاً، يضب بينهما واد من منى يقال له أفاعية - بضم الهمزة بعدها فاء وألف وعين مهمله مكسورة ومثناة تحتية مفتوحة مخففة بعدها هاء - كذا نقله صاحب «القاموس» عن الزمخشري. وذكر الأزرقى في ثبير الأعرج، أنه المشرف على حق الطارقين - بمثنتين تحتيتين. بين المغمس والنخيل، وفي ثبير غينا أنه المشرف على بئر ميمون، وقلته مشرفة على شعب عليّ كرم الله وجهه. فخالف في ذلك الزمخشري.

أقول: ولعله أراد بالنخيل بساتين ابن عامر التي كانت في جهة عرنة لأنه كان بها نخيل فيما مضى.

وأما ثبير النَّصْع - بكسر النون وسكون الصاد المهملة بعدها عين مهمله - فهو جبل لطيف بمزدلفة على يسار الذهاب إلى منى ذكره الأزرقى، وقال: هو الذي كانوا يقولون في الجاهلية إذا أرادوا الدفع من مزدلفة أشرق ثبير، كيما نغير، ولا يدفعون حتى يرون الشمس عليه^(١). انتهى.

والمعروف المنقول عن جمع من أهل المناسك أنهم ما كانوا يعنون بهذا الكلام إلا ثبير الأثيرة الذي بمنى. ووجه الفاسى رحمه الله تعالى ما قاله الأزرقى، وقال: لا يبعد ذلك لأن قريشاً ما كانوا يقولون ذلك إلا وهم بمزدلفة، وهذا أقرب إلى أبصارهم من الذي بمنى انتهى.

(١) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٧٨ و ٢٨٠.

وأما ثبير الخَضْرَاء - بمعجمتين وراء مهملة - هو الجبل المشرف على الموضع الذى يقال له الخضراء بطريق منى، نقله الفاسى (٢).

والخضراء: واد معروف إلى هذا اليوم.

وأما ثبير الزَنْج: فهو جبل النوبى المعروف بأسفل مكة فى جهة الشبيكة الذى تقدم أن به مولد سيدنا عمر بن الخطاب على ما قيل. وإنما سمي بذلك لأن سودان مكة كانوا يلعبون عنده، وهم النوبة والسودان الزنوج أيضاً فطابقت التسمية على كلا الوجهين (٣).

وأما ثبير الأحذب أو الأحيدب فلم أقف على موضعه ولم أر كلاماً فى تعيين محله، والله أعلم.

أقول: بمنى جبل يدعى الأحيدب إلى هذا التاريخ، سمعت ذلك من بعض أهل منى، وهو مقابل مسجد الخيف يقرب من ثبير الأثيرة على يسار الذهاب إلى عرفة، وإلى جانبه جبل آخر لا يبعد، والله أعلم أن يكون ثبير غينا، وبينهما شعب الظاهر أنه أفاعية الذى يصب بينهما كما تقدم. ويكون ثبير الأعرج كما ذكره الأزرقي، فى جهة عرفة بين المغمس والنخيل لأنه أمس بذلك (٤).

ويبقى ما ذكره الزمخشري مجرد نقل لم يعضده شيء يقويه، ويصير على هذا بمنى ثلاثة أثيرة: ثبير المشهور، وثبير غينا، وثبير الأحيدب الذى بينهما أفاعية، انتهى. والله الموفق، فهذه الأثيرة التى بمكة وظاهرها، والله أعلم.

ذكر المقابر المباركة التى تزار بمكة وقربها

منها: مقبرة المعلاة لما قد حوته من سادات الصحابة والتابعين وكبار العلماء والصالحين، وإن لم يعرف قبر أحد من الصحابة تحقيقاً الآن. وأفضل شعابها الشعب الذى يقال إن فيه قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها. ولم يرد ما يعتمد عليه فى ذلك لقوله ﷺ: نعم الشعب ونعم المقبرة، أخرجه الأزرقي. ثم قال: لا يعلم بمكة شعب يستقبل ناحية من الكعبة ليس فيه انحراف إلا شعب المقبرة فإنه يستقبل وجه الكعبة كله (٥). انتهى.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٦٦.

(١) أخبار الفاكهي للأزرقي ج ٢ ص ٢٨٠.

(٤) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٢٨٠.

(٣) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٢٧٩.

(٥) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٢٠٩.

وقد تقدم ذكر شيء، سما ورد في فضل هذه المقبرة في فضائل مكة فلا نطيل بإعادته.
ومما ورد في فضلها ما روى عن بعض الصالحين أنه قال: كشف لي أهل المعلاة فقلت
لهم أتجدون نفعا بما يهدى إليكم من قراءة ونحوها؟ فقالوا: لسنا محتاجين إلى ذلك.
فقلت لهم: ما منكم أحد واقف الحال؟ فقالوا وهل يقف حال أحد في هذا المكان^(١).

ومن ذلك ما رواه أبو سعد بن السمعماني في «تاريخه» عن أبي نصر محمد بن إبراهيم
الأصبهاني، أنه رأى في المنام كأن إنسانا مدفونا في المعلاة استخرج ومروا به إلى موضع
آخر، قال: فسألت عن حاله؟ فقالوا: هذه المقبرة منزّهة عن [قبول] أهل البدعة، لا تقبل
أرضها مبتدعا^(٢).

ونقل عن الشيخ خليل المالكي رحمه الله أن الدعاء يستجاب عند ثلاثة أماكن
بالمعلاة: عند قبور سماسرة الخير، وعند قبر الشولي، وعند قبر إمام الحرمين عبد المحسن
ابن أبي عبد الحميد^(٣).

أقول: قبور سماسرة الخير بالقرب من البئر المعروفة بئر أم سليمان التي يقصر منها
القصارون الثياب الآن، وقبر الشولي وإمام الحرمين معروفان. انتهى.

ومن مقابر مكة قديما المقبرة العليا، فيستحب زيارتها لما فيها من الأموات وأهل
الخير، وهي بين المعابدة وثنية أذاخر، وكان يدفن فيها في الجاهلية وصدر الإسلام آل
أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، وآل سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد
الله بن عمر بن مخزوم. نقله الأزرقي^(٤). ثم قال: وكان أهل مكة يدفنون موتاهم من
جنبتي الوادي يمينه وشاميه^(٥)، ثم حول الناس جميعا قبورهم في الشعب الأيسر لما جاء
فيه^(٦). انتهى.

والمراد باليمنى: هو شعب أبي دب المعروف الآن بشعب العفاريت^(٧)، وفيه كان

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٥.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٥ وما بين حاصرتين منه.

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «عبد الحميد» وصوابه من: د، وانظره لدى الفاسي في شفاء الغرام ج ١

ص ٤٥٦، وابن فهد: إنحاف الوري ج ٣ ص ٤٣. (٤) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٢٠٩.

(٥) لدى الأزرقي الذي ينقل عنه المصنف: «يمنة وشامة».

(٦) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٢١١. (٧) تحرف في المطبوع إلى: «المقاريب».

يدفن في الجاهلية وصدر الإسلام. وأبو دُبّ: رجل من بنى سُوءة بن عامر سكنه، فسمى به.

ويقال: إن قبر آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ في شعب أبي دب، هذا وأنه ﷺ جاء إليها وزارها وقيل في غير هذا المحل من المعلاة، وقيل بالأبواء وهو المشهور. والمراد بالشامي: هو شعب الصفيّ - بتشديد التحتية - المسمى قديما بصفيّ الشباب، وهو الذي عند أذخر والخرمانية في طرف المحصب، ويسمى المحصب شعب الصفيّ، وهو خيف بنى كنانة. وإنما سمي شعب الصفيّ لأن ناسا في الجاهلية كانوا إذا فرغوا من مناسكهم ونزلوا المحصب المذكور وقفوا بقم هذا الشعب وتفاخروا بالأبواء والأيام والوقائع في الجاهلية.

أقول: وليس في هذا مناسبة لوجه التسمية. وكأنه والله أعلم مأخوذ من الاصطفاء، لكونهم اختاروا هذا المكان واصطفوه لمفاخرتهم. لكن الأزرقي لم يعرج على هذا، وإنما أخذته من سياق الكلام.

ثم يظهر أن صدور هذا التفاخر إنما كان يقع من شبابهم ليظهر وجه التسمية. انتهى. وفي هذه المقبرة العليا قبر سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عند قبور آل عبد الله بن خالد بن أسيد، وذلك أنه مات عندهم في دارهم سنة أربع وسبعين وله من العمر أربع وثمانون عاما، وكان صديقا لعبد الله بن خالد، فلما حضرته الوفاة أوصاه بأن لا يصلى عليه الحجاج بن يوسف الثقفي وكان بمكة بعد مقتل ابن الزبير، فلما قضى صلى عليه عبد الله بن خالد ودفنه عند باب داره ليلا أخرجه الأزرقي. ولهذا والله أعلم نفي قبره. وعرف الأزرقي المقبرة العليا بأنها حائط خرمان، وهو المسمى في هذا الوقت بالخرمانية عند المحصب^(١).

قال الفاسي رحمه الله: وما ذكره الأزرقي من كون عبد الله بن عمر دفن بالمقبرة العليا يدفع ما يقال إنه مدفون بالجبل الذي بالمعلاة، ولا أعلم في ذلك دليلا وهو بعيد من الصواب^(٢). والله أعلم.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٧.

(١) أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٢١٠ و ٢١١.

ومن مقابر مكة أيضا قديماً مقبرة المهاجرين بالحصحصاص، وهو ما بين فنج والجبل المسمى بالمقلع وبالبيكاء أو الزاهر. كما هو مقتضى كلام الأزرقى والفاسى. وإنما سمي بالبيكاء لما قيل إنه بكى على النبي ﷺ حين هاجر^(١)، وهو مشهور بالبيكاء إلى اليوم.

أقول: فتكون المقبرة المذكورة فى المحل المعروف الآن بالمختلج الذى يبيت به أمير الحاج عند قدومه ثم يصبح ويدخل مكة. فينبغى لمن أتى ذلك الموضع أن يقرأ ما تيسر ثم يدعو هناك بالدعاء المأثور عند زيارة القبور، ويهدى ثواب ذلك إليهم وإلى سائر أموات المسلمين، وكذلك عند المقبرة العليا التى تقدم أن بها قبر سيدنا عبد الله بن عمر لما علمته والله الموفق.

وسبب تسميتها بمقبرة المهاجرين أن جندع - بجيم ونون - ابن أبى ضمرة - بمعجمة - ابن أبى العاص اشتكى وهو بمكة فخاف على نفسه فخرج يريد الهجرة إلى المدينة فأدركه الموت وهو بهذا المحل فدفن فيه فأنزل الله ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾ الآية (سورة النساء: ١٠٠) فسميت مقبرة المهاجرين به. أخرجه الأزرقى^(٢).

ووقع مثل ذلك لغير جندع أيضاً فدفن هنالك. وممن دفن بهذا المحل جماعة من العلويين قتلوا فيه فى حرب وقع بينهم وبين عسكر موسى الهادى فى سنة تسع وتسعين ومائة. وفيه جماعة من الأنصار مدفونون.

ويسمى هذا المحل أيضاً بأضاعة بنى غفار^(٣) وهى التى قال النبى ﷺ: أتانى جبريل وأنا بأضاعة بنى غفار فقال: يا محمد، إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف. فقلت: أسأل الله المعافاة، فقال: فإنه يأمرك أن تقرأه على حرفين، فقلت: أسأل الله المعافاة، قال: فإنه يأمرك أن تقرأه على ثلاثة أحرف، فقلت: أسأل الله المعافاة، قال: فإنه يأمرك أن تقرأه على سبعة أحرف كلها شاف كاف^(٤).

واختلف ما المراد بالسبعة الأحرف، فقيل: سبع لغات.

ومن المقابر أيضاً المباركة: مقبرة الشبيكة، فيستحب زيارتها لما حوته من أهل الخير والغرباء لا سيما الفقراء الطرحاء فإنهم ما يدفنون غالباً إلا بها.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢١٢.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٧.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٣.

(٣) تحرف فى المطبوع إلى: «غفار».

ونقل الفاسى رحمه الله عن الفاكهى : أن مقبرة المطيبين قديما كانت بأعلى مكة ، ومقبرة الأحلاف^(١) بأسفل مكة . ثم قال : والظاهر أن مقبرة الأحلاف هي هذه المقبرة - يعنى بذلك الشبيكة - لأنه لا يعرف بأسفل مكة مقبرة سواها ، ودفن الناس بها إلى الآن مشعر بذلك . ثم قال : والمُطَيَّبون : بنو عبد مناف بن قصى ، وبنو أسد بن عبد العزى ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة ، وبنو الحارث بن فهر .

والأحلاف : بنو عبد الدار بن قصى وبنو مخزوم ، وبنو سهم وبنو جمح ، وبنو عدى ابن كعب^(٢) . انتهى .

فائدة: وفي سبب تسميتهم بالمطيبين والأحلاف نقل عن ابن إسحاق : أن قصياً لما هلك قام بنوه بعده بأمر الرياسة واقتسموا مآثره كما تقدم ، ثم إن بنى عبد مناف بن قصى وهم عبد شمس ونوفل وهاشم والمطلب أجمعوا أن يأخذوا ما فى أيدي بنى عبد الدار بن قصى مما كان قصى جعله إلى بنى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ، ورأوا أنهم أحق بذلك منهم لشرفهم عليهم ، فافتسرت قريش فرقتين . فكانت طائفة منهم مع بنى عبد مناف على رأيهم ، وطائفة مع بنى عبد الدار يرون أن لا يُنزع منهم ما جعله قصى^(٣) إليهم .

ثم أخرج بعض نساء عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فغمس القوم أيديهم فيها وتعاهدوا وتعاهدوا أن لا يتخاذلوا فسموا المُطَيَّبِينَ وتعاهد بنو عبد الدار وتعاهدوا عند الكعبة أن لا يسلم بعضهم بعضاً فسموا الأحلاف^(٤) .

ثم اصطلحوا على أن تكون السقاية والرفادة والقيادة لبني عبد مناف ، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت . ففعلوا ولم يزالوا على ذلك حتى جاء الله بالإسلام فقال رسول الله ﷺ : ما كان من حلفٍ فى الجاهلية فإن الإسلام لم يَزِدْهُ إلا شِدَّةً^(٥) .

ومن القبور التى ينبغى زيارتها خارج مكة قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية

(١) تحرف فى المطبوع إلى : «الأخلاف» بالخاء المعجمة .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٣٠ .

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٨ .

(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٣٢ .

(٥) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٣٢ .

زوج النبي ﷺ خالة ابن عباس، وهو معروف بطريق وادي مر بمحل يقال له سرف - بسين مهملة مفتوحة، وراء مهملة مكسورة، وفاء - وبينه وبين مكة سنة أميال وقيل: سبعة أميال - بتقديم السين - وقيل: تسعة - بتقديم المثناة - وقيل: اثنا عشر ميلا كذا ذكره صاحب المطالع^(١).

أقول: القول الأخير بعيد، والنظر يقضى بخلاف ذلك لمن سلك الطريق إلى وادي مر، وأعدل الأقوال السبعة لأن المعاينة تؤيده انتهى.

قال الفاسي رحمه الله: ولا أعلم في مكة ولا فيما قرب منها قبور أحد ممن صحب رسول الله ﷺ سوى هذا القبر لأن الخلف يآثره عن السلف، وموضع قبرها هو الذي بنى بها فيه رسول الله ﷺ حين تزوجها^(٢). انتهى.

ومنها: قبر سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وهو بوادي الطائف فينبغي زيارته لمن قدر على ذلك. قال صاحب «المطالع» إن الطائف هو وادي وَّجّ، انتهى. ووجّ - بفتح الواو وتشديد الجيم - وسمى باسم وج بن عبد الحق من العمالقة.

وأما وَّح - بالواو والحاء المهملة - فهو ناحية بعمان^(٣) فوق عرفة.

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن صيد وَّج وعضاهه حرم محرّم لله عز وجل. قال النووي: وإسناده ضعيف.

وذكر [المحب]^(٤) الطبري في تحريم صيد وَّج احتمالين: أحدهما أن يكون على وجه الحمى له، ثم قال: وعليه العمل عندنا. والثاني: أن يكون حرمه في وقت ثم نسخ^(٥)، انتهى.

وقال النووي في «الإيضاح»: ويحرم صيد وَّج لكن لا ضمان فيه، انتهى. وأما مذهبنا فليس له حرم.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٩.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٥٩.

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «ناحية نعمان» ومثله لدى الفاسي في شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٣،

وصوابه لدى ياقوت والنوري في تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ق ٢ ص ١٩٨.

(٤) القرى لقاصد أم القرى ص ١٦٦.

(٥) الإضافة للتوضيح.

وإنما سمي الطائف لما روى أن رجلا أصاب دما من قومه، فلحق بثقيف وأقام بها، وقال لهم: ألا أبني لكم حائطا يطيف ببلدكم؟ فبناه فسمى الطائف لذلك. وقيل: إنما سمي بالطائف لأن جبريل طاف به حول الكعبة. قال بعض المفسرين في قوله تعالى في سورة القلم: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (سورة القلم: ١٩) إن جبريل عليه السلام اقتلعها من موضعها، وطاف بها حول البيت، فلذلك سميت بالطائف، وقيل إنما اقتلعها جبريل عليه السلام من الشام وطاف بها سبعا، وذلك لدعوة الخليل عليه السلام حيث يقول الآية ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (سورة البقرة: ١٢٦) والله أعلم بالصواب^(١).

وجاء في قوله تعالى: ﴿وَيَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ (سورة الفتح: ٢) أي بفتح مكة والطائف. وقال المفسرون في قوله تعالى ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (سورة الزخرف: ٣١) إنهما مكة والطائف، فقرن تعالى الطائف بمكة، وذلك في غاية الشرف^(٢). وفي الرجل قولان: أحدهما أنه عتبة بن عبد شمس، والثاني أنه مسعود بن معتب الثقفي^(٣).

نحويبة: حكى الميورقي أن مِيضَاءَ - بكسر الميم - وقعت في عين الأزرق بالطائف فخرجت من عين الأزرق بالمدينة الشريفة^(٤).

ومنها: قبر بأعلى الجبل المشرف على الموضع المعروف بالبرقة بوادي مرّ، يزعم سكان وادي مرّ أنه قبر مريم بنت عمران ويقصدونه بالزيارة والندور ويذبحون عنده. ولا أعلم لهم في ذلك سلفا، ولم أر من ذكره، ولم أقف على شيء من خبره بعد السؤال والتفحص، والله أعلم بحقيقة ذلك.

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٥ و ١٤٦.

(٢) بهجة المهج ص ٢١ و ٢٢.

(٣) انظر في هذا الاختلاف: إهداء اللطائف في أخبار الطائف للمعجمي ص ٢٦.

(٤) بهجة المهج للميورقي ص ٢١.

فوائد

نختم بها الخاتمة يرجع بعضها إلى بعض شيء مما تقدم

الأولى: قال النووي رحمه الله في عدة من كتبه وغيره أيضا: إن الدعاء يستجاب في خمسة عشر موضعا: في الطواف، وفي الملتزم كما قدمته وتحت الميزاب وداخل الكعبة وخلف المقام وعند زمزم وعلى الصفا وعلى المروة، وفي حال السعي وجميع منى عموما وعند الجمرات الثلاث خصوصا وفي عرفة وفي مزدلفة فهذه خمسة عشر موضعا بالجمرات الثلاث^(١).

وذكر بعض العلماء من الأماكن المستجابة الدعاء: مسجد الخيف بمنى.

ومنها على ما ذكره ابن الجوزي: مسجد البيعة، وغار المرسلات، ومغارة الفتح لأنها من ثبير. أقول: مغارة الفتح المذكورة هي في سفح ثبير قريبا من معتكف عائشة أنشأها القاضي مجد الدين صاحب «القاموس» وكان يختلئ بها للعبادة. انتهى.

وذكر العلامة النقاش في «منسكه» مواضع يستجاب فيها الدعاء: في ثبير الأثيرة، وفي مسجد الكبش، وفي مسجد النحر، وحال الدخول من باب السلام، وفي دار خديجة رضي الله عنها ليلة الجمعة، وفي مولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عند الزوال، وفي دار الخيزران عند المختبأ بين العشاءين، وفي مسجد الشجرة يوم الأربعاء، وتحت السدرة بعرفة وقت الزوال، وفي المتكأ غداة الأحد، أقول هذه الثلاث المحال لا تعرف الآن والمتكأ المذكور الظاهر أنه الذي بأجياد. وقد تقدم الكلام فيه بأنه لا يعرف يقينا بل حدسا بغير دليل ولا قرينة انتهى. وفي جبل ثور عند الظهر، وفي حراء مطلقا انتهى كلامه^(٢).

الثانية: مما يدل على فضل منى أيضا: ما رواه ابن الحاج في «منسكه» عن أبي سهل ابن يونس الرجل الصالح أنه قال: رأيت كأنى في سفينة تجرى على وجه الأرض، وقائل يقول: فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقفزت من موضعي وقلت: يا رسول الله استغفر لى. فقال

(١) انظر في هذه المواضع: رسالة الحسن البصرى في فضائل مكة ورقة ٤.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٢٢ و ٣٢٣.

لى: حججت؟ فقلت: نعم. فقال لى: حلقت رأسك بمنى؟ قلت: نعم، قال: رأس حلقت بمنى لا يمسه النار أبدا. انتهى.

الثالثة: اختلف فى سبب تسميتها بمنى فقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما سميت منى لأن جبريل عليه السلام لما أراد أن يفارق آدم عليه السلام قال له: تمن، قال: تمنيت الجنة فسميت بذلك لأمنية آدم عليه السلام. وقيل: سميت بذلك لما يُمنى فيها من الدماء أى يراق، وهذا هو المشهور الذى ذكره جمهور اللغويين وغيرهم. وقيل لما تمنى أن يقدر، وقيل لاجتماع الناس بها لأن العرب تسمى كل موضع يجتمع فيه الناس منى. وقيل لمن الله على الخليل عليه السلام بفداء ابنه فيها. وقيل: لمن الله بالمغفرة فيها على عباده، وقيل غير ذلك، ويجوز فيها الصرف وعدمه والتذكير والتأنيث. قال صاحب «القاموس» والأجود صرفه. وجزم الجوهري فى «صحاحه» بتذكيره وصرفه وأنشدوا على تذكيره:

سقى منى ثم رواه وسساكنه
ومن ثوى فيه واهى الودق مغتبق

وجاء فى تأنيثه للعرجى:

ليومنا بمنى إذ نحن نزلها
أسرّ من يوم بالعرج أو ملل

الرابعة: أخرج ابن حبان فى «صحيحه» من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كنت بين الأخشبين من منى - ونفخ^(١) بيده نحو المشرق - فان هناك واديا يقال له وادى السرر، لسرحة به سرّ تحتها سبعون نيا^(٢). انتهى ملخصا.

والسرحة - بالسين والحاء المهملتين - الشجرة العظيمة.

ووادى السرر - بضم السين وفتح الراء - وقيل بفتحهما، وقيل بكسر السين وفتح

الراء^(٣).

(١) فى المطبوع: «ونفخ» بالحاء المهملة، والمثبت رواية المحب الطبرى فى القرى ص ٥٤٠.

(٢) أورده صاحب الكنز برقم ٣٤٧٩٢ والنظر فى ذلك: القرى ص ٥٤٠.

(٣) القرى ص ٥٤٠.

ومعنى سُرَّ تحتها: أى قُطِعَتْ (١) سُرُّهُمْ، يعنى: أنهم ولدوا تحتها يصف بركتها ويمنها. والسُرُّ ما يقطع من المولود فيبان، والباقي بعد القطع السرة، ولا يقال قطعت سرتة بل قطع سرره ومن قطع سرره فهو مسرور. قاله صاحب «القاموس».

قال الفاسى رحمه الله: لم يبين الطبرى موضع هذا الوادى وما عرفته أنا أيضاً. انتهى.

أقول: قد بين صاحب «القاموس» مسافة ما بينه وبين مكة إجمالاً فى كتابه «الوصل» فقال قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى: السرر على أربعة أميال من مكة عن يمين الجبل بطريق منى، وكان عبد الصمد بن على اتخذ عنده مسجداً كان به شجرة ذكر أنه سر تحتها سبعون نبياً.

وقد قدمت أن هذا المسجد لا يعرف، فيكون على مقتضى قول الحسن بن الحسين محل وادى السرر المذكور تقريباً بين محسر ومنى على يسار الذهاب إلى عرفة، لأن الفقهاء ذكروا فى عدة من المناسك أن بين منى ومكة ثلاثة أميال هذا قول أكثرهم، ويكون من منى إلى محسر قدر ميل فهذه أربعة أميال، والسرحة لا وجود لها الآن والله الموفق.

الخامسة: منى اسم لموضعين: أحدهما منى المذكور، والثانى اسم جبل من جبال ضريبة - بالضاد المعجمة المفتوحة والراء المكسورة والمثناة التحتية المشدودة المفتوحة والهاء - ذكره صاحب القاموس فى «الوصل» وعزاه إلى الأصمعى.

السادسة: الخيف، لغة: المكان المرتفع عن مسيل الماء المنحدر عن غلظ الجبل. وقال بعضهم: الخيف هبوط وارتفاع فى سفح جبل أو غلظ، ومسجد الخيف بمنى فى مكان هذه صفته، وقيل الخيف غرة بيضاء فى الجبل الذى خلف أبى قبيس. والخيف أيضاً الناحية، وبه سمي خيف منى كأنه ناحيته، وقد تغزل الشعراء فى منى وخيفها بأشعار كثيرة رائقة وأناشيد فائقة رأيت أن أذكر منها بعض شىء مما انشرح به خاطر تكثيراً للفائدة، فمن ذلك قول بعضهم:

تبدي لعيني والحجيج على منى

غزال رأيناه بمكة محرمنا

(١) فى المطبوع: «قطع» والمثبت رواية المحب الطبرى فى القرى.

رمى وهو يسعى بالجمار وإنما

رمى جمرة القلب المعذب إذ رمى

ومن ذلك للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي من قصيدة:

بوادى منى نلنا المنى إذ تبسمت

ليال وأيام ملاح المباسم

سرور بعيد واجتماع أحبة

وقرب وقربان وعز مواسم

ومن ذلك لبعضهم:

ما بال قلبي لا يقر قراره

حتى تقضى من منى أوطاره

ما ذاك إلا من تلهب شوقه

يسببه من وادى منى تذكاره

يا سائق الأظعان إن جزت الحمى

سلم على من بالمحصب داره

واشرح لهم ما يلتقى مشتاقه

من فرط شوق أحرقته ناره

يصبو إلى ذكر الحطيم وزمزم

والركن والبیت المكرم جاره

ومن ذلك لمجنون بن قيس العامري:

ولم أر ليلي غير موقف ساعة

بخيف منى ترمى جمار المحصب

وتبدي الحصى منها إذا قذفت به

من البرد أطراف البنان المخضب

فأصبحت من ليلي الغداة كناظر

مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

ومن ذلك لبعضهم:

أيا حادى الأظعان جز بي على منى
وبرد لظى أحشاي بالجمرات
وقف بي على ذاك المقام فلإن لى
به أربا أقضيه قبل وفاتي
ومل بي إلى البيت العتيق وخلصني
لديه وما أبدية من زفرائي

ومن ذلك قول ابن الجوزي:

سقى منى وليالى الخيف ما شربت
من المياه وحيائها وحيالك
الماء عندك مبدول لشاربه
ولا ترويك إلا دمة الباكي
ثم انثينا إذا ما هزنا طرب
على الرحال تعللنا بذكراك

ولغيره:

فلما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو مسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطى الأباطح
بكينا على ما كان من زمن الهوى
ولم يعلم الغسادي بمن هو رائح

وفى هذا القدر كفاية.

الفائدة السابعة: المشهور عند أهل مكة أن الحجون: هو الجبل الذى فيه الشية التى يدخل منها الحاج الهابطة على المقبرة، وعرفها الأزرقى: بشية المدنيين، ويسمونها الحجون الأول بالنسبة إلى الخارج منها إلى جهة ذى طوى والزاهر، ويقولون لنا بينها وبين

الثنية الأخرى الهابطة على المختلج وطريق الوادي، وتسمى الخضراء بين الحجونين ويمين الخارج منها إلى جهة منى كما هو صريح كلام الأزرقى والخزاعى والفاكهى والنووى.

فأما الأزرقى فقال عند ذكره لما فى يمانى المعلاة من المواضع والشعاب والجبال ما نصه: الحجون الجبل المشرف حذاء مسجد البيعة^(١) الذى يقال له مسجد الحرس^(٢). ومثله كلام الفاكهى.

وأما كلام الخزاعى فنص كلامه: الحَجُونُ الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد^(٣).

وقال النووى فى «شرح مسلم» الحجون وهو من حرم مكة الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد^(٤).

قال السيد الفاسى رحمه الله: وقد ذكر المحب الطبرى فى «القرى» ما يوافق ما يقوله الناس، وكنت قلدته فى ذلك، فظهر لى أن الأزرقى بذلك أدرى كيف وقد وافقه الخزاعى والفاكهى وغيرهما. وإذا كان كذلك فلعله الجبل الذى يزعم الناس أن فيه قبر عبر الله بن عمر والجبل المقابل الذى بينهما الشعب المعروف عند الناس بشعب العفاريت^(٥). والله أعلم، انتهى.

وأغرب السهيلى فى محل الحجون فقال: والحجون على فرسخ وثلث من مكة^(٦). انتهى.

والحجون بفتح الحاء وضم الجيم كذا ضبطه النووى والطبرى وصاحب المطالع وضبطه ابن خلكان بضم الحاء والمعروف الفتح.

تمت الفوائد، وبتمامها يتم الكتاب والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة

(١) فى المطبوع: «المشرف جدا على مسجد البيعة» والمثبت رواية: د والأزرقى الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ج ٢ ص ٢٧٣.

(٣) نقله الفاسى فى شفاء الغرام ج ١ ص ٤٧٣.

(٤) نقله الفاسى فى شفاء الغرام ج ١ ص ٤٧٣.

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٤٧٢ و ٤٧٥.

(٦) الروض الأنف ج ١ ص ١٣٨.

والسلام على نبيه سيدنا محمد المبعوث بأعظم المعجزات وعلى آله وأصحابه الأماجد السادات.

وليكن هذا آخر ما يسره الله ومن به وهو المنان مما قصدت إثباته حسب الوسع والإمكان ومع ذلك فإنى عاجز عن بلوغ المراد ملتمس من الله سبحانه الإصابة والسداد وضارع إليه فى التوفيق والرشاد أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم وعدتى من فائض فيض فضله العميم ويجمعنى ومن يطالعه فى جنان النعيم ويختتم آخر أعمالى بالخيرات ويرجع ميزانى بالحسنات ويعفو عما اقترفته من الذنوب والسيئات ويرزقنى الثبات عند السؤال بعد الممات، ويفتح على بالعلم الشريف والعمل به فإنه الكثر الموروث عن الأنبياء ونعم الميراث ويجعلنى كما وفقنى لجمع هذه الفضائل ممن شمله قوله ﷺ «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» والأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، واللسان لا يبرز عن الجنان إلا ما حوى.

والمستول ممن وقف على التأليف من الإخوان أن ينظر فيه بعين الرضا والرضوان فما كان من نقص كمله ومن خطأ أصلحه وأن يصفح عما يجده فى ترتيبه من زلل وما يظهر له فيه من خلل، فإن القلم قد يهفو والجواد قد يكبو، وقد سبق من إقرارى بالعجز والضعف ما يقتضى الصفح والعفو، والإنسان غير معصوم عن الخطأ والنسيان والمؤمن مرآة أخيه. والله تعالى يغفر لمن نظره أو كتبه أو أصلح شيئاً منه أو فيه.

ولنختتم هذا التأليف بما ورد من دعاء النبى ﷺ المأثور الشريف:

اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن كن لى جباراً من شر خلقك كلهم أن يفرط على أحد منهم وأن يبغي على، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وكان الفراغ من نسخ هذا الجامع المبارك عصر الاثنين سنة تسع وعشرين بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام^(١).

(١) هذا آخر النسخة المطبوعة وجاء فى آخر نسخة د: «وكان الفراغ من نسخة على يد ناسخه لنفسه ولمن شاء الله من بعده بمكة المشرفة فى اليوم الرابع عشر من شهر رمضان المبارك من العام ثلاثمائة والألف، والحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده».

فهرسة الفهارس

- ١ - فهرس الأعلام.
- ٢ - فهرس الأماكن.
- ٣ - فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب.
- ٤ - فهرس مصادر التحقيق.
- ٥ - فهرس موضوعات الكتاب.

١ - فهرس الأعلام

- الآقشهري: ١٩٤ .
 إبراهيم عليه السلام: ٢٢٣ .
 أبرهة: ١٥٦ .
 أروى بنت كرز بن ربيعة (أم عثمان بن عفان): ٢١١ .
 الأزرقى: ٣٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٦٨ ، ٢٨٧ .
 ابن إسحاق: ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٣٠٧ .
 أسماء بنت الصديق: ٢٣٩ .
 باقوم (نجار): ٧٩ .
 بدر الدين أحمد بن محمد المصري: ٢٤٢ .
 بشر الحافي: ٢٣١ .
 البغوى: ٢٩ .
 أبو بكر الصديق: ٢٠٨ .
 البكرى (صاحب المسالك والممالك): ١٩٣ .
 بيبرس الملك الظاهر: ١٠٦ .
 بيسق الظاهري (الأمير): ١٨٢ .
 التاج السبكي: ٢٣١ .
 تقى الدين الفاسى: ١١ وانظر الفاسى .
 الثعلبي: ٢٥ .
 الجاحظ: ٥٢ .
 ابن جبير: ٧٩ ، ١٩١ ، ٢٩٣ .
 ابن جريج: ٧٨ .
 ابن الجوزى: ٢٣١ ، ٢٣٢ .
 جلال الدين السيوطى: ٢٣٣ .
 ابن جماعة: ٣٦ .
 جمال بن عبد الله الظهيري: ٢٣٢ .
 ابن الحاج: ٥١ .
 الحاكم العبيدى: ١٠٠ .
 الحجاج: ٨٧ ، ١٠٠ .
 ابن حجر: ٤٩ ، ٨٩ ، ٢٣١ .
 الحربى: ٢٣٧ .
 الحسن البصرى: ٣١ .
 أبو الحسن الماوردى: ١٧٧ .
 الحصين بن نمير: ٨١ .
 الحلیمی: ٨٤ .
 حمزة بنت سفيان بن أمية (أم سعيد بن مالك ابن أبي وقاص): ٢١٥ .
 حنمة بنت هاشم بن المغيرة (أم عمر بن الخطاب): ٢١٠ .
 حواء: ٧٩ .
 خالد بن عبد الله القسرى: ١٠٤ .
 خاير بك العلانى (الأمير): ١٨١ ، ١٨٦ ، ١٩٢ .
 خشقلدى (الأمير): ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٢ .
 الخيزران: ٢٨٥ .
 ابن درياس (من الشافعية): ٢٣٩ .
 الديلمى: ٢٢٨ .

- الذهبي: ٢٣١ .
- ذو القرنين: ٧٦ .
- رامشت (صاحب الرباط بمكة): ١٠١ .
- أبو رغال: ١٥٦ .
- الزبير بن العوام: ٢١٤ .
- الزمخشري: ٣٣ ، ٣٠٣ .
- زين الدين الفارسكوري الشافعي: ١٨٧ .
- سارة: ٢٢٥ .
- سراج الدين البلقيني: ٢٣٢ .
- سعد بن مالك بن أبي وقاص: ٢١٥ .
- أبو سعيد بن خدابنده (ملك التتار): ١٠٦ .
- سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: ٢١٦ .
- سفيان الثوري: ٢١ .
- سليمان (السلطان): ١٨٩ .
- السهيلي: ٤٠ ، ٧٥ ، ٢٨٦ .
- سودون المحمدي (الأمير): ١٨٧ .
- ابن سيد الناس: ٩٣ .
- السيوطي: ٧٣ .
- شاه رخ (صاحب شيراز): ١٠١ .
- ابن شعبان (من المالكية): ٢٣٩ .
- شعبان (الأشرف صاحب مصر): ١٨٣ .
- الشعبي: ٤٤ .
- الشفاء بنت عوف (أم عبد الرحمن بن عثمان ابن عوف): ٢١٦ .
- شيبه بن عثمان: ٣١ .
- أبو الشيخ: ٢٤١ .
- شيخ أويس (صاحب بغداد): ١٠٦ .
- شيخ المحمودي (السلطان المؤيد): ١٩٠ .
- صفية بنت عبد المطلب (أم الزبير بن العوام): ٢١٤ .
- الصليحي (صاحب اليمن ومكة): ١٠٠ .
- أبو طالب المكي: ١٩ .
- أبو طاهر القرمطي: سليمان بن الحسن: ٤١ .
- طلحة بن عبيد الله بن عثمان: ٢١٤ .
- ابن ظهيرة: جمال الدين عبد الله: ٢٣٦ .
- عباد بن كثير: ٧٨ .
- العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: ٣٢ .
- ابن عبد البر: ١٢٥ .
- ابن عبد ربه: ١٩١ .
- عبد الرحمن بن عثمان بن عوف: ٢١٦ .
- عبد الكريم اليازجي الرومي: ١٨٩ .
- أبو عبد الله الحاكم: ٢٣١ .
- أبو عبد الله خليل (إمام مقام المالكية بالمسجد الحرام): ١٢٣ .
- عبد الله بن الزبير: ٤٤ .
- عبد المطلب: ٢٢٦ .
- عبد الملك بن مروان: ٤٤ .
- أبو عبيدة: عامر بن عبد الله بن الجراح: ٢١٧ .
- عتاب بن أسيد: ٢٤٥ .
- عثمان بن طلحة: ١١١ .

- عثمان بن عفان ٢١١ .
 ابن عطية : ٥٨ .
 علي بك (نائب جُدة) : ١٩٠ .
 علي شاه (الوزير) : ١٠٦ .
 علي بن أبي طالب : ٢١٢ .
 علي بن الموفق : ٦٥ .
 ابن العماد : ٩٣ .
 عمر، أبو بكر الشهير بالشنيني : ٢٣٠ .
 عمر بن الخطاب : ٢١٠ .
 عمر بن عبد العزيز : ٢٢٥ .
 عمر بن علي بن رسول (الملك المنصور صاحب اليمن) : ١٠٦ .
 أبو عمرو الزجاجي : ١٥٦ .
 عيسى بن مريم : ٢٠٨ .
 الغوري (السلطان) : ١٩٢ .
 فاطمة بنت أسد بن هاشم (أم علي بن أبي طالب) : ٢١٢ .
 فاطمة بنت بعجة (أم سعيد بن زيد بن عمرو) : ٢١٦ .
 الفاسي : ٢٣٦ وانظر تقي الدين الفاسي .
 الفاكهي ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٩٥ .
 فخر الدين أبو بكر بن علي بن ظهيرة (جد المؤلف) : ٢٦ .
 فرج (السلطان الناصر) ١٨٤ ، ١٩٠ .
 فرقد السبخي : ٧٨ .
 أبو الفضل العراقي : ٩٢ .
 القرطبي : ٢٤١ .
 القطب الحلبي : ٢٩٨ .
 ابن كثير : ٦٩ .
 كعب الأحبار : ٢٣٨ .
 الكمال ابن الهمام : ١٥ .
 كنانة بن خزيمة بن مدركة : ٢٠٥ .
 الكواشي : ٢٨ .
 لوط (عليه السلام) : ٢٢٥ .
 المأمون : ١٠٠ .
 الماوردي : ٢٣٩ .
 المحب الطبري : ٣٩ ، ١٢١ ، ٢٨٧ ، ٣٠٨ .
 محمد جار الله بن ظهيرة القرشي : ١١ .
 محمد بن الحنفية : ٨٢ .
 محمد بن عباد بن جعفر : ٧١ .
 محمد بن عراق : ١٨٨ .
 محمد بن علي المنهاجي : ١٩ .
 محمد بن كعب القرظي : ٢٢٤ .
 محمد بن يوسف الثقفي (أخو الحجاج) : ٢٨٥ .
 محمود بن سبكتكين (السلطان) : ١٠١ .
 المستنصر العبيدي : ١٠٠ .
 المسعودي : ٢٣٧ .
 مصلح الدين الرومي (الأمير) : ١٨٧ .
 المعتصم العباسي : ١٠٦ .
 المعتضد العباسي : ١٨٣ .
 مغنطاي : ٢٨٦ .

- المقوقس القبطى (صاحب مصر): ٢٠٨ .
ابن المنير: ١٦٢ .
المهدى العباسى: ١٧٩ .
الميورقى: ٣٠٩ .
الناصر العباسى: ١٩١ .
الناصر محمد بن قلاوون: ١٠٦ .
السنفى: ٢٨ .
النقاش (المفسر) ٥٨ ، ١٧٦ .
النووى: ٢٨ ، ٢٣٩ .
هاجر: ٢٢٤ .
هارون الرشيد: ٨٨ .
ابن هشام: ٢٣٧ .
الوليد بن عبد الملك: ١٠٤ .
أبو الوليد الأزرقى: ١١ .
وهب بن منبه: ٢٢٨ .
ولى الدين العراقى: ١٧٥ .
ياقوت: ٢٣٦ .
يحيى بن معاذ الرازى: ٢١ .
يوسف بن ماهك: ٣١ .

٢- فهرس الأماكن

- أبو قبيس: ٢٥، ٦٣، ٢٩٧ .
أجياد: ١٨٤ .
أجياد الصغير: ٦٢ .
أرض الهند: ٧٣ .
أسوان: ١٣٥ .
أصبهان: ١٣٤ .
أضياء بنى غفار: ٣٠٦ .
أم راحم (من أسماء مكة): ١٤٩ .
أم رحم (من أسماء مكة): ١٤٧ .
أم الرحمن (من أسماء مكة): ١٤٨ .
أم روح (من أسماء مكة): ١٤٧ .
أم صبح (من أسماء مكة): ١٤٧ .
أم القرى (من أسماء مكة): ١٤٥ .
أم كوثى (من أسماء مكة): ١٤٨ .
الاهواز: ١٣٤ .
باب إبراهيم: ١٨٠، ١٨٦، ١٩٢، ١٩٣ .
باب أجياد: ١٨٥ .
باب أجياد الصغير: ١٩٤ .
باب أم هانئ بنت أبي طالب: ١٩٤ .
باب باران: ١٩٥ .
باب البطحاء: ١٩٣ .
باب البغلة: ١٩٥ .
باب البقالين: ١٨٠، ١٩٤ .
باب بنى تميم: ١٩٤ .
باب بنى حكيم: ١٩٤ .
باب بنى الزبير بن العوام: ١٩٤ .
باب بنى سهم: ١٩٣ .
باب بنى شيبه: ١٩٢ .
باب بنى مخزوم: ١٩٤ .
باب بنى هاشم: ١٨٠، ١٩٣ .
باب الجنائز: ١٨٤، ١٩٢ .
باب الحزامية: ١٩٤ .
باب الحزورة: ١٠١، ١٨٠، ١٨٢، ١٩٤ .
باب الخلقين: ١٩٤ .
باب الدرية: ١٩٣ .
باب الرحمة: ١٩٤ .
باب الزيادة: ١٩٣ .
باب السدة: ١٩٣ .
باب السلام: ١٩٢، ٣١٠ .
باب سوقية: ١٩٢، ١٩٣ .
باب العباس بن عبد المطلب: ١٩٣ .
باب العجلة: ١٨٢، ١٩٣ .
باب علي: ١٨٠، ١٩٣ .
باب العمرة: ١٢٨، ١٩٣ .
باب عمرو بن العاص: ١٩٣ .
باب الفرغ: ١٩٤ .

- باب الكعبة: ٨٦ .
باب المجاهدية: ١٩٤ .
باب مدرسة الشريف عجلان: ١٩٤ .
باب الملاعبة: ١٩٤ .
بازان: ١٩٥ .
البرقة: ٣٠٩ .
برة (من أسماء مكة): ١٤٦ .
بركة الماجن: ٢٨٧ ، ٢٩١ .
الباسة (من أسماء مكة): ١٤٨ .
بخارى: ١٣٤ .
الهباسة (من أسماء مكة): ١٤٨ .
بساق (من أسماء مكة): ١٤٧ .
البصرة: ١٣٤ .
بغداد: ١٣٤ .
بقيع الغرقد: ١٩٥ .
بكة (من أسماء مكة): ١٤٤ .
بلاد البجاة: ١٣٥ .
بلاد بربر: ١٣٥ .
بلاد البلين: ١٣٥ .
بلاد التكرور: ١٣٥ .
بلاد الجرايد: ١٣٥ .
بلاد السودان: ١٣٤ ، ١٣٥ .
بلاد الصين: ١٣٤ .
بلاد مزينة: ٣٠٢ .
بلاد الهند: ٢٩٧ .
البلد (من أسماء مكة): ١٤٥ .
البلدة (من أسماء مكة): ١٤٥ .
البنية (من أسماء مكة): ١٤٩ .
البيت العتيق (من أسماء مكة): ١٤٧ .
بيت المقدس: ١٦٧ .
بشر أم سليمان: ٣٠٤ .
بشر زمزم: ١٩١ ، ٢٢٣ وانظر زمزم .
بشر ميمون: ١٨٤ .
البيضاء: ٢٨٥ .
تكتم (من أسماء زمزم) ٢٣٦ .
التنعيم: ١٩٣ .
ثبير: ٢٩١ .
ثبير الاثيرة: ٣٠١ ، ٣٠٢ .
ثبير الاحدب: ٣٠٢ .
ثبير الأعرج: ٣٠٢ .
ثبير الخضراء: ٣٠٢ .
ثبير غينا: ٣٠٢ .
ثبير النصح: ٣٠٢ .
ثنية أذاخر: ٣٠٤ .
ثنية أم الحارث: ١٨٤ .
ثنية المدنيين: ٣١٤ .
جبل أبي الحارث ٢٨٩ .
الجبل الأحمر: ١٨٤ .

- جبل ثبير بمنى : ٣٠١ .
جبل ثور : ٣٠٠ ، ٣٠١ .
جبل جزل : ٢٩٠ .
جبل حراء (جبل النور) : ٢٩٩ .
جبل الحزورة : ١٨٤ .
جبل خليفة : ١٨٤ .
جبل الخندمة : ٢٩٨ .
جبل المقبرة : ١٨٤ .
جبل المقلع (البكاء - الزاهر) : ٣٠٦ .
جبل النوبى : ٢٨٨ .
جدة : ٧٨ ، ١٣٥ .
الجزيرة : ١٣٤ .
الجمرة : ٢٩٥ .
الجموم من وادى مرّ : ٢٩٥ .
الجودى : ٧٢ .
الحاطمة (من أسماء مكة) : ١٤٥ .
الحبشة : ١٣٤ .
الحجر : ٨٤ .
الحجر الأسود : ٨٠ ، ٨٦ ، ١٩١ .
الحجون : ٣١٤ .
حراء : ٧٢ .
الحرم (من أسماء مكة) : ١٤٦ .
الحُرمة (من أسماء مكة) : ١٤٩ .
الحِرمة (من أسماء مكة) : ١٤٩ .
الحزورة : ١٤١ .
الحصاحص : ١٨٤ .
الحظيم : ١٦٧ ، ١٩٠ .
حفيرة العباس (من أسماء زمزم) : ٢٣٦ .
حلوان : ١٣٤ .
حراء ان : ٦٢ ، ١٣٤ ، ٢٣٤ .
الخضير : ١٨٤ .
الخرمانية : ١٨٤ .
خوارزم : ١٣٤ .
دار أبى بكر الصديق : ٢٨٨ .
دار أبى سعيد : ٢٨٨ .
دار أبى سفيان : ٢٨٧ .
دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى : ٢٨٩ .
دار أم هانىء : ١٩٤ .
دار خديجة زوج النبى : ٢٨٩ .
دار خزيمة : ٢٨٦ .
دار الخيزران : ٢٨٩ ، ٣١٠ .
دار الدقوقى : ٢٨٨ .
دار العباس بن عبد المطلب : ١٩٣ ، ٢٨٩ .
دار العجلة : ٦٢ ، ١٩٣ ، ٢٨٨ .
دار الندوة : ٦٢ ، ١٨١ .
ديار بكر : ١٣٤ .
ذو طوى : ٦٢ .
الرأس (من أسماء مكة) : ١٤٧ .

- رباط الخوزى : ١٨٤ .
 رباط رامشت : ١٨٢ .
 رباط الفقراء بالمسعى : ٢٨٩ .
 رباط المغاربة : ٢٨٩ .
 رباط الموفق : ٢٨٩ .
 رباط ناظر الخاص : ١٨٢ .
 الرتاج (من أسماء مكة) : ١٤٧ .
 ردم بنى جمع : ٢٨٦ .
 الرها : ١٣٤ .
 روح : ٣٠٨ .
 الرى : ١٣٤ .
 الزبارة : ٢٧٩ .
 زقاق الحجر : ٢٨٨ ، ٢٨٦ .
 زقاق المرفق : ٢٨٨ .
 زمزم : ٦٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ .
 سابق (من أسماء زمزم) : ٢٣٦ .
 سبوحه (من أسماء مكة) : ١٤٩ .
 سجستان : ١٣٤ .
 سرف : ٣٠٨ .
 سقاية العباس : ١٩١ .
 السلام (من أسماء مكة) : ١٤٩ .
 سمساط : ١٣٤ .
 سنجار : ١٣٤ .
 سوق الليل : ٢٨٥ .
 السيل (من أسماء مكة) : ١٤٩ .
 الشاش : ١٣٤ .
 الشام : ٨٤ ، ١٣٤ ، ٢٢٥ .
 شباغة العيال (من أسماء زمزم) : ٢٣٦ .
 شراب الأبرار (من أسماء زمزم) : ٢٣٦ .
 الشَّعب : ٢٨٦ .
 شعب ابن عامر : ٢٩٥ .
 شعب أبى دب (شعب العفاريت) : ٣٠٤ .
 شعب الصفى : ٣٠٥ .
 شعب على : ٢٨٧ .
 الشعبية : ٧٩ .
 شيراز : ١٠١ .
 الصفا : ٣١٠ .
 صلاح (من أسماء مكة) : ١٤٥ .
 ضريح الشيخ عبد الكبير بن يس الحضرمى : ٢٨٧ .
 الطائف : ٣٠٩ .
 طور زيتا : ٧٢ .
 طور سيناء : ٧٢ .
 طيبة (من أسماء مكة) : ٤٩ .
 ظبية (من أسماء زمزم) : ٢٣٦ .
 العذراء (من أسماء مكة) : ١٤٩ .
 العرش (من أسماء مكة) : ١٤٦ .

- العُرُش: (من أسماء مكة): ١٤٩ .
عرفة: ٢٩١ ، ٣٠٨ .
العروش (من أسماء مكة): ١٤٩ .
العروض (من أسماء مكة): ١٤٩ .
العريش (من أسماء مكة): ١٤٦ .
عسفان: ٢٨٦ .
العقبة: ٢٩١ .
عمان: ١٠٦ ، ٣٠٨ .
عذيباب: ١٣٥ .
عين الأزرق بالطائف: ٣٠٩ .
عين الأزرق بالمدينة: ٣٠٩ .
غار الكنز: ٢٩٧ .
غار المرسلات: ٢٩٣ .
فاران (من أسماء مكة): ١٤٩ .
فارس: ١٣٤ .
فخ: ٣٠٦ .
فرغانة: ١٣٤ .
القادس (من أسماء مكة): ١٤٦ .
القادسية: ١٣٤ .
قبر أمّنة بنت وهب: ٣٠٥ .
قبر إمام الحرمين عبد المحسن بن أبي العميد: ٣٠٤ .
قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية: ٣٠٧ .
قبر بأعلى الجبل المشرف على الموضع المعروف بالبرقة بوادي مرّ: ٣٠٩ .
قبر حواء بجدة: ٧٩ ، ٢٩٧ .
قبر الشولى: ٣٠٤ .
قبر شيث: ٢٩٧ .
قبر عبد الله بن عباس: ٣٠٨ .
قبر عبد الله بن عمر بن الخطاب: ٣٠٥ .
قبر النبي: ١٣ .
قبة الفراشين: ٢٨٥ .
قبة الوحي: ٢٨٧ .
قبور سماسرة الخير: ٣٠٤ .
القرية (من أسماء مكة) ١٤٥ .
قرية الحمس (من أسماء مكة): ١٤٩ .
قرية النمل (من أسماء زمزم): ٢٣٦ .
قرية النمل (من أسماء مكة): ١٤٩ .
قبيقعان: ٦٢ ، ٢١٩ .
كرمان: ١٣٤ .
الكمبة: ١١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٦١ ، ١٨٥ ، ٣٠٧ .
كوثى (من أسماء مكة): ١٤٦ .
الكوفة: ١٣٤ .

- لبنان: ٧٢ .
المتكا: ٣١٠ .
المجزرة الكبيرة: ٢٩٠ .
المختبأ: ٢٨٧ .
مخرج صدق (من أسماء مكة): ١٤٩ .
مدرسة السلطان قايتباي: ١٨٣ ، ٢٣٠ .
مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن: ٩٤ .
المدينة المنورة: ٩٣ ، ١٥٤ ، ٢٩١ .
مرو: ١٣٤ .
المروة: ٢٢٣ ، ٣١٠ .
مزدلفة: ٣١٠ .
مسجد الأبتوس: ٧٩ .
مسجد إبراهيم القبسي: ٢٩١ .
مسجد الإجابة: ٢٩١ .
مسجد بأجياد: ٢٩٦ .
مسجد بأعلى مكة: ٢٩٦ .
مسجد بذى طوى: ٢٩٦ .
مسجد بعرفة: ٢٩٦ .
مسجد البيعة: ٢٩١ ، ٣١٠ .
مسجد التنعيم: ٢٩٤ ، ٢٩٧ .
مسجد الجن: ٢٩١ .
مسجد الجعرانة: ٢٩٣ .
المسجد الحرام: ٦٢ ، ١٦١ ، ١٨٤ ، ١٨٥ .
١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .
مسجد الحرس: ٢٩١ .
مسجد الخيف: ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٣١٠ .
مسجد الراية: ٢٩٠ .
مسجد عائشة: ٢٩٢ .
مسجد عرفة: ٢٩٣ .
مسجد عرفة (مسجد نمرة): ٢٩٦ .
مسجد الفتح: ٢٩٥ .
مسجد فوق العمرة المعروفة، بالتنعيم: ٢٩٧ .
مسجد الكبش: ١٨٤ ، ٢٩١ ، ٣١٠ .
مسجد المختبأ: ٢٩٠ .
مسجد المدعى: ٢٩٠ .
مسجد السرر: ٢٩٦ .
مسجد النحر: ٢٩١ ، ٣١٠ .
المسمى: ١٩٣ .
المعايدة: ٣٠٤ .
معاد (من أسماء مكة): ١٤٥ .
معبد الجنيد: ٢٨٩ .
مغارة الفتح: ٣١٠ .
المغمس: ١٥٦ .
مقام الحنفى: ١٨٦ .
مقام الخليل: ١٨٦ ، ٢٨٥ .
مقام الشافعى: ١٨٦ .
مقبرة الأحلاف: ٢٠٧ .
مقبرة الشبيكة: ٣٠٦ .

- مقبرة المطيبين : ٣٠٧ .
 المقبرة العليا : ٣٠٤ .
 مقبرة المعلاة : ٣٠٣ .
 مقبرة المهاجرين بالحصحص : ٣٠٦ .
 المقدسة (من أسماء مكة) : ١٤٦ .
 مكة المكرمة : ١١ ، ٢٥ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨١ ، ٩٣ ، ١٠٠ ، ١٤٤ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،
 ١٨٧ ، ١٩٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ،
 ٢٨٩ ، ٢٩٦ ، ٣٠٠ .
 المكتان (من أسماء مكة) : ١٤٨ .
 منارة أبي شامة : ٢٩٠ .
 منارة باب الحزورة : ١٨٣ .
 منارة باب السلام : ١٨٣ .
 منارة باب علي : ١٨٣ .
 منارة باب العمرة : ١٨٣ .
 منارة بني شيبه : ١٨٣ .
 منى : ١٨٤ ، ٢٩١ ، ٣١٠ .
 الموصل : ١٣٤ .
 مولد جعفر الصادق : ٢٨٨ .
 مولد حمزة بن عبد المطلب : ٢٨٧ .
 مولد رسول الله : ٢٨٥ .
 مولد علي بن أبي طالب : ٢٨٧ .
 مولد فاطمة : ٢٨٦ .
 النابية : (من أسماء مكة) : ١٤٨ .
 نادرة (من أسماء مكة) : ١٤٩ .
 النائية (من أسماء مكة) : ١٤٥ .
 الناشئة (من أسماء مكة) : ١٤٨ .
 نسا : ١٣٤ .
 النساسة (من أسماء مكة) : ١٤٥ .
 نقرة الغراب (من أسماء مكة) : ١٤٩ .
 نيسابور : ١٣٤ .
 هزمة إسماعيل (من أسماء رمزم) : ٢٣٦ .
 همدان : ١٣٤ .
 الوادي (من أسماء مكة) : ١٤٥ .
 وادي السرر : ٢٩٦ ، ٣١١ .
 وادي الطائف : ٣٠٨ .
 وادي مر : ٢٩٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
 وادي مكة : ١٨٤ .
 وادي وج : ٣٠٨ .
 اليمن : ١٠٠ .

٣ - فهرسة الكتب الواردة في منه الكتاب

- الإحياء للغزالي : ١١٦ .
 أخبار مكة لابن شبة : ٣٢ .
 الإعلام للقطبي : ٥٢ .
 الإيضاح للنووي : ٣٠٨ .
 البحر العميق لابن الضياء : ١٣١ .
 تاريخ الأرقمى : ٤٨ ، ٦٢ ، ٨٩ ، ١٢٨ ، ١٢٨ ، ١٤١ ، ٢٣٧ .
 تاريخ أبي سعد السمعاني : ٣٠٤ .
 تاريخ مكة للفاكهي : ٥٨ ، ٦٨ .
 تفسير ابن كثير : ٢٩٧ .
 تفسير الكواشي : ٢٩ ، ١٣٧ ، ١٤٥ .
 التمهيد لابن عبد البر : ١٤٢ .
 تهذيب الأسماء واللغات للنوي : ٢٨٧ ، ٢٩٤ .
 الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف : ١٣ .
 الجواهر المكنونة في فضائل المصنونة للقاضي جمال بن عبد الله الشافعي : ٢٣٢ .
 الدررة الضوية في هجرة خير البرية للأقفهسي : ٢٨ .
 رحلة ابن جبير : ١٩١ .
 رسالة الحسن البصري : ٤٤ ، ٩٥ ، ١٢٥ ، ١٢٧ .
 الروض الأتق للسهيلي : ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٤ .
 الزهر الباسم : ٨٥ .
 سنن سعيد بن منصور : ٩٤ .
 السيرة لمغلطاي : ٢٨٦ .

- السيرة النبوية لابن بحر الحضرمي : ٥٧ .
 شرح تقريب الأسانيد : ١٧٥ .
 شرح الجامع الصغير لقاضي خان : ١٢٤ .
 شرح ديوان كثير لمحمد بن حبيب : ٢٢٠ .
 شرح صحيح البخاري للقاضي مجد الدين الشيرازي : ١٤٩ .
 شرح مسلم للنووي : ٣١٥ .
 شرح المصابيح للتوربشتي : ٥٩ .
 شفاء الغرام للفاسي : ١١ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ١٨٩ ، ٢٣٦ ، ٢٨٩ .
 شفاء الغليل في حج بيت الله الجليل لابن ظهيرة (جد المؤلف) : ٢٦ .
 الشفاء للقاضي عياض : ٦٤ ، ٧٢ .
 الصحاح : ٦٢ .
 صحيح ابن حبان : ٣١١ .
 صحيح مسلم : ١٦٦ ، ٣٠١ .
 الصفوة لابن الجوزي : ١١٦ .
 طبقات الحفاظ للذهبي : ٢٣١ .
 طبقات السبكي : ٢٣١ .
 الغاية للإتقاني : ٢٢٠ .
 فتح الباري : ٨٤ .
 فضائل مكة للجندی : ٢٩٥ .
 القاموس المحيط : ٢٩٦ ، ٣١٢ .
 القرى للمحب الطبري : ١٠٨ ، ٣١٥ .
 قوت القلوب لأبي طالب المكي : ١٩ .

- الكوكب المنير: ٢٩٠.
- شير العزم لابن الجوزي: ١٥٢.
- شير الغرام لابن الجوزي: ٢٣١.
- المرصع لابن الأثير: ١٤٧.
- المسالك والممالك للبكري: ١٩٣.
- المستدرك للحاكم: ٩٤.
- مسند أحمد: ١٢٨.
- المطالع: ٣٠٨.
- معجم البلدان لياقوت: ٢٣٦.
- منسك ابن جماعة ٣٥، ٤٤، ٤٧، ١٢٥.
- منسك ابن الحاج: ٣١٠.
- منسك ابن خليل: ٣٠، ٣٧، ٣٨.
- منسك ابن الصلاح: ٩٧.
- منسك النقاش: ٣١٠.
- منهاج التائبين: ٤٥، ٢٢٤، ٢٣٤.
- الموضوعات لابن الجوزي: ٢٣٢.
- الوصل والمنى فى بيان فضل منى لمجد الدين (صاحب القاموس): ٢٩٢.

٤ - فهرس مصادر التحقيق

- إتحاف الررنى بأخبار أم القرى، طبعة جامعة أم القرى .
 اتعاط احنفا للمقرىزى . القاهرة: ١٩٧٣ م .
 إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام للأسدى، القاهرة: ١٩٨٥ م .
 أخبار مكة للأزرقى، بيروت: ١٣٨٥ هـ، وطبعة ١٤٠٣ هـ .
 أخبار مكة للفاكهى، مكة المكرمة: ١٩٨٦ م .
 الاستيعاب لابن عبد البر، نهضة مصر، القاهرة: ١٩٦٠ م .
 الإشارة إلى سيرة المصطفى لمغلطاي (مخطوط) .
 الإصابة فى تميز الصحابة، لابن حجر، مطبعة نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٠ م .
 إهداء اللطائف للعجيمى . مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة: ١٩٩٧ م .
 بهجة المهج للميورقى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠١ م .
 تاريخ الإسلام للذهبى، دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٨٧ م .
 تاريخ خليفة بن خياط، بيروت: ١٩٧٧ .
 تاريخ الرسل والملوك للطبرى، دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م .
 تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية) ابن كثير، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٨ م .
 تذكرة الحفاظ للذهبى . بيروت .
 تقريب التهذيب، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦ .
 تهذيب الأسماء واللغات للنووى، المطبعة المنيرية بمصر .
 جمهرة أنساب العرب لابن حزم، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .
 الحيوان للجاحظ، مطبعة مصطفى الحلبي مصر ١٣٥٦ هـ .
 رحلة ابن جبیر، لابن جبیر، مكتبة مصر، القاهرة: ١٩٥٥ م .
 رسالة الحسن البصرى مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ١٠٦٩ تاريخ .
 الروض الأتف للسهلى، طبعة دار المعرفة بيروت وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت .
 الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة للفاسى، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ٢٠٠١ م .
 السلاح والعدة فى تاريخ بندر جدة، لابن فرج، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٧ م .

- السلوك للمقریزی، مصر ١٩٣٤ وما بعدها.
- سيرة ابن سيد الناس (عيون الأثر في فنون المغازی والسير) بيروت.
- سيرة ابن هشام، المكتبة العلمية، بيروت.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة، دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م.
- الشفاء للقاضي عياض، بيروت.
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي، بيروت ١٩٨٥ م.
- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، لأحمد بن إبراهيم الحنبلي، بغداد ١٩٧٨ م.
- صحيح البخاري، طبعة دار الفكر، بيروت.
- صحيح مسلم، القاهرة ١٩٩٧ م.
- صفة الصفوة، دار المعرفة بيروت ١٩٨٦ م.
- طبقات الحفاظ للسيوطي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٦ م.
- طبقات السبكي، القاهرة ١٩٩٢ م.
- طبقات الصوفية للسلمي، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٦٩ م.
- العبر في ديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون، بيروت ١٩٥٨ م.
- عجائب المخلوقات للقزويني، طبعة كتاب التحرير بمصر ١٩٦٦ م.
- العقد الفريد لابن عبد ربه لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥ م.
- العقود اللؤلؤية للخزرجي، مطبعة الهلال الفجالة بمصر ١٩١١ م.
- القرى لقاصد أم القرى للمحب الطبري، طبعة مصطفى الحلبي، القاهرة ١٩٨٠ م.
- غاية المرام لابن فهد، مكة ١٩٨٦ م.
- الكامل في التاريخ لابن الأثير، بيروت ١٩٦٥ م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقى الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩ م.
- مروج الذهب، للمسعودي، بيروت ١٩٨٨ م.
- المستدرک للحاكم، بيروت ١٩٩٠ م.
- المفضليات للضبي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثامنة.
- منايح الكرم للسنجاري.

- ترمة الألباب في الألقاب لابن حجر، الرياض ١٩٨٥ م.
- نسب قريش للزبيرى طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٦ م.
- النهاية في غريب الحديث والآثر لابن الأثير، طبعة عيسى الحلبي، القاهرة ١٩٦٣.
- وفيات الاعيان لابن خلكان، بيروت ١٩٦٨ م.

٥ - فهرس موضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة
- مقدمة التحقيق	٥
- خطبة الكتاب	١١
ترتيب الكتاب على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة	١٣
المقدمة في فضل العلم الشريف وأهله وطالبيه	١٥
لطيفة: تخصيص أولاد إسماعيل بالذكر	١٧
لطيفة: من الاحتياج إلى العلماء في الجنة	١٧
الباب الأول في مبدأ أمر الكعبة	٢٣
مطلب: أصل طينة النبي	٢٥
مطلب: مدفن الإنسان بتربته	٢٥
مطلب: أول جبل وضع في الأرض أبو قيس	٢٥
مطلب: أول مسجد وضع بالأرض المسجد الحرام	٢٦
مطلب: قبلته ﷺ	٢٧
مطلب: تحويل القبلة	٢٨
مطلب: المختار أنه ﷺ لم يكن متعبدا بشرع من قبله بعد البعثة	٢٩
مطلب: عن الحسن وغيره ليس في المائدة منسوخ	٣٠
مطلب: وجه تسمية البيت الحرام كعبة	٣١
مطلب: أول من بنى بيتا مربعا بمكة حميد بن زهير	٣١
مطلب: تسمية الكعبة البيت العتيق	٣٣
الباب الثاني فيما ورد من الآيات الشريفة في زيادة تعظيم هذا البيت وما ورد	
في فضل المقام وسبب تسميته بذلك	٣٥
مطلب: تقبيل المقام واستلامه ليس بسنة	٣٧
مطلب مهم	٣٧
مطلب فيما يتعلق بالحجر الأسود	٣٧

- ٣٨ مطلب الحجر الأسود والمقام يافوتتان من يواقيت الجنة
- ٣٨ لطيفة في ذكر تسويد الحجر الأسود بالخطايا
- ٣٩ فوائد في حكمة قول عمر وغير ذلك
- ٤٠ مطلب: الحكمة في تغيير الحجر الأسود إلى السواد
- مطلب هل كان الحجر الأسود يسمى أسود قبل اسوداده حال كونه أبيض
- ٤١ من اللبن أم لا
- ٤١ مطلب: خواص الحجر
- ٤٢ فروع: في تقيل الحجر الأسود وغير ذلك
- ٤٣ فائدتان: في المزاحمة عند استلام الحجر وفي أول من استلمه
- ٤٣ مطلب: أول من استلم الركن من الأئمة قبل الصلاة وبعدها ابن الزبير
- ٤٣ فصل: في ذكر الركن اليماني وذكر شيء مما ورد فيه
- ٤٥ فرع. استلام الركن اليماني عندنا حسن وتركه لا يضر
- مطلب: في كيفية استلام الركن اليماني هل يقبل يده ثم ينقلها إليه أو يضع
- ٤٦ يده عليه ثم يقلها
- ٤٦ فصل: في فضل الملتزم والدعاء فيه
- ٤٧ فصل: في معرفة الملتزم والمستجار والمتعوذ والمدعى والحطيم
- ٤٨ مطلب: دعاء آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام
- مطلب: الأولى عند الحنفية لمن أراد الملتزم أن يقدمه على ركعتي الطواف
- ٤٩ ثم يأتي بهما
- ٤٩ مطلب: ما وقع في الكعبة من الترميم
- ٥١ مطلب: عقوبة من أخذ شيئاً من مال الكعبة
- ٥١ مطلب: إذا وضع مفتاح البيت في فم الصغير تكلم سريعاً
- ٥١ مطلب: دخان البيت يصعد استتويًا
- ٥١ مطلب: هيته وتعظيمه في القلوب

الصفحة	الموضوع
٥٢	مطلب: لا يرى البيت أحد لم يكن رآه من قبل إلا ضحك أو بكى
٥٢	مطلب: تعجيل العقوبة لمن قصد البيت بسوء
٥٤	مطلب: آباء الأنصار أولئك الأربعمائة حكيم
٥٤	مطلب: أبو أيوب الذي نزل عنده <small>عليه السلام</small> من ولد العالم الذي شفى به تبع
٥٥	مطلب: في وجه تسمية قيعقان
٥٥	قصة أصحاب الفيل
٦١	فائدة: في عدم تعجيل العقوبة لهذه الأمة
٦٧	الباب الثالث فيما يتعلق ببناء الكعبة الشريفة
٦٩	سبب بناء الملائكة عليهم الصلاة والسلام
٧٠	فصل في الكلام على البيت المعمور
٧١	مطلب: في كل من السبع الأرضين بيت يعمره أهلها
٧١	الخلاف في البيت المعمور وفي مكة
٧٢	سبب بناء آدم عليه السلام
٧٢	مطلب: الأجل التي بنيت منها الكعبة خمسة
٧٣	سبب بناء الخليل صلوات الله عليه
٧٣	مطلب: الخلاف في هود وصالح هل حجا أم لا
٧٤	مطلب: سبب معرفة إبراهيم أساس البيت الحرام
٧٦	مطلب: الكلام على ذي القرنين صاحب الخضر
٧٦	مطلب: من ذي القرنين
٧٧	مطلب: الحجر الأسود وهل كان قبل إبراهيم أم لا
٧٨	وأما سبب بناء قريش البيت
٧٨	استطراد في الكلام على فضل جدة
٨١	سبب بناء ابن الزبير البيت
٨٢	فائدة في أول سبب للتكلم في القدر

الصفحة	الموضوع
٨٣	نكتة في المبتدا الواقع بعد لولا
٨٧	لطيفة في تصغير ذى السويقتين
٨٧	سبب بناء الحجاج وتغييره
٨٨	فصل في ذكر كثر الكعبة والحكم فيه
٨٩	فائدة فيما وجد بجب الكعبة
٩٠	فروع في حكم ما يهدى للكعبة وما ينذر لها
	فصل في الكلام على دخوله ﷺ الكعبة الشريفة بعد الهجرة وصلاته فيها
٩١	وبيان مصلاه منها وتعدد دخوله
٩٢	فوائد في مصلى رسول الله ﷺ وغير ذلك
٩٢	دخول عثمان بن طلحة
٩٣	استطراد مفيد
٩٤	قد استحب الأئمة الأربعة دخول الكعبة . . . إلخ
٩٤	فائدة فيمن خلع النعل عند دخول الكعبة
٩٥	فصل في دخول الكعبة الشريفة
٩٦	ما يطلب في الكعبة من الأمور التي فعلها الرسول ﷺ
٩٧	فائدة فيما أحدثه بعض الفجرة في جوف الكعبة
٩٩	الباب الرابع في الكلام على كسوة الكعبة
١٠١	فوائد في نزع عمر لثياب الكعبة وغير ذلك
١٠٣	فروع في بيع ثياب الكعبة وغير ذلك
١٠٣	ذكر تطيب الكعبة الشريفة
١٠٤	ذكر تحلية الكعبة الشريفة
١٠٥	ذكر معاليق البيت الشريف وما أهدى إليه في معنى الحلية
١٠٧	فصل في الكلام على سدانة البيت
١٠٨	الرفادة

الصفحة	الموضوع
١٠٩	السقاية
١٠٩	تتميم بذكر شيء من خير قصى
١١٠	الندوة - اللواء - القيادة
١١٠	فائدتان في فتح الكعبة في الجاهلية وفي فعل رسول الله ﷺ يوم الفتح
١١٣	الباب الخامس في فضل الطواف بالبيت المشرف والنافعين به
١١٥	وأما الآثار
١١٦	فائدة في مراتب الطواف
١١٧	فائدة في المراد بحسنة الدنيا
١١٩	فوائد في جعل البيت على يسار الطائف وغير ذلك
١٢٠	فروع في الخشوع في الطواف وغير ذلك
١٢١	المفاضلة بين الطواف والعمرة
١٢٣	نكتة في منشا الخلاف بين الأئمة في ذلك
	فصل في ثواب النظر إلى البيت وبيان مصلى النبي ﷺ حول البيت وبيان
١٢٥	ملخصه
١٣٠	ذكر شيء من فضائل الحجر
١٣٢	ذكر ذرع الحجر من داخله
١٣٢	تتميم في المصلى بين الحفرة وبين الحجر
١٣٣	استطراد في بيان مصلى آدم عليه السلام
١٣٣	فصل في بيان جهات المصلين إلى القبلة من سائر الأفاق
	الباب السادس في فضل مكة وحكم المجاورة بها وذكر شيء مما ورد في
١٣٧	ذلك
١٤٠	فصل فيما يدل على أفضلية مكة على غيرها من البلاد
١٤١	لطيفة في الحكم في التجريد في الإحرام
١٤٤	فصل في أسماء مكة

الصفحة	الموضوع
١٥١	خصائص مكة
١٥٢	تنبيهان في المجاورة للكعبة وفي الموت بالمدينة
١٥٣	الباب السابع في فضل الحرم وحرمة والمسجد الحرام
١٥٦	فصل في فضائل الحرم
١٦١	فصل في استعمال لفظ المسجد الحرام
١٦٢	استطراد مفيد فيما يتعلق بالإسراء
١٦٥	تنكيث وآخر
١٦٦	استطراد في الكلام على متن حديث الإسراء
١٧٧	فصل في ذكر مبدأ عمارة المسجد الحرام وتوسعته وذرعه
	فصل في ذكر الزيادتين وخبر عمارتها وذرعهما وذرع المسجد الحرام وعدد
١٨١	مناثره وأبوابه
١٨٣	ذكر منائر المسجد الحرام
١٨٤	ذكر ذرع المسجد الحرام والزيادتين
١٨٥	ذكر ذرع زيادة دثر الندوة
١٨٦	ذكر ذرع زيادة باب إبراهيم
١٨٦	ذكر كيفية المقامات التي هي الآن في زمننا موجودة
١٨٩	ذكر كيفية صلاة الأئمة بهذه المقامات
١٩١	ذكر ما في المسجد الحرام من القباب وغيرها
١٩٢	ذكر عدد أبواب المسجد الحرام
١٩٧	الباب الثامن في فضل أهل مكة واحترامهم
٢٠١	فصل فيما ورد في حق قريش من الآيات والأحاديث والآثار
٢٠٥	استطراد مهم
٢٠٦	نسب رسول الله ﷺ
٢٠٨	نسب أبي بكر الصديق

الصفحة	الموضوع
٢١٠	نسب عمر بن الخطاب
٢١١	نسب عثمان بن عفان
٢١٢	نسب علي بن أبي طالب
٢١٤	نسب طلحة بن عبيد الله
٢١٤	نسب الزبير بن العوام
٢١٥	نسب سعيد بن مالك
٢١٦	نسب سعيد بن زيد
٢١٦	نسب عبد الرحمن بن عوف
٢١٧	نسب أبي عبيدة بن الجراح
٢١٨	ذكر وصف كل واحد من العشرة
٢٢٣	الباب التاسع في ذكر مبدأ بئر زمزم
٢٢٤	فائدة استطرادية
٢٢٩	فصل في فضائل ماء زمزم
٢٣٦	فصل فيما لزمزم من الأسماء
٢٣٨	فصل في آداب الشرب من زمزم
٢٤٠	استطراد لطيف في ذكر ما ورد في فضل السبطين
٢٤٥	الباب العاشر في ذكر أمراء مكة
٢٤٦	ذكر من ولي مكة في خلافة عمر بن الخطاب
٢٤٧	ذكر من ولي مكة في خلافة عثمان
٢٤٧	ذكر من ولي مكة في خلافة علي بن أبي طالب
٢٤٨	ذكر ولاية مكة في خلافة معاوية
٢٤٨	ذكر ولاية مكة في خلافة يزيد بن معاوية
٢٤٨	خلافة عبد الله بن الزبير
٢٤٩	ذكر ولاية مكة في خلافة عبد الملك بن مروان

الصفحة	الموضوع
٢٤٩	ذكر ولاية مكة في خلافة الوليد بن عبد الملك
٢٥٢	ذكر ولاية مكة في أيام بني العباس وولاتها بعد ذلك إلى سنة سبع وأربعين وتسعمائة
٢٨٥	الخاتمة في ذكر الأماكن المعظمة والمشاهد المكرمة التي تقصد زيارتها المشهورة بالفضل بمكة
٢٨٥	المواليد
٢٨٨	ذكر الدور المباركة
٢٩٠	ذكر المساجد
٢٩١	ذكر المساجد التي في منى وجهتها
٢٩٧	ذكر الجبال المباركة بمكة وحرمها
٣٠٣	ذكر المقابر المباركة التي تزار بمكة وقربها
٣٠٧	فائدة في سبب تسمية قوم بالمطيين
٣١٠	فوائد تختتم بها الخاتمة
٣١٧	الفهارس العامة
٣١٩	فهرس الأعلام
٣٢٣	فهرس الأماكن
٣٣١	فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب
٣٣٥	فهرس مصادر التحقيق
٣٣٩	فهرس الموضوعات